The Islamic University – Gaza
Research and Postgraduate Affairs
Faculty of Oussoul Eddine
Department of Interpretation & sciences of Quran

الجـامعـــــــــة الإســــلاميــة ـ غـزة
شئون البحث العلمي والدِّراسات العليا
كـــليــــــــــة أُصــــــول الـــدِّيــــــن
قســــم التَّفسيــــــر وعلـــوم القــرآن

أَعْدَاءُ المُؤمِنِ فِي ضَوءِ القُرآنِ الكَرِيم

"دِرَاسَةٌ مَوضُوعِيَّة"

The enemies of the believer in the light of the Holy Quran

"Objective examination"

إِعداد الباحث

خالد ناصر عبد العزيز مصلح

إِشراف الأُستاذ الدُّكتور

رياض محمود جابر قاسم

قُدِّمَ هذا البحثُ استكمالًا لـــمُتطلَّباتِ الحصُولِ على دَرَجةِ الماجستير فِي التَّفسير وعُلوم القرآن بِكُلِّية أُصُول الدِّين في الجَامِعة الإِسْلامِية بِغزة

شعبان/1437ه – مايو/2016م

إقـــــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرِّسالة التي تحمل عنوان:

أعداء المؤمن في ضَوء القرآن الكريم

"دراسة موضوعية"

The enemies of the believer in the light of the Holy Quran

"Objective examination"

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرِّسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرِّسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	خالد ناصر مصلح	اسم الطَّالب:
Signature:		التَّوقيع:
Date:	2016/5/11م	التَّاريخ:

بســـم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

ج س غ/35/
الرقم Ref 2016/05/11م
التاريخ Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **خالد ناصر عبد العزيز مصلح** لنيل درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/ قسم التفسير وعلوم القرآن** وموضوعها:

أعداء المؤمن في ضوء القرآن الكريم – دراسة موضوعية

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الأربعاء 04 شعبان 1437هـ، الموافق 2016/05/11م الساعة العاشرة صباحاً بمبنى القدس، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. رياض محمود قاسم	مشرفاً و رئيساً	....
أ.د. عبد السلام حمدان اللوح	مناقشاً داخلياً	....
أ.د. عصام العبد زهد	مناقشاً خارجياً	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/ قسم التفسير وعلوم القرآن.**

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

نائب الرئيس لشئون البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. عبدالرؤوف علي المناعمة

ملخص الرِّسالة باللغة العربية

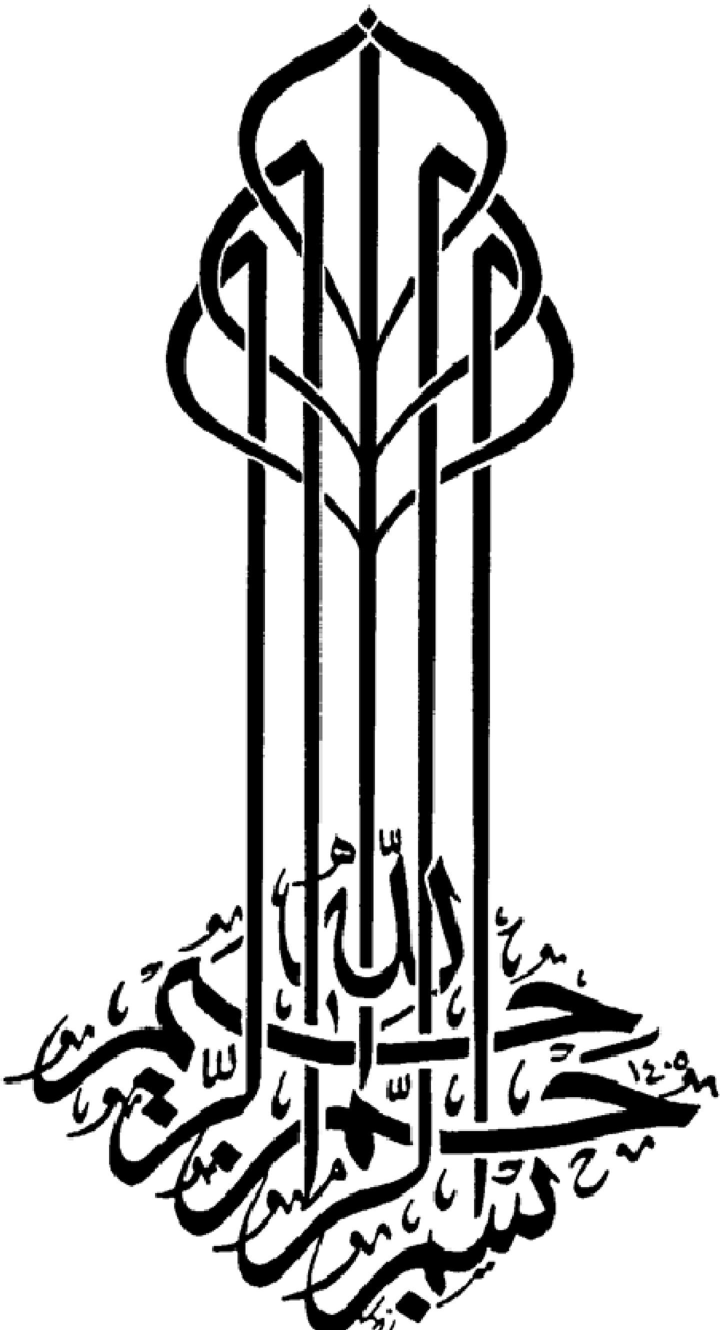
الحمدُ لله وكفى، والصَّلاةُ والسَّلامُ على النَّبي المُصطفى، وعلى آله وصَحبه ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم بإحسان إلى يوم الدِّين، عليهم جميعًا أفضل الصَّلاة وأتم التَّسليم، أما بعد:

فهذا بحثٌ بعنوان: "**أعداء المؤمن في ضَوء القرآن الكريم – دراسة موضوعية**"، تناولت فيه أعداء المؤمن في القرآن الكريم من خلال دراسة موضوعية للآيات التي تتعلق بهذا الموضوع، وقد جاء في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة؛ **فأما المقدمة:** فاشتملت على أهمية الموضوع وبواعث اختياره، وأهدافه، والدِّراسات السَّابقة، ومنهج البحث، وخُطة البحث، **وأما الفصل الأول:** فتناول تعريف العَدَاوة لغةً واصطلاحًا، والعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي، وبيان مشتقات العَدَاوة في السِّياق القرآني، والألفاظ ذات الصِّلة "المُقاربة والمُقابلة"، **وأما الفصل الثَّاني:** فتناول عَدَاوة الشَّيطان، والكُفار، وأهل الكتاب، والمنافقين في القرآن الكريم، **وأما الفصل الثَّالث:** فتناول عَدَاوة النَّفس الخبيثة، والأزواج والأولاد، والأخلاء الأشرار في القرآن الكريم، **وأما الفصل الرَّابع:** فتناول عواقب اتِّباع الأعداء في الدُّنيا والآخرة، وسُبل الوقاية وطُرق العلاج من هؤلاء الأعداء، **وأما الخاتمة:** فاشتملت على أهم النَّتائج والتَّوصيات.

Abstract

Praise be to Allah, and prayers and peace be upon the chosen Prophet, his family, companions and those who followed his path till the day of judgment. Best prayer and peace be upon them all, and so forth:

This research, entitled: **"Enemies of Believer, in the light of the Holy Quran- an objective study,"** discussed the topic of enemies of believer according to the Holy Quran through an objective study of the verses that relate to this subject. The research falls into an introduction, four chapters and a conclusion. **The Introduction** included: the importance of the research, its reasons, its goals, the previous studies, the research methodology and its plan. **The First chapter** handled: the linguistic and the idiomatic definitions of enmity and the relation between them, in addition to, the clarification of the derivatives of enmity in The Qur'anic context, the related utterances "synonyms and antonyms".**The Second chapter** handled: the enmity of The Satan, The Disbelievers, The People of the Scripture (Jews and Christians) and The Hypocrites in The Holy Quran.**The Third chapter** handled:the enmity of bad soul, spouses and children and bad friends in The Holy Quran.**The Fourth chapter** handled: the consequences of following enemies in this world and the hereafter, whereas,**The Conclusion** included: The most important findings and recommendations.


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى من كان وما زال لي مُعلمًا ومُرشدًا ومُربيًا ومُوجهًا وناصحًا أمينًا.

إلى من تعترف كل قصاصة في هذه الرِّسالة بفضله وعطائه وكرمه.

إلى من كان إرضاؤه هدفًا من أهداف تحقيق حُلمي في حصولي على شهادة الماجستير.

إلى من ضحى وكافح من أجلنا؛ لنكون خير السُّفراء لديننا ووطننا.

إلى من علمنا أن نعيش من أجل الحقِّ والعلم، مهما كلفنا ذلك من ثمن،... **أبي العزيز.**

إلى من أفنت عمرها من أجلي وفي السَّهر على راحتي.

إلى صاحبة القلب الحنون الممتلئ بالعطف والحنان.

إلى التي كانت دومًا سببًا في إدخال السُّرور والبهجة على قلبي.

إلى التي مهما فَعَلتُ وتحدثتُ سأظل مقصرًا في حقها،... **أمي الحبيبة.**

إلى من أكرمني الله ﷻ بها فكانت سندًا وعونًا.

إلى التي منحتني فيضًا من الحُبِّ والوفاء.

إلى من تحملت سهر الليالي ومدافعة الأيام أثناء كتابة رسالة الماجستير.

إلى شريكة حياتي ونصفي الثَّاني،... **زوجتي الحبيبة.**

إلى أخي ورفيق دربي وسندي في هذه الحياة،... **أخي الحبيب أحمد.**

إلى أخواتي الكريمات،... **آلاء وأفنان.**

إلى عائلتي الكريمة،... **عائلة مصلح.**

إلى أهل زوجتي،... **آل العمودي الكرام.**

إلى إخواني الأحباب في مسجدَي **فاطمة الزهراء** -رضي الله عنها- **وحطين.**

إلى الذين ضحوا بدمائهم الزَّكية على ثرى فلسطين الحبيبة،... **الشُّهداء الأبرار.**

إلى تاج رؤوسنا ومقل عيوننا، شرف هذه الأمة،... **المجاهدون الميامين.**

إلى هؤلاء جميعًا أُهدي ثمرة هذا البحث، وأسأل الله ﷻ الإخلاص والقَبول.

شكرٌ وتقدير

الحمد لله رب العالمين، الحمد لك يا ربي كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، أحمدك حمدًا يوافي نعمك ويُكافيء مزيدك، لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرِّضا، والصَّلاة والسَّلام على النَّبي العدنان خير الأنام، ونور الأكوان، هادي البشرية إلى الجِنان، محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فانطلاقًا من قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ [لقمان:١٢]، ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبي ﷺ أنه قال: "مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ"[١]، فإنه من دواعي سروري أن أتقدم بالشُّكر والعرفان لمن كان لهم الفضل بعد الله ﷻ في إتمام رسالتي وخروجها إلى النُّور، وأخص بالذِّكر أُستاذي ومشرفي فضيلة الأُستاذ الدُّكتور/ رياض محمود قاسم –حفظه الله تعالى– لما بذله من جهد مبارك في تقويم رسالتي، وإسداء النَّصائح الثَّمينة، والتَّوجيهات السَّديدة أثناء فترة كتابتي للرِّسالة، والتي كان لها بالغ الأثر في إنجازها بهذه الصُّورة، فكل الشُّكر والتَّقدير لمشرفي الفاضل، وجزاه الله ﷻ عني خير الجزاء.

والشُّكر موصول للأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة:

فضيلة الأستاذ الدُّكتور/ عبد السَّلام حمدان اللوح "حفظه الله تعالى".

وفضيلة الأستاذ الدُّكتور/ عصام العبد زهد "حفظه الله تعالى".

وكذلك أتقدم بالشُّكر والعرفان إلى منارة العلم ومخرجة العلماء جامعتي الغراء الجامعة الإسلامية، وإلى كليتي الحبيبة كلية أصول الدِّين، وإلى أساتذتي الكرام في قسم التَّفسير وعلوم القرآن، على ما بذلوه من جهد أثناء دراسة الماجستير.

وأتقدم أيضًا بالشُّكر الجزيل لكل من قدم لي مساعدة أو نصيحة، وأخص بالذِّكر الأستاذة الفاضلة/ أنسام حامد شبير على ما قدمته من جهد مبارك في إثراء هذه الرِّسالة، وإلى أخي وزميلي الأستاذ الفاضل/ سامي جبر اشتيوي على ما قدمه من مساعدة أثناء دراسة الماجستير، فكل الشُّكر والتَّقدير لهم جميعًا، وجزاهم الله ﷻ خير الجزاء.

---

(١) سنن التِّرمذي، أبواب: البر والصِّلة، بَابُ: مَا جَاءَ فِي الشُّكْرِ لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ (ح١٩٥٤)، (٤/ ٣٣٩)، قال التِّرمذي: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيح"، وقال الألباني: "صحيح". صحيح وضعيف سنن التِّرمذي، للألباني (٤/ ٤٥٤).

فهرس المحتويات

إقرار.. أ

ملخص الرِّسالة باللغة العربية.. ب

ملخص الرِّسالة باللغة الإنجليزية.. ت

صفحة اقتباس.. ث

الإهداء.. ج

شكر وتقدير.. ح

فهرس المحتويات.. خ

المقدمة.. ١

أهمية الموضوع.. ١

أسباب ودوافع اختيار الموضوع... ٢

أهداف البحث... ٢

الدِّراسات السَّابقة... ٢

منهج البحث.. ٣

خطة البحث.. ٤

الفصل الأول: العَدَاوة ومشتقاتها والألفاظ ذات الصِّلة في القرآن الكريم..................... ٨

المبحث الأول: تعريف العَدَاوة في اللغة والاصطلاح.................................١٠

المطلب الأول: تعريف العَدَاوة لغةً...١٠

المطلب الثَّاني: تعريف العَدَاوة اصطلاحًا..١١

المطلب الثَّالث: العلاقة بين المعنى اللُّغَوي والاصطلاحي...............................١١

المبحث الثَّاني: العَدَاوة ومشتقاتها في السِّياق القرآني...................................١٣

المطلب الأول: العَدَاوة ومشتقاتها في الآيات المكية......................................١٣

المطلب الثَّاني: العَدَاوة ومشتقاتها في الآيات المدنية....................................١٧

المبحث الثَّالث: الألفاظ ذات الصِّلة "المُقارِبة والمُقابِلة"..................................٢٥
المطلب الأول: الألفاظ المُقارِبة...٢٥
المطلب الثَّاني: الألفاظ المُقابِلة.. ٢٧
الفصل الثَّاني: عَدَاوة الشَّيطان والكُفَّار وأهل الكتاب والمنافقين في القرآن الكريم.............٣٤
المبحث الأول: عَدَاوة الشَّيطان...٣٦
المطلب الأول: تعريف الشَّيطان لغةً واصطلاحًا...٣٦
المطلب الثَّاني: عَدَاوة الشَّيطان..٣٨
المطلب الثَّالث: خُطوات الشَّيطان وأساليبه...٤٣
المبحث الثَّاني: عَدَاوة الكُفَّار ٤٨
المطلب الأول: تعريف الكُفر لغةً واصطلاحًا..٤٨
المطلب الثَّاني: صور عَدَاوة الكُفَّار للمؤمنين..٤٩
المبحث الثَّالث: عَدَاوة أهل الكتاب...٥٦
المطلب الأول: تعريف أهل الكتاب لغةً واصطلاحًا.......................................٥٦
المطلب الثَّاني: عَدَاوة اليهود للمؤمنين في القرآن الكريم.................................٥٩
المطلب الثَّالث: عَدَاوة النَّصارى للمؤمنين في القرآن الكريم..............................٦٦
المبحث الرَّابع: عَدَاوة المُنَافقين...٧١
المطلب الأول: تعريف النِّفاق لغةً واصطلاحًا..٧١
المطلب الثَّاني: صور عَدَاوة المنافقين للمؤمنين...٧٣
الفصل الثَّالث: عَدَاوة النَّفْس الخبيثة والأزواج والأولاد والأخلَّاء الأشرار في القرآن الكريم....٨٠
المبحث الأول: عَدَاوة النَّفْس الخبيثة...٨٢
المطلب الأول: تعريف النَّفس الخبيثة لغةً واصطلاحًا....................................٨٢
المطلب الثَّاني: آفات النُّفوس...٨٣
المبحث الثَّاني: عَدَاوة الأزواج والأولاد...١٠٠

المطلب الأول: تعريف الأزواج والأولاد لغةً واصطلاحًا..١٠٠
المطلب الثَّاني: حقيقة عَدَاوة الأزواج والأولاد..١٠٢
المبحث الثَّالث: عَدَاوة الأخلَّاء الأشرار..١٠٨
المطلب الأول: تعريف الخليل لغةً واصطلاحًا...١٠٨
المطلب الثَّاني: عَدَاوة الأخلاء الأشرار...١٠٩
المطلب الثَّالث: آثار صحبة الأخلاء الأشرار على الفرد والمجتمع.........................١١١
الفصل الرَّابع: عواقب اتِّباع الأعداء وسُبل الوقاية وطُرق العلاج.......................... ١١٩
المبحث الأول: عواقب اتِّباع الأعداء...١٢١
المطلب الأول: عواقب اتِّباع الأعداء في الدُّنيا...١٢١
المطلب الثَّاني: عواقب اتِّباع الأعداء في الآخرة...١٢٦
المبحث الثَّاني: سُبل الوقاية وطُرق العلاج...١٣٣
المطلب الأول: سُبل الوقاية...١٣٣
المطلب الثَّاني: طرق العلاج..١٤٦
الخاتمة...١٥٧
النَّتائج...١٥٨
التَّوصيات...١٦٠
الفهارس العامة...١٦١
أولًا: فهرس الآيات القرآنية..١٦٣
ثانيًا: فهرس أطراف الأحاديث النَّبوية..١٧٩
ثالثًا: فهرس الأعلام المُترجم لهم...١٨٣
رابعًا: فهرس المصادر والمراجع...١٨٥

مقدمة

إنَّ الْحَمْدَ لله نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَهْدِيْه، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُوْرِ أَنْفُسْنِا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدْ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجَدَ لَهُ وَلِيًا مُرْشِدًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ البحث في القرآن الكريم وعلومه يُعدُّ أشرف الأعمال وأقدسها على الإطلاق؛ وذلك لشرف كتاب الله ﷻ وشرف المنسوب إليه وهو الله ﷻ، وعِظم شأنه، حيث به يتوصل الباحث إلى المعاني الجليلة والجميلة لآيات القرآن الحكيم ومقاصده.

إنَّ تفسير القرآن الكريم متجدد، ومن هذا التَّجديد التَّفسير الموضوعي الذي يُعدُّ منهجًا هامًا وفنًا جديدًا من مناهج وفنون التَّفسير القرآني؛ لأنه تفسير العصر والمستقبل.

إنَّ التَّفسير الموضوعي لموضوع قرآني هو لون من ألوان التَّفسير الموضوعي، هذا بالإضافة إلى ألوان التَّفسير الموضوعي الأُخرى، التي تبحث في التَّفسير الموضوعي للمصطلح القرآني، وللسُّورة القرآنية.

وقد هداني الله ﷻ بمنه وعنايته إلى اختيار موضوع قرآني، ذي أهمية كبيرة لأهل زماننا الذين كثر فيهم الانسلاخ من هذا الدِّين، وموالاة أعداء كان من الواجب البراءة منهم، وعدم السَّير على خطاهم، والوقوع في شباكهم وحبائلهم بقصد أو بدون قصد؛ لذلك رأى الباحث أن يُظهر في هذه الدِّراسة الأعداء الحقيقيين للمؤمن؛ حتى يحذر منهم ولا يقع في شباكهم، وقد عنونت دراستي بـ: **(أعداء المؤمن في ضَوء القرآن الكريم – دراسة موضوعية)**.

آملًا القَبول من الله ﷻ، وأن يوفقني لتقديم صورة مُرضية لمقاصد القرآن الكريم، من خلال هذا الموضوع، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أولًا: أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذا الموضوع في النِّقاط التَّالية:

١- تعلقه بأشرف الكتب وأجلها، ألا وهو القرآن الكريم.
٢- تعزيز فهم النُّصوص القرآنية، واستنباط الدَّلالات الموضوعية؛ لاستخلاص الحلول للعديد من القضايا.
٣- هذا الموضوع يُبرز طُرق الوقاية من الأعداء وكيفية مواجهتهم.

ثانيًا: أسباب ودوافع اختيار الموضوع:

مما دفعني لاختيار هذا الموضوع ما يلي:

١-حاجة الأمة الإسلامية لمثل هذه الأبحاث؛ لمعرفة أعدائها على مر العصور والأزمان، لذا رأيت لزامًا عليَّ أن أكتب في هذا الموضوع الهام.

٢-رغبتي في الكتابة بمداد قلمي في هذا الموضوع، لما أراه من حال فِتيانا وفتياتنا اليوم، وما وصلوا إليه من انفتاح وانحلال إلا من رحم ربي؛ بسبب اتِّباع بعض الأعداء، وكيف نأخذ بأيديهم إلى بر الأمان.

٣-رأيت أنَّ الحاجة مُلِّحة في جمع مادة تتحدث عن أعداء المؤمن، ونحن نرى أن سبب ضياع أمتنا وحكامها هو موالاتهم لبعض هؤلاء الأعداء.

٤- غفلة الكثير من النَّاس عن أعدائهم الحقيقيين وكيفية مواجهتهم.

٥- تشجيع أستاذي فضيلة الأستاذ الدُّكتور/ رياض محمود قاسم -حفظه الله تعالى- للبحث في هذا الموضوع، والخوض في غماره.

٦- حاجة المكتبة الإسلامية إلى بحث علمي مُحكَّم، يتناول هذا الموضوع من جوانبه المختلفة، وفي إطار دراسة تفسيرية موضوعية.

ثالثًا: أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى ما يلي:

١- الفوز بمرضاة الله تعالى وثوابه.

٢- خدمة القرآن الكريم، وذلك من خلال البحث في موضوع من موضوعاته الهامة.

٣- إبراز أعداء المؤمنين في القرآن الكريم؛ وذلك ليحذر المؤمنون من موالاتهم، والوقوع في شباكهم.

٤- توضيح المفهوم القرآني للعداوة، وَمنْ هم الأعداء الذين يجب معاداتهم والحذر منهم.

رابعاً: الدِّراسات السَّابقة:

هذا باب مهم يجب على كل باحث طرقه بقدر استطاعته؛ ليقف على جهود من سبقه من باحثين حول الموضوع الذي ينوي الكتابة فيه، أو ما يشبهه، ليكون في بحثه إما مُكمِّلًا، أو مُبيِّنًا، أو مُجدِّدًا، أو مُؤصِّلًا ومُقعِّدًا، أو يأتي بالجدة الخاصة فيه -وإن كان هذا نادرًا- وقد بذلت وسعي وطاقتي للوقوف على ما كتب من أبحاث حول موضوع الدِّراسة، وبعد الاطِّلاع

والبحث عن الدِّراسات السَّابقة في هذا الموضوع ، من خلال البحث في دليل الرَّسائل الجامعية على الشَّبكة العنكبوتية العالمية، والكشف في المكتبة الإلكترونية بالجامعة الإسلامية –غزة– لم أجد أي رسالة علمية تناولت هذا الموضوع من جميع جوانبه، حيث وجدت بعض الدِّراسات القريبة من هذا الموضوع، وهي كالتَّالي:

١- أعداء الله الذين لعنوا في القرآن الكريم، إعداد: محمد مصطفى مجاهد، دار الفاروق– القاهرة، الطَّبعة الأولى، سنة: (٢٠٠٨م).
٢- عداوة الشَّيطان للإنسان وعلاجها في ضوء القرآن الكريم، عبد المنعم حواس الحواس، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وهي رسالة ماجستير، سنة: (١٤١٤هـ).
٣- اليهود أعداء الله وقتلة الأنبياء، محمد أبو عجور، دار الكلمة للنَّشر والتَّوزيع –القاهرة، سنة: (٢٠١٠م).
٤- الولاء والعَدَاء في علاقة المسلم بغير المسلم، إعداد: عبد الله إبراهيم الطريقي، الرِّياض، سنة: (١٩٩١م).
٥- الشَّيطان خطواته وغاياته "دراسة قرآنية موضوعية"، إعداد الباحث: وائل عمر بشير، الجامعة الإسلامية –غزة– وهي رسالة ماجستير، سنة: (٢٠٠٥م).

خامسًا: منهج البحث:

اعتمد الباحث في دراسته على المنهج الاستقرائي الموضوعي، وقد سلك في هذه الدِّراسة الخطوات التَّالية:

١- جمع الآيات التي وردت فيها مادة العَدَاوة بصيغها ومشتقاتها المتعددة.
٢- توزيع الآيات على فصول ومباحث ومطالب هذه الدِّراسة.
٣- استخراج معاني لفظة العَدَاوة والألفاظ المُقاربة، من كتب اللغة، وبيان الصِّلة بين هذه الألفاظ المتقاربة، والرَّبط بين هذه الألفاظ وبين موضوع الدِّراسة.
٤- كتابة الآيات الكريمة مشكولة حسب الرَّسم العثماني، مع توثيقها في المتن مباشرة بذكر اسم السُّورة ورقم الآية.
٥- الاستدلال بالأحاديث النَّبوية والآثار التي تخدم البحث، وعزوها إلى مظانها حسب ضوابط التَّخريج وأصوله، مع بيان حكم العلماء عليها إن لم تُذكر في الصَّحيحين أو في أحدهما.
٦- الاكتفاء بذكر الرَّاوي الأعلى للحديث.

٧- توثيق المراجع في الحواشي بذكر اسم الكتاب كاملًا واسم المؤلف والجزء والصَّفحة، أما التُّعريف الكامل بالكتاب فذكرته في فهرس المصادر والمراجع.

٨- بيان معاني الألفاظ الغريبة، وذلك من المعاجم اللغوية، وكتب غريب الحديث ، والشُّروح إذا استدعى الأمر.

٩- التَّرجمة لمن لم يشتهر عند طلاب العلم من الأعلام.

١٠ - مراعاة الأمانة العلمية في النَّقل والتَّوثيق والتَّعليق.

سادسًا: خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة وفهارس:

المقدمة وتشتمل على:

١- أهمية الموضوع.

٢- أسباب ودوافع اختيار الموضوع.

٣- أهداف البحث.

٤- الدِّراسات السَّابقة.

٥- منهج البحث.

٦- خطة البحث.

الفصل الأول

العَدَاوة ومشتقاتها والألفاظ ذات الصِّلة في القرآن الكريم

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف العَدَاوة في اللغة والاصطلاح.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف العَدَاوة لغةً.

المطلب الثَّاني: تعريف العَدَاوة اصطلاحًا.

المطلب الثَّالث: العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي.

المبحث الثَّاني: العَدَاوة ومشتقاتها في السِّياق القرآني.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: العَدَاوة ومشتقاتها في الآيات المكية.

المطلب الثَّاني: العَدَاوة ومشتقاتها في الآيات المدنية.

المبحث الثَّالث: الألفاظ ذات الصِّلة "المُقاربة والمُقابلة".

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الألفاظ المقاربة:

١- الخصومة. ٢- البغضاء. ٣- الشَّنئان.

المطلب الثَّاني: الألفاظ المقابلة:

١- الصَّاحب. ٢- الأخ. ٣- الصَّديق. ٤- القرين.

٥- النَّصير. ٦- الولي. ٧- المودة. ٨- الخليل. ٩- العشير.

الفصل الثَّاني

عَدَاوة الشَّيطان والكُفَّار وأهل الكتاب والمنافقين في القرآن الكريم

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: عَدَاوة الشَّيطان.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الشَّيطان لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثاني: عَدَاوة الشَّيطان.

المطلب الثالث: خطوات الشَّيطان وأساليبه.

المبحث الثَّاني: عَدَاوة الكُفَّار.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الكُفر لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثَّاني: صور عَدَاوة الكفار للمؤمنين.

المبحث الثَّالث: عَدَاوة أهل الكتاب.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف أهل الكتاب لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثاني: عَدَاوة اليهود للمؤمنين في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: عَدَاوة النَّصارى للمؤمنين في القرآن الكريم.

المبحث الرَّابع: عَدَاوة المنافقين.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف النِّفاق لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثاني: صور عَدَاوة المنافقين للمؤمنين.

الفصل الثَّالث

عداوة النَّفس الخبيثة والأزواج والأولاد والأخلاء الأشرار في القرآن الكريم

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عداوة النَّفس الخبيثة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف النَّفس الخبيثة لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثَّاني: آفات النُّفوس.

١- آفة الغفلة. ٢- آفة الهوى. ٣- آفة الكِبْر. ٤- آفات اللسان.

٥- آفة الرِّياء. ٦- آفة الحسد. ٧- آفة الغضب. ٨- آفة العَجَلة.

المبحث الثَّاني: عَدَاوة الأزواج والأولاد.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الأزواج والأولاد لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثَّاني: حقيقة عَدَاوة الأزواج والأولاد.

المبحث الثَّالث: عَدَاوة الأخلاء الأشرار.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الخليل لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثَّاني: عداوة الأخلاء الأشرار.

المطلب الثَّالث: آثار صحبة الأخلاء الأشرار على الفرد والمجتمع.

الفصل الرَّابع

عواقب اتِّباع الأعداء وسُبل الوقاية وطُرق العلاج

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: عواقب اتِّباع الأعداء.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عواقب اتِّباع الأعداء في الدُّنيا.

المطلب الثَّاني: عواقب اتِّباع الأعداء في الآخرة.

المبحث الثَّاني: سُبل الوقاية وطُرق العلاج.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: سُبل الوقاية.

المطلب الثَّاني: طُرق العلاج.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النَّتائج والتَّوصيات التي توصل إليها الباحث.

الفهارس العامة: وتشتمل على:

أولًا: فهرس الآيات القرآنية.

ثانيًا: فهرس أطراف الأحاديث النَّبوية.

ثالثًا: فهرس الأعلام المترجم لهم.

رابعًا: فهرس المصادر والمراجع.

الفصل الأول

العَدَاوة ومُشْتَقَّاتـهَا والألفاظ ذات الصِّلة في القرآن الكريم

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف العَدَاوة في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثَّاني: العَدَاوة ومُشْتَقَّاتـها في السِّياق القرآني.

المبحث الثَّالث: الألفاظ ذات الصِّلة "المُقارِبة والمُقابِلة".

المبحث الأول

تعريف العَدَاوة في اللغة والاصطلاح

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف العَدَاوة لغةً.

المطلب الثَّاني: تعريف العَدَاوة اصطلاحًا.

المطلب الثَّالث: العلاقة بين المعنى اللُّغَوي والاصطلاحي.

المبحث الأول

تعريف العَدَاوة في اللغة والاصطلاح

بيَّن الله ﷻ لعباده المؤمنين، طريق الخير والهداية والرَّشاد، وأرشدهم لسُبل الوصول إلى مرضاته ﷻ، وحذَّرهم من اتِّباع الشَّهوات والمنكرات، كما حذرهم من الأعداء الذين يتربَّصون بهم ليل نهار، لصدِّهم عن سبيل الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء:٤٥]، فالمؤمن يعيش في هذه الحياة الدُّنيا، وهو يعلم أنَّ هناك الكثير من الأعداء الذين يُعادونه، ليُثنوه عن المُضي في طريق الإيمان والاستقامة، وليفتنوه في دينه وعقيدته، وفي هذا المبحث سيحاول الباحث الوقوف على معنى العَدَاوة في اللغة والاصطلاح، وذلك على النَّحو التَّالي:

المطلب الأول: تعريف العَدَاوة لغةً.

العَدَاوة مُشتقة من عَدَوَ: "العين والدَّال والحرف المعتل أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يرجع إليه الفروعُ كلُّها، وهو يدلُّ على تجاوُزٍ في الشيء، وتقدمٍ لما ينبغي أن يقتصر عليه"(١).

والعَدُوُ: خلاف الصَّديق، وهو من عَدَا، إذا ظلم، وذئب عُدْوان: يعدو على النَّاس، والعدوان: الظُّلم الصُّراح، والتَّعدي: مجاوزة الشَّيء إلى غيره(٢)، والْعَدو ذُو الْعَدَاوَة للمذكر والمؤنث وَالْوَاحد وَالْجمع، وَقد يُثَنَّى وَيُؤَنث وَيُجمع على عِدَىً وأَعدَاء(٣).

والعَدَاوة: اسمٌ عامٌّ من العَدُوِّ، يُقال: عَدُوٌّ بَيِّنُ العَدَاوة وفلانٌ يُعادِي بني فلان، والعِدَى بكسر العين الأَعْداءُ، ويُقال: في الظُّلْم قد عَدَا فلان عَدْوًا وعُدُوًا وعُدْوانًا وعَدَاءً، أي: ظَلَم ظُلمًا جاوز فيه القَدْر(٤).

---

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس (٤/ ٢٤٩).

(٢) انظر: مجمل اللغة، لابن فارس (١/ ٦٥٢).

(٣) انظر: المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى، وآخرين (٢/ ٥٨٩).

(٤) انظر: لسان العرب، لابن منظور (١٥/ ٣٢)، المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص: ٥٥٣).

المطلب الثَّاني: تعريف العَدَاوة اصطلاحًا.

العَدَاوة عند العسكري[١]هي: إرادة السُّوء لما تعاديه، وأصله الميل، ومنه عدوة الوادي وهي جانبه، ويجوز أن يكون أصله البعد، ومنه عدواء الدَّار أي: بعدها، وعدا الشَّيء يعدوه إذا تجاوزه كأنه بعد عن التَّوسط[٢].

أما العَدَاوة عند الجُرجاني[٣]: "فهي ما يتمكن في القلب من قصد الإضرار والانتقام"[٤]، ومعناها عند ابن عاشور: "كراهيةٌ تصدر عن صاحبها: معاملةٌ بجَفاء أو قطيعة أو إضرارٌ؛ لأنَّ العداوة مُشتقَّة من العَدْو وهو التَّجاوز والتَّباعد، فإنَّ مشتقَّات مادَّة "ع د و" كُلَّها تحوم حول التَّفرُّق وعدم الوِئام"[٥].

ويرى الباحث أنَّ العَدَاوة هي: مجاوزة الحد في الشَّيء بقصد الإضرار والانتقام وإرادة السُّوء، وهي تحمل معنى الكراهية والخصام.

المطلب الثَّالث: العلاقة بين المعنى اللُّغَوي والاصطلاحي.

عند النَّظر في المعنى اللُّغَوي والاصطلاحي للعَدَاوة، فإننا نخلص من ذلك بأنَّ العلاقة بين المعنى اللُّغَوي والاصطلاحي علاقة تكاملٍ وتداخل، فالمعاني الاصطلاحية مُستقاة من المعاني اللُّغَوية.

---

(١) العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد ابن يحيى بن مهران العَسْكَري، أبو هلال: عالم بالأدب، له شعر، نسبته إلى (عسكر مُكرَم) من كور الأهواز، توفي بعد سنة (٣٩٥هـ – ١٠٠٥م). انظر: الأعلام، للزركلي (٢/ ١٩٦).

(٢) انظر: الفروق اللُّغوية، للعسكري (ص: ٣٥٢ – ٣٥٣).

(٣) الجرجاني: علي بن محمد بن علي، المعروف بالشَّريف الجُرجاني (٧٤٠ – ٨١٦ هـ = ١٣٤٠ – ١٤١٣ م)، فيلسوف، من كبار العلماء بالعربية، ولد في تاكو (قرب استراباد)، له نحو خمسين مصنفًا. انظر: الأعلام، للزركلي (٥/ ٧).

(٤) التَّعريفات، للجرجاني (ص: ١٤٨).

(٥) تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، لابن عاشور (٦/ ١٤٨).

المبحث الثَّاني

العَدَاوة ومُشْتَقَّاتها في السِّياق القرآني

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: العَدَاوة ومُشْتَقَّاتها في الآيات المكية.

المطلب الثَّاني: العَدَاوة ومُشْتَقَّاتها في الآيات المدنية.

المبحث الثَّاني

العَدَاوة ومُشْتَقَّاتها في السِّياق القرآني

وردت كلمة العَدَاوة ومُشْتَقَّاتُهَا في القرآن الكريم مائة وثلاث مرات، وهي مُوضَّحة على النَّحو التَّالي:

المطلب الأول: العَدَاوة ومُشْتَقَّاتها في الآيات المكيِّة[1].

م	الصيغة	الآية	رقم الآية	السورة
١	تَعْدُ	﴿...وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾	٢٨	الكهف
٢	يَعْدُون	﴿...وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ...﴾	١٦٣	الأعراف
٣	عَدْوًا	﴿...فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ...﴾	١٠٨	الأنعام
٤	عَدْوًا	﴿...فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا...﴾	٩٠	يونس
٥	عاد	﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ...﴾	١٤٥	الأنعام
٦	عاد	﴿...فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ...﴾	١١٥	النحل
٧	العادون	﴿...فَأُولَئِكَ هُمُ العَادُونَ﴾	٧	المؤمنون
٨	عادون	﴿...بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾	١٦٦	الشعراء
٩	العادون	﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ العَادُونَ﴾	٣١	المعارج
١٠	معتد	﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ﴾	٢٥	ق

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي (ص: ٤٤٩ - ٤٥٠).

م	الصيغة	الآية	رقم الآية	السورة
١١	معتد	﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾	١٢	القلم
١٢	معتد	﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾	١٢	المطففين
١٣	المعتدين	﴿...إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾	١١٩	الأنعام
١٤	المعتدين	﴿...إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾	٥٥	الأعراف
١٥	المعتدين	﴿...كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾	٧٤	يونس
١٦	عَدُوٌّ	﴿...إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾	١٤٢	الأنعام
١٧	عَدُوٌّ	﴿...إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾	٢٢	الأعراف
١٨	عَدُوٌّ	﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ...﴾	٢٤	الأعراف
١٩	عَدُوٌّ	﴿...إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾	٥	يوسف
٢٠	عَدُوٌّ	﴿...أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾	٥٠	الكهف
٢١	عَدُوٌّ	﴿...يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي...﴾	٣٩	طه
٢٢	عَدُوٌّ	﴿...وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي...﴾	٣٩	طه
٢٣	عَدُوٌّ	﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ...﴾	١١٧	طه
٢٤	عَدُوٌّ	﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ...﴾	١٢٣	طه
٢٥	عَدُوٌّ	﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾	٧٧	الشعراء

م	الصيغة	الآية	رقم الآية	السورة
٢٦	عَدُوٌّ	﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾	١٥	القصص
٢٧	عَدُوٌّ	﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا...﴾	١٩	القصص
٢٨	عَدُوٌّ	﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ...﴾	٦	فاطر
٢٩	عَدُوٌّ	﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾	٦٠	يس
٣٠	عَدُوٌّ	﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾	٦٢	الزخرف
٣١	عَدُوٌّ	﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾	٦٧	الزخرف
٣٢	عَدُوًّا	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي...﴾	١١٢	الأنعام
٣٣	عَدُوًّا	﴿...إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾	٥٣	الإسراء
٣٤	عَدُوًّا	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾	٣١	الفرقان
٣٥	عَدُوًّا	﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا...﴾	٨	القصص
٣٦	عَدُوًّا	﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا..﴾	٦	فاطر
٣٧	عدوكم	﴿...قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾	١٢٩	الأعراف

م	الصيغة	الآية	رقم الآية	السورة
٣٨	عدوكم	﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ...﴾	٨٠	طه
٣٩	عدوه	﴿...فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ...﴾	١٥	القصص
٤٠	عدوه	﴿...فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ...﴾	١٥	القصص
٤١	الأعداء	﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾	١٥٠	الأعراف
٤٢	أعداء	﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾	١٩	فصلت
٤٣	أعداء	﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللهِ النَّارُ...﴾	٢٨	فصلت
٤٤	أعداء	﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً...﴾	٦	الأحقاف
٤٥	عداوة	﴿...فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ...﴾	٣٤	فصلت
٤٦	عدوان	﴿أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ...﴾	٢٨	القصص

المطلب الثَّاني: العَدَاوة ومُشْتَقَّاتها في الآيات المدنيَّة[1].

م	الصيغة	الآية	رقم الآية	السورة
١	تَعْدُوا	﴿...وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾	١٥٤	النساء
٢	عَاديتُم	﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللهُ قَدِيرٌ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	٧	الممتحنة
٣	يَتَعَدَّ	﴿...وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾	٢٢٩	البقرة
٤	يَتَعَدَّ	﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾	١٤	النساء
٥	يَتَعَدَّ	﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ...﴾	١	الطلاق
٦	اعتدى	﴿...فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	١٧٨	البقرة
٧	اعتدى	﴿...فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ...﴾	١٩٤	البقرة
٨	اعتدى	﴿..فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ...﴾	١٩٤	البقرة
٩	اعتدى	﴿...فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	٩٤	المائدة
١٠	اعتدوا	﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ...﴾	٦٥	البقرة
١١	اعتدينا	﴿...لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا...﴾	١٠٧	المائدة
١٢	تعتدوا	﴿...وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ...﴾	١٩٠	البقرة

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي (ص: ٤٤٩ – ٤٥٠).

م	الصيغة	الآية	رقم الآية	السورة
١٣	تعتدوا	﴿...وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا...﴾	٢٣١	البقرة
١٤	تعتدوا	﴿...وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا...﴾	٢	المائدة
١٥	تعتدوا	﴿...وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ...﴾	٨٧	المائدة
١٦	تعتدوها	﴿...تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا...﴾	٢٢٩	البقرة
١٧	يعتدون	﴿...ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾	٦١	البقرة
١٨	يعتدون	﴿...وَيَقْتُلُونَ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾	١١٢	آل عمران
١٩	يعتدون	﴿...ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾	٧٨	المائدة
٢٠	فاعتدوا	﴿...فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ...﴾	١٩٤	البقرة
٢١	عاد	﴿...فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ...﴾	١٧٣	البقرة
٢٢	المعتدون	﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾	١٠	التوبة
٢٣	المعتدين	﴿...إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾	١٩٠	البقرة
٢٤	المعتدين	﴿...إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾	٨٧	المائدة
٢٥	عَدُوٌّ	﴿...وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ...﴾	٣٦	البقرة

م	الصيغة	الآية	رقم الآية	السورة
٢٦	عَدُوٌّ	﴿...فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾	٩٨	البقرة
٢٧	عَدُوٌّ	﴿...إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾	١٦٨	البقرة
٢٨	عَدُوٌّ	﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾	٢٠٨	البقرة
٢٩	عَدُو	﴿...فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ...﴾	٩٢	النساء
٣٠	عَدُو	﴿...تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ...﴾	٦٠	الأنفال
٣١	عَدُوٌّ	﴿...فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ للهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ...﴾	١١٤	التوبة
٣٢	عَدُو	﴿...وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾	١٢٠	التوبة
٣٣	العدو	﴿...هُمُ العَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ...﴾	٤	المنافقون
٣٤	عَدُوًّا	﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ...﴾	٩٧	البقرة
٣٥	عَدُوًّا	﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا للهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ... ﴾	٩٨	البقرة
٣٦	عَدُوًّا	﴿...إِنَّ الكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾	١٠١	النساء
٣٧	عَدُوًّا	﴿...وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا...﴾	٨٣	التوبة
٣٨	عَدُوًّا	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ...﴾	١٤	التغابن
٣٩	عدوكم	﴿...تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ...﴾	٦٠	الأنفال

السورة	رقم الآية	الآية	الصيغة	م
الممتحنة	١	﴿... يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ...﴾	عدوكم	٤٠
الصف	١٤	﴿...فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾	عدوهم	٤١
الممتحنة	١	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي...﴾	عدوي	٤٢
آل عمران	١٠٣	﴿...إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ...﴾	أعداء	٤٣
الممتحنة	٢	﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً...﴾	أعداء	٤٤
النساء	٤٥	﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ...﴾	بأعدائكم	٤٥
المائدة	٨٢	﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آَمَنُوا اليَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا...﴾	عداوة	٤٦
المائدة	١٤	﴿...فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ...﴾	العَدَاوة	٤٧
المائدة	٦٤	﴿...وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ...﴾	العَدَاوة	٤٨
المائدة	٩١	﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ...﴾	العَدَاوة	٤٩
الممتحنة	٤	﴿...وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ العَدَاوَةُ وَالبَغْضَاءُ..﴾	العَدَاوة	٥٠
البقرة	١٩٣	﴿...فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾	عدوان	٥١

م	الصيغة	الآية	رقم الآية	السورة
٥٢	العدوان	﴿...تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالعُدْوَانِ...﴾	٨٥	البقرة
٥٣	العدوان	﴿...وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ...﴾	٢	المائدة
٥٤	العدوان	﴿...يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ...﴾	٦٢	المائدة
٥٥	العدوان	﴿...وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ...﴾	٨	المجادلة
٥٦	العدوان	﴿...فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالعُدْوَانِ...﴾	٩	المجادلة
٥٧	عدوانًا	﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا...﴾	٣٠	النساء

من خلال الاطِّلاع على الجدولين السَّابقين للعَدَاوة ومشتقاتها في الآيات المكية والآيات المدنيَّة يمكن الوقوف على الملاحظات واللطائف التَّالية:

١- وردت كلمة العَدَاوة ومشتقاتها في القرآن الكريم مائة وثلاث مرات، منها ست وأربعون مرة في السُّور المكيَّة، وسبع وخمسون مرة في السُّور المدنيَّة، في أربع وتسعين آية، منها ثلاثٌ وأربعون آية مكيَّة، وإحدى وخمسون آية مدنيَّة، وقد جاءت هذه الآيات في أربع وثلاثين سورة من كتاب الله ﷻ، منها اثنتان وعشرون سورة مكيَّة، واثنتا عشرة سورة مدنيَّة.

٢- إنَّ المتأمل لهذه الآيات يُدرك أن العَدَاوة في القرآن الكريم جاءت بمعانٍ مُتقاربة في جميع المواضع، وهي: المجاوزة وتجاوز الحدِّ، والظُّلم، والتَّعدي والاعتداء، ولكن يختلف المراد من هذه المعاني حسب السِّياق الذي وردت فيه؛ لذلك لا بُدَّ من تقسيم الآيات إلى مجموعتين حتى يتَّضحَ الأمر على النَّحو التَّالي:

- **المجموعة الأُولى:** الآيات التي نهت المؤمنين عن العَدَاوة والاعتداء بصوره المختلفة والتي من الممكن أن نُطلق عليها العَدَاوة المُحرَّمة، وذلك على النَّحو التَّالي:

أ- الاعتداء بسبِّ آلهة الذين يدعون من دون الله ﷻ، فيَسُبُّوا اللهَ تعالى ظُلْمًا بغير علم، وهذا يُوضِّحُ لنا تعاليم ديننا الحنيف في التَّعامل مع المخالفين؛ بل مع المشركين بروح الإسلام الرَّحيم الذي يَنهى عن الاعتداء على حقوق الآخرين حتى وإن كانوا مشركين! فما بالنا اليوم وللأسف الشَّديد يعتدي بعض المسلمين على إخوانهم المسلمين، أليس المسلمُ أولى بهذه التَّعاليم مع أخيه المسلم؟ والنَّهيُ أيضًا من باب أن لا يُستَفَزَّ المشرك فيسُبَّ اللهَ تعالى ظلمًا وجهلًا كردِّ فعلٍ طبيعي على سبِّ آلهته.

ب- الاعتداء على حدود الله ﷻ بتجاوز الحلال إلى الحرام، فهؤلاء وصَفَهُم الله ﷻ بالعادين المعتدين الذين يعتدون على حدود الشَّرع، ويتجاوزون الحد في الظُّلم والاعتداء على أوامر الله ﷻ، وما أكثرهم في أيامنا هذه، فالذين يتعاملون بالربا مثلًا لحجج واهية، أليسوا من المعتدين على حدود الله تعالى؟ وغير ذلك من التَّجاوزات التي لا حصر لها، فهذا تَعَدٍّ صارخ على أحكام الشَّريعة الإسلامية، وحريٌّ بالمسلم أن يكون وقَّافًا عند حدود الله تعالى، وأن يلتزم بما أمر الله ﷻ به من أوامر، وأن ينتهي عمَّا نهى الله ﷻ عنه من نواهٍ؛ حتى لا يكون من أولئك الذين يتجرؤون بالاعتداء على حدود الله ﷻ.

ت- النَّهي عن العَدَاوة والاعتداء بين المسلمين أنفسهم، كالاعتداء على حقوق الآخرين في أنفسهم أو أموالهم، فهذه أيضًا من صور الاعتداء المُحرَّم الذي نَهى الله تعالى عنه في كتابه العزيز، وكالعَدَاوة بين المؤمنين التي تَنتُج عن خلافات ومشاحنات تسبب الحقد والكراهية بين أفراد المجتمع الإسلامي، بل إنَّ القرآن الكريم لم ينهَ فقط عن تجنب هذه العَدَاوات، بل أمرنا أن نُصلح بين إخواننا المسلمين وبشَّرنا أن هذه العَدَاوة ستتحول إلى صداقةٍ حميمة بعد ذلك.

- **المجموعة الثَّانية:** الآيات التي أمرت المؤمنين بالعَدَاوة واتِّخاذ بعض الأصناف أعداءً لهم، والتي من الممكن أن نُطلق عليها العَدَاوة الواجبة، والتي هي مدار بحثنا هذا، وذلك على النَّحو التَّالي:

أ- ركَّزت الآيات بشكلٍ ملحوظ على عَدَاوة الشَّيطان، فقد وردت ثمانيَ عشرةَ آية تحدثت عن هذا العدو اللعين، مما يدلُّ على خطورة هذا العدو، ووجوب اتِّخاذه عدوًا، والحذر من الوقوع في شباكه، وأنه عدوٌّ البشرية جمعاء.

ب- نَبَّهت الآيات إلى عداوة المشركين صراحةً، ووجوب اتِّخاذهم أعداء في مواضع عديدة، وأظهرت أنهم أعداء الله ﷻ، وأنَّ مصيرهم جهنم وبئس المصير، كما تحدثت عن عداوة المنافقين وضرورة الحذرِ منهم، لما يُشَكِّلونه من خطرٍ جسيمٍ على المسلمين.

ت- كما أنَّ الآيات بَيَّنت للمسلمين أشَدَّ أعدائِهم، ألَا وهم اليهود والمشركون، فهؤلاء من أشدِّ النَّاس معاداةً للإسلام والمسلمين، وأكثرهم سعيًا في إيصال الضَّرر إليهم؛ وذلك لشدَّة بُغضهم لهم، بغيًا وحسدًا وعنادًا وكفرًا، وليس أدلَّ على ذلك، ممَّا يفعله اليهود اليوم في فلسطين من تدنيسٍ للمسجد الأقصى واغتصابٍ لأراضينا ومقدساتنا بغير وجه حق، فمعركتنا معهم مستمرة إلى قيام السَّاعة، ومصيرهم إلى زوال بإذن الله ﷻ.

ث- ذُكر صنفٌ من الأعداء قد يَغفل عنه كثيرٌ من النَّاس، ألا وهو الصَّاحب السُّوء أو الخليل الشِّرير، الذي يُطغي ويُغوي صاحبه، فهما أعداءٌ لبعضهم البعض يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله ﷻ بقلبٍ سليم.

٣- إنَّ من أهم اللطائف التي نستخلصها من هذه الآيات هي ضرورة اتِّباع المنهج الخالد ودستور هذه الأمة القرآن الكريم في تقرير ما ينبغي على المسلم في تحديد علاقته بالآخرين، فلا بدَّ للمسلم أن يُسلِّم لأوامر الله ﷻ، وأن يكون القرآن الكريم الحَكَم في حياة كلِّ واحدٍ منا، وهذا ما تقرره عقيدة الولاء والبراء في حياة المسلم.

الخُلاصة:

يتَّضح مما سبق أن معنى العَدَاوة في اللغة والاصطلاح مُتقارِب جدًا، فالعَدَاوة تعني التَّجاوز والتَّباعد وعدم الوئام، وتحمل معنى الكراهية والخصام، كما أننا لاحظنا أنَّ كلمة العَدَاوة ومشتقاتها وردت كثيرًا في القرآن الكريم في مواضع متفرقة، مما يدلُّ على أهمية هذا الموضوع القرآني، وضرورة الانتباه إلى تفسير هذه الألفاظ حسب السِّياق القرآني التي وردت فيه، والالتفات إلى أنَّ هناك كثيرًا من الأعداء يكيدون للمسلمين المكائد، ويتربصون بهم الدَّوائر ليل نهار؛ لِيَرُدُّوهم عن دينهم والعياذ بالله، فحريٌّ بنا أن نتمسك بديننا وقرآننا فهو طريقنا نحو الفلاح والنَّجاح في الدُّنيا والآخرة، وهو نبراسٌ يضيء لنا الطَّريق وسلاحٌ قويٌّ في وجه أعدائنا. والله تعالى أعلم.

المبحث الثَّالث

الألفاظ ذات الصِّلة "المُقارِبة والمُقابِلة"

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الألفاظ المُقارِبة.

المطلب الثَّاني: الألفاظ المُقابِلة.

المبحث الثَّالث

الألفاظ ذات الصِّلة "المُقارِبة والمُقابِلة"

سيتناول الباحث في هذا المبحث الألفاظ ذات الصِّلة بلفظة العَدَاوة "المُقارِبة والمُقابِلة" التي وردت في القرآن الكريم، فالألفاظ المُقارِبة هي: الخُصُومة، والبَغْضَاء، والشَّنَئَان، وأما الألفاظ المُقابلة فهي: الصَّاحِبُ، والأَخ، والصَّدِيق، والقَرِين، والنَّصِير، والوَلِيُّ، والمَودَّة، والخَلِيل، والعَشِير، وبيان ذلك فيما يلي:

المطلب الأول: الألفاظ المُقارِبة.

ويشتمل على ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: الخُصُومة.

أولًا: تعريف الخُصُومة لغةً.

"الخُصومَةُ: الجَدَلُ، خاصَمَه خِصامًا ومُخاصَمَةً فَخَصَمَهُ يَخْصِمهُ خَصْمًا: غَلَبَهُ بِالْحُجَّةِ، والخُصومَةُ الِاسْمُ مِنَ التَّخاصُمِ والاخْتِصامِ، والخَصْمُ: مَعْرُوفٌ، واخْتَصَمَ القومُ وتَخاصَموا، وخَصْمُكَ: الَّذِي يُخاصِمُكَ، وَجَمْعُهُ خُصُومٌ، وَقَدْ يَكُونُ الخَصْمُ لِلِاثْنَيْنِ وَالْجَمْعُ وَالْمُؤَنَّثُ"[(١)]، "والاختِصامُ: افتعَالٌ من الخُصُومة، وهي الجَدَل والاختلافُ بالقول، يُقال: خَاصَمَهُ وَاخْتَصَمَا، وهو من الأفعال المُقتضية جانبين؛ فلذلك لم يُسمع منه فعل مُجرَّدٌ إلا إذا أريد منه معنى الغَلَبِ في الخُصُومة؛ لأنه بذلك يصير فاعلُهُ واحدًا"[(٢)].

ثانيًا: تعريف الخُصُومة اصطلاحًا.

"الْخُصُومة: اسْمٌ لِكَلَامٍ يجري بين اثْنَيْنِ على سبيل الْمُنَازَعَةِ وَالْمُشَاحَّةِ"[(٣)].

ثالثًا: الفرقُ بين الخُصُومة والعَدَاوة:

تبين من خلال استعراضنا للفظة الخُصُومة والعَدَاوة في اللُّغة والاصطلاح يتَّضح "أنَّ المُخاصمَة من قبيل القول، والمُعاداة من أفعال القلوب، ويجوز أن يُخاصِم الإنسان غيره من

---

(١) لسان العرب، لابن منظور (١٢/ ١٨٠).

(٢) تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، لابن عاشور (١٧/ ٢٢٨).

(٣) المبسوط، للسَّرخسي (١٩/ ٥).

غير أن يعاديه ويجوز أن يُعاديه ولا يُخاصمه"[١].

المسألة الثَّانية: البَغْضَاء.

أولًا: تعريف البَغْضَاء لغةً.

بَغَضَ: "الباء والغين والضَّاد أصلٌ واحدٌ، وهو يدلُّ على خلاف الحُبّ، يُقال: أبغَضْتُه أُبْغِضُه"[٢].

ثانيًا: تعريف البَغْضَاء اصطلاحًا.

البُغْض: نفور النَّفْس عن الشَّيء الذي ترغب عنه، وهو ضد الحبِّ، فإنَّ الحبَّ انجذاب النَّفس إلى الشَّيء الذي ترغب فيه[٣].

ثالثًا: الفرق بين البَغْضَاء والعَدَاوة:

تبين من خلال استعراضنا للفظة البَغْضاء والعَدَاوة في اللغة والاصطلاح يتَّضح أنَّ البَغْضَاء: "إِرَادَة الاستحقار والإهانة ونقيضُها الْمحبَّة، وَهُوَ إرادة الإعظام والإجلال، والْعَدَاوَة: البعاد من حَال النُّصْرَة، ونقيضها الْوَلَايَة وَهِي الْهَرَب من حَال النُّصْرَة"[٤]، قال الله تعالى: ﴿ **وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ** ﴾ [المائدة:٦٤]، قال طنطاوي: "العَدَاوة والبَغْضَاء يرى بعضهم أنهما اسمان لمعنى واحد، ويرى آخرون أن معناهما مختلف، فالعداوة معناها المُناوأة الظَّاهرة، والبَغْضَاء هي الكراهية التي تكون في القلب، فهما معنيان متغايران وإن كانا متلازمين أحيانًا، فلا عَدَاوة من غير بَغْضَاء، ولكن قد يفترقان فتوجد البَغْضَاء من غير إعلان للعَدَاوة"[٥].

ويؤكِّد هذا المعنى ما قاله ابن عطية في تفسيره: "أن الْعَداوَةَ أخصُّ من الْبَغْضاءِ؛ لأن كل عدو فهو يُبغَض وقد يُبغَض من ليس بعدو، وكأنَّ العَدَاوة شيء مُشتهر يكون عنه عمل وحرب، والبَغْضَاء قد لا تجاوز النُّفوس"[٦]، إذًا فالعَدَاوة تكون ظاهرة بالأفعال، والبَغْضَاء مُستَتِرة في القلوب.

---

(١) الفروق اللغوية، للعسكري (ص: ١٣١).

(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس (١/ ٢٧٣).

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص: ١٣٦)، التَّوقيف على مهمات التَّعاريف، للمناوي (ص: ٨١).

(٤) الفروق اللغوية، للعسكري (ص: ١٣١).

(٥) التَّفسير الوسيط، لطنطاوي (٤/ ٢١٨).

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٢/ ٢١٦).

المسألة الثَّالثة: الشَّنَئَان.

أولًا: تعريف الشَّنَئَان لغةً.

شَنَأَ: الشَّين والنُّون والهمزة أصلٌ يدلُّ على البِغضة والتَّجنُّب للشَّيء، من ذلك الشَّنُوءَة، وهي التَّقَزُّز، ويقال: شَنِئَ فُلانٌ فلانًا إذا أَبغَضَه، وهو الشَّنئان، وربما خَفَّفوا فقالوا: الشَّنَان، والشنْءُ: الشَّنَئَان أيضًا، ورجلٌ مِشناءٌ على مِفعال، إذا كان يُبْغِضُه النَّاسُ[1].

ثانيًا: تعريف الشَّنَئَان اصطلاحًا.

الشَّنَئَان: "طلب الْعَيْب على فعل الْغَيْر لما سبق من عداوته"[2]، والشَّنَئَان كذلك: شدَّة البغض والعَدَاوة[3].

ثالثًا: الفرق بين الشَّنَئَان والعَدَاوة:

يتَّضح من خلال استعراضنا للفظة الشَّنئان والعَدَاوة في اللُّغة والاصطلاح أنَّ الشَّنَئَان: طلبُ العَيب على فعل الغير لما سبق من عداوته، وليس هو من العَدَاوة في شيء، وإنما أُجري على العَدَاوة؛ لأنها سببه، وقد يُسمى المُسَبب باسم السَّبَب، والعَدَاوة: هي إرادة السُّوء لما تعاديه، وأصله الميل ومنه عدوة الوادي وهي جانبه، ويجوز أن يكون أصله البعد، ومنه عدواء الدَّار أي: بعدها، وعدا الشَّيء يعدوه إذا تجاوزه كأنه بعد عن التَّوسُّط[4].

المطلب الثَّاني: الألفاظ المُقابلة.

ويشتمل على تسع مسائل:

المسألة الأولى: الصَّاحب.

أولًا: تعريف الصَّاحب لغةً.

صَحِبَ: الصَّاد والحاء والباء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على مقارَنة شيءٍ ومقاربته، من ذلك الصَّاحب والجمع الصَّحْب، كما يُقال: راكبٌ ورَكْبٌ، وأَصْحَبَ الرَّجُل، إذا بلغَ ابنُهُ، وكلُّ شيءٍ

(١) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (٣/ ٢١٧).

(٢) الفروق اللغوية، للعسكري (ص: ١٣١).

(٣) انظر: الكليات، للكفوي (ص: ٥٤١).

(٤) انظر: الفروق اللغوية، للعسكري (ص: ١٣١).

لازمَ شيئًا فقد اسْتَصْحَبَه[1].

والصَّاحِبُ: المُرافقُ ومالك الشَّيء والقائم على الشَّيء، والصَّاحبة الزَّوجة، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن:٣][2].

ثانيًا: تعريف الصَّاحب اصطلاحًا.

الصَّاحِبُ: الملازمُ إنسانًا كان أو حيوانًا أو مكانًا أو زمانًا، ولا فرق بين أن تكون مُصَاحَبَتُهُ بالبدن -وهو الأصلُ والأكثر- أو بالعناية والهمَّة، ولا يُقال في العُرْف إلَّا لمن كثُرت ملازمته، ويُقال: للمالك للشَّيء: هو صاحبه، وكذلك لمن يملك التَّصرُّف فيه، قال الله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ﴾ [التوبة:٤٠]، والمُصَاحَبَةُ والِاصْطِحَابُ أبلغ من الاجتماع؛ لأنَّ المصاحبة تقتضي طول لبثه، فكلّ اصْطِحَابٍ اجتماع وليس كلُّ اجتماع اصطحابًا[3].

المسألة الثَّانية: الأَخ.

أولًا: تعريف الأخ لغةً.

أخ: الهمزة والخاء أصلان: أحدهما: تأوُّه أو تكرُّه، والأصل الآخَر: طعامٌ بعينه، وأَخّ: كلمة تُقال عند التأوُّه، ويُقال: إنَّ أخٍّ كلمة تُقال عند التكرُّه للشَّيء[4].

ثانيًا: تعريف الأخ اصطلاحًا.

الأخ: "هو النَّاشئ معَ أخيه من مَنْشأ واحد على السَّواء المُشارك لآخر في الولادة من الطَّرفين أو أحدهما أو الرَّضاع، ويُستعار لكل مشارك في قبيلة أو دين أو حرفة أو معاملة أو مَودَّة ونحوه من المُناسبات"[5].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (٣/ ٣٣٥).

(٢) انظر: المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى، وآخرين (١/ ٥٠٧).

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص: ٤٧٥ - ٤٧٦).

(٤) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (١/ ١٠).

(٥) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص: ١٣)، التَّوقيف على مهمات التَّعاريف، للمناوي (ص: ٤١ - ٤٢).

المسألة الثَّالثة: الصَّدِيق.

أولًا: تعريف الصَّديق لغةً.

صَدَقَ: الصَّاد والدَّال والقاف أصلٌ يدلُّ على قوّةٍ في الشَّيء قولًا وغيرَه، من ذلك الصِّدْق: خلاف الكَذِبَ، سُمِّي لقوَّته في نفسه؛ ولأنَّ الكذِب لا قُوَّة له هو باطلٌ، والصَّدَاقة مشتقَّة من الصِّدق في المودَّة، ويُقال: صَدِيق للواحد وللاثنين وللجماعة وللمرأة، وربَّما قالوا أصدقاء وأصادق[(١)].

ثانيًا: تعريف الصَّديقُ اصطلاحًا.

الصَّديق: الصَّاحبُ الصَّادِق الود، والصَّداقة: علاقَة مَوَدَّة ومحبة بين الأصدقاء[(٢)]، والصَّداقة: "صِدق الاعتقاد في المودة، وذلك يختصُّ بالإنسان دون غيره"[(٣)].

المسألة الرَّابعة: القَرِين.

أولًا: تعريف القَرِين لغةً.

الِاقْتِرَانُ كالازدواج في كونه اجتماعُ شيئين أو أشياء في معنى من المعاني، قال الله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ [الصافات:٥١]، وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ [ق:٢٣]، إشارة إلى شهيده وجمعه: قُرَنَاءُ[(٤)]، والقَرين: الْمُقَارن والمُصاحِب وَالزَّوْج وَالْبَعِير المقرون بآخر والأسير[(٥)]، ومنه قُرِّنَتِ الْأَسَارَى فِي الحِبَالِ شُدِّدَ لِلْكَثْرَةِ، قَال الله تعالى: ﴿مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ﴾ [إبراهيم:٤٩][(٦)].

ثانيًا: تعريف القَرين اصطلاحًا.

"القَرينُ: يكون في الخير والشَّر، وكلُّ إنسانٍ معه قرين، فقَرِينُه من الملائكة يأمره بالخير ويحثه عليه، وقَرِينه من الشَّياطين يأمره بالشَّر ويحثه عليه"[(٧)]، والقرين: الصَّاحِب،

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (٣/ ٣٣٩ - ٣٤٠).

(٢) انظر: المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى، وآخرين (١/ ٥١١).

(٣) التَّوقيف على مهمات التَّعاريف، للمناوي (ص: ٢٣١).

(٤) انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص: ٦٦٧).

(٥) انظر: المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى، وآخرين (٢/ ٧٣١).

(٦) انظر: مختار الصِّحاح، للرَّازي (ص: ٢٥٢).

(٧) النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٤/ ٥٤).

وقرينة الرَّجل: امرأته(١).

المسألة الخامسة: النَّصير.

أولًا: تعريف النَّصير لغةً.

نَصَرَ: "النُّون والصَّاد والرَّاء أصلٌ صحيح يدلُّ على إتيان خَيرٍ وإيتائه، ونَصَر اللهُ المسلمين: آتاهمُ الظّفرَ على عدوِّهم، ينصرهم نَصْرًا"(٢).

"والنَّصير: النَّاصر وجمعه أنصار، كشريف وأشراف، وجمع النَّاصر نَصْر كصاحب وصَحْب"(٣)، ويُطلق على الله تعالى النَّصير، كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ**﴾ [الأنفال:٤٠].

ثانيًا: تعريف النَّصير اصطلاحًا.

النَّصْر والنُّصرة: العون(٤)، وأخوان نَصيران: أي: هما أخَوانِ يَتَنَاصَرَانِ ويَتعاضَدانِ(٥).

المسألة السَّادسة: الوَلِيُّ.

أولًا: تعريف الوَلِي لغةً.

وَلِيَ: "الواو واللام والياء أصلٌ صحيح يدلُّ على قرب، من ذلك الوَلْيُ: القرْب، يُقال: جَلَسَ ممَّا يَلِيني، أي: يُقارِبُني"(٦).

والوَلِيُّ: كلُّ من وَلِيَ أمرًا أو قام به والنَّصير والمُحبُّ والصَّديق ذَكَرًا، وقد يُؤنث بالتَّاء، والحليف، والصِّهر والجار والعقيد والتَّابع والمعتق والمطيع، يُقال: المؤمن وليُّ الله، ووليُّ العهد: وارث الملك، ووليُّ المرأة: من يلي عقد النِّكاح عليها ولا يدعها تستبدُّ بعقد النِّكاح من دونه،

---

(١) انظر: مختار الصِّحاح، للرَّازي (ص: ٢٥٢).

(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/ ٤٣٥).

(٣) مختار الصِّحاح، للرَّازي (ص: ٣١١).

(٤) انظر: التَّوقيف على مهمات التَّعاريف، للمناوي (ص: ٣٢٥).

(٥) انظر: النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٥/ ٦٣).

(٦) مقاييس اللغة، لابن فارس (٦/ ١٤١).

ووليُّ اليتيم: الذي يلي أمره ويقوم بكفايته، والوَلِيُّ جمع أولياء[1].

ثانيًا: تعريف الوَلِيُّ اصطلاحًا.

قال الكفوي[2]: "الوَلِيُّ: كل من يليك أَو يُقاربك فَهُوَ ولي"[3]، وقال الرَّازي[4]: "الْوَلِيّ: ضد الْعَدو، وكل من ولي أَمر أحد فَهُوَ وليُّه"[5].

المسألة السَّابعة: المَودَّة.

أولًا: تعريف المَودَّة لغةً.

الودُّ: محبَّة الشَّيء وتمنِّي كونه، ويُستعمل في كلِّ واحدٍ من المعنيين على أن التَّمنِّي يتضمّن معنى الودّ؛ لأنَّ التَّمنِّي هو تشهِّي حصول ما تَوَدُّهُ، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم:٢١]، فإشارة إلى ما أوقع بينهم من الألفة، وفلان وديد فلان: مواده[6].

ثانيًا: تعريف المَودَّة اصطلاحًا.

"المَودَّة: حبٌّ نفسيٌّ يجعل صاحبه يتقرب إلى من يوده بالخير ودفع الشَّر"[7].

المسألة الثَّامنة: الخَلِيل.

أولًا: تعريف الخليل لغةً.

الخليل: الصَّديق الخالص، والخُلَّة بالضم: الصَّدَاقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله: أي في باطنه[8]، والخِلُّ: الوُدُّ والصَّدِيق، والجمع أَخِلَّاء وخُلَّان، والأُنثى خَلِيلة، والجمع

(١) انظر: المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى، وآخرين (٢/ ١٠٥٨).

(٢) الكفوي: أَبُو أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البَقاء: كان مولده سنة (١٠٩٤م)، صاحب (الكليّات) كان من قضاة الأحناف، عاش وولي القضاء في (كفه) بتركيا، وبالقدس، وببغداد، وعاد إلى إستانبول فتوفي بها، سنة (١٦٨٣م). انظر: الأعلام، للزركلي (٢/ ٣٨).

(٣) الكليات، للكفوي (ص: ٩١٨).

(٤) الرَّازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرَّازي، زين الدِّين: من فقهاء الحنفية، وله علم بالتَّفسير والأدب، توفي سنة (٦٦٦هـ – ١٢٦٨م). انظر: الأعلام، للزركلي (٦/ ٥٥).

(٥) مختار الصِّحاح، للرازي (ص: ٣٤٥).

(٦) انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص: ٨٦٠ – ٨٦١).

(٧) أيسر التَّفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر الجزائري (٢/ ٤).

(٨) انظر: المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى، وآخرين (١/ ٢٥٣).

خَلِيلات، وقيل للصَّدَاقَة خُلَّة؛ لأَن كلَّ واحِدٍ مِنْهُمَا يَسُدُّ خَلَل صَاحبه في المَوَدَّةِ وَالحَاجَةِ إليه[١]، عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: "الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ"[٢].

ثانيًا: تعريف الخَليلُ اصطلاحًا.

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥]، فالخَليل: "الصَّدِيق فَعِيل بمعنى مُفاعِل، وقد يكُون بمعنى مفعول وإنَّما قال ذلك؛ لأنَّ خُلَّتَه كانت مَقْصُورَة على حُبِّ الله ﷻ، فليس فيها لِغَيْرِهِ مُتَّسَع ولا شَرِكَة من مَحابِّ الدُّنيا والآخرة، وهذه حَال شَرِيفَة لا يَنَالها أحدٌ بِكسْب واجْتِهاد فإنَّ الطِّبَاع غالبَة، وإنَّما يَخُصُّ الله ﷻ بها من يشاء من عِبَادِه، مِثْل سَيِّد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه"[٣]، عن ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- عن النَّبي ﷺ قال: "لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا، لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي"[٤].

المسألة التَّاسعة: العَشِير.

أولًا: تعريف العَشِير لغةً.

عَشَرَ: العين والشِّين والرَّاء أصلانِ صحيحان: أحدهما في عددٍ معلوم ثم يحمل عليه غيرُه، والآخَر يدلُّ على مداخَلةٍ ومُخالَطة، فأمَّا الأصل الآخَر الدَّالُّ على المخالطة والمداخَلة فالعِشْرة والمعاشَرة، وعَشِيرُك: الذي يُعاشِرُك، ولم يُسمع للعَشِير جمعًا، لا يكادون يقولون هم عُشَراؤك، وإذا جمعوا قالوا: هم مُعاشِرُوك، وإنّما سمِّيت عَشِيرة الرَّجُل لمعاشرةِ بعضهم بعضًا، حتَّى الزَّوجُ عشيرُ امرأتِه[٥].

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور (١١/ ٢١٧ – ٢١٨).

(٢) سنن التِّرمذي، كتاب: الزُّهد، باب: ما جاء بأخذ المال، (ح٢٣٧٨)، (٤/ ١٦٧)، قال التِّرمذي: "هذا حديث حسن غريب"، وقال الألباني: "حسن". سلسلة الأحاديث الصَّحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للألباني (٢/ ٥٩٨).

(٣) النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/ ٧٢).

(٤) صحيح البخاري، كتاب: أصحاب النَّبي ﷺ، باب: قول النَّبي ﷺ لو كنت متخذًا، (ح٣٦٥٦)، (٥/ ٤).

(٥) انظر: الفروق اللغوية، للعسكري (٢/ ٣٢٤ – ٣٢٦).

ثانيًا: تعريف العشير اصطلاحًا.

العَشِيرُ: المُعَاشِرُ قريبًا كان أو مَعارِف، والعَشِيرَةُ: اسمٌ لكلِّ جماعة من أقارب الرَّجل الذين يُتكثَّر بهم، وَعاشَرْتُهُ: صِرت له كَعَشَرَةٍ في المصاهرة(١).

والعَشِير: "المُعَاشِر، أي: الزَّوج كالمُصَادِق فِي الصَّديق؛ لأنها تُعَاشِرُه ويُعَاشِرُها، وهو فَعِيلٌ، من العِشْرَة: الصُّحبة"(٢) قال الله تعالى: ﴿يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ المَوْلَى وَلَبِئْسَ العَشِيرُ﴾ [الحج:١٣].

الخُلاصة:

تبين من خلال النَّظر في الألفاظ المُقارِبة والمُقابِلة للفظة العَدَاوة في القرآن الكريم، نستنتج أنَّ كل لفظةٍ من هذه الألفاظ تحمل معنىً مختلفًا عن اللفظة الأُخرى، وإن تقاربت المعاني بشكلٍ كبير، لكن يبقى هناك فروقٌ دقيقة، تُثبت ألَّا ترادف في القرآن، بمعنى أن كل كلمةٍ في القرآن لها معناها المستقل حسب السِّياق والموضع الذي تقع فيه، وهذا من إعجاز القرآن الكريم أنَّ كل لفظة تؤدي معنىً دقيقًا يحمل مدلولات عميقة، كما رأينا مثلًا عندما اقترنت لفظة العَدَاوة والبَغْضَاء في نفس الآية وجدنا أنَّ كلًا منهما يحمل معنىً يختلف عن الآخر، وإنْ كان الظَّاهر أنهما يحملان نفس المعنى، فالعَدَاوة تكون ظاهرة بالأفعال، أمَّا البَغْضَاء فهي خفيَّة مُستترة غير مُعلنة، وهذا ينسحِب على الألفاظ جميعها، ومن هنا هذه دعوةٌ للتَّدبر والتَّأمل وتَذوق النَّص القرآني، والوقوف على مدلولات هذه الألفاظ، وفَهم ما وراء النَّص، واستخراج اللطائف ومعايشة الآيات، وربط ذلك بالواقع المُعاش، ليكون القرآن الكريم حاضرًا في واقعنا سلوكًا ومنهجًا. والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص: ٥٧٦).

(٢) النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٣/ ٢٤٠).

الفصل الثَّاني

عَدَاوة الشَّيطان والكُفَّار وأهل الكتاب والمُنافقين في القرآن الكريم

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: عَدَاوة الشَّيطان.

المبحث الثَّاني: عَدَاوة الكُفَّار.

المبحث الثَّالث: عَدَاوة أهل الكتاب.

المبحث الرَّابع: عَدَاوة المُنَافقين.

المبحث الأول

عَدَاوة الشَّيطان

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الشَّيطان لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثَّاني: عَدَاوة الشَّيطان.

المطلب الثَّالث: خُطوات الشَّيطان وأساليبه.

المبحث الأول

عَداوة الشَّيطان

إنَّ أوَّل أعداء الإنسان ذلك المخلوق اللعين الذي حصر أهدافه في إغواء بني آدم، إنَّه الشَّيطانُ الرَّجيم وهو ألدُّ أعداء المسلم، وقد حذَّر الله ﷻ عبادَه من كيد الشَّيطان مبينًا لهم خطورته ومعاداته لهم، وذلك في مواضعَ كثيرة ومتفرقة في كتابه العزيز، وهذا يدلُّ على خطورة هذا العدو اللعين، وأهمية الالتفات إلى سُبل مواجهته ومجابهته، إذ إنَّه مُتفرِّغ لإغواء عباد الله تعالى، وهدفه الأسمى من ذلك أن يكون أتباعه من أهل السَّعير، لذا يَنْصُبُ الفِخَاخ لاصطياد بني آدم بكل طريقةٍ يستطيعُها، ومما يدل على ذلك قوله تعالى على لسان إبليس: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٦-١٧]؛ لذا كان لا بُدَّ من الحديث عن عَدَاوة الشَّيطان وبيان أنَّ انحرافَ كثيرٍ من النَّاس عن الصِّراط المستقيم، ووقوعهم في مستنقعات الفساد والرَّذيلة، إنما هو باتِّباعِهم هذا العدوَّ اللعين بقصدٍ أو بدون قصد، فانجَرَفوا وراء شياطينِ الجن والإنس يَتْبَعون خطواتهم، ويُحَقِّقون غاياتِهم، ويغفلون عن خطواتهم وأساليبهم، ولا يُميِّزون بين شياطين الجن، وشياطين الإنس، بل لا يُقيمون لشياطين الإنس وزنًا، كما سَيَتبيَّنُ لنا في المطالب التَّالية:

المطلب الأول: تعريف الشَّيطان لغةً واصطلاحًا.

ويشتمل هذا المطلب على بيان معنى الشَّيطان لغةً واصطلاحًا على النَّحو التَّالي:

أولًا: تعريف الشَّيطان لغةً.

شَطَنَ: "الشِّين والطَّاء والنُّون أصلٌ مُطَّردٌ صحيح يدلُّ على البُعد، يُقال: شَطَنتِ الدَّار تَشْطُنُ شُطُونًا إذا غَرَبَت، ونوَى شَطونٌ، أي: بعيدة،... ويُقال: بئرٌ شَطونٌ، أي: بعيدة القَعر، والشَّطَن: الحَبْل، وهو القياس؛ لأنَّه بعيدٌ ما بينَ الطَّرَفين"(١).

وأما الشَّيطان فقال قوم: النُّون فيه أصليَّة، فسُمِّي بذلك لبُعده عن الحقّ وتمرُّده؛ وذلك أنَّ كلَّ عاتٍ متمرّدٍ من الجنِّ والإنس والدَّوابّ شيطان، وعلى ذلك فُسِّرَ قولُهُ تعالى في وصف شجرة الزَّقوم: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات:٦٥]، وقيل إنَّه أرادَ الحيَّات: وذلك أنَّ

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس (٣/ ١٨٣ – ١٨٤).

الحيَّة تسمَّى شيطانًا، فيكون الشَّيطانُ على هذا القول بوزن فَيْعال، ويُقال: إنَّ النُّون فيه زائدة على فَعْلان، وأنه من شاط يَشِيطُ احترق غضبًا[1]، فَالشَّيْطَانُ مخلوقٌ من النَّار، كما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ الجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ [الرحمن:١٥]، ولكونه من ذلك اختصَّ بفرط القوّة الغضبيَّة والحَمِيَّة الذَّميمة، وامتنع من السّجود لآدم[2].

قال ابن الأثير: "إنْ جَعَلتَ نُون الشَّيطان أصليَّة كان من الشَّطَن: البُعْد: أي: بَعُد عن الخير، أو من الحَبْل الطَّويل، كأنَّه طالَ في الشَّرِّ، وإن جَعَلتها زَائِدَة كان من شاَط يَشيطُ إذا هلَك، أو من اسْتَشَاط غَضَبًا إذا احْتدَّ في غَضَبه والْتَهَب، والأوَّل أصحُّ"[3].

والشَّيْطَان: "هو الشِّرير من الجِنِّ؛ ولهذا يُقَال للإنسان إذا كان شريرًا شَيْطَان ولا يُقَال جِنِّي؛ لأَنَّ قَولك شَيْطَان يُفِيد الشَّر وَلَا يفِيدهُ قَولك جني وَإِنَّمَا يُفِيد الاستتار؛ وَلِهَذَا يُقَال على الإطلاق: لعن الله الشَّيْطَان وَلَا يُقَال: لعن الله الجني، والجني اسم الجِنس والشَّيطان صفة"[4].

ممَّا سبق يتَّضح لنا أن معنى الشَّيطان في اللغة يأتي بمعنى البُعد، أي بُعد الشَّيطان عن الخير والحق، وقد يأتي بمعنى الهلاك والغضب، فهو سَيَهْلك بإذن الله ﷻ؛ لأنَّ الله تعالى غضِب عليه ولعنه إلى يوم الدِّين.

ثانيًا: تعريف الشَّيطان اصطلاحًا.

الشَّيْطَان: "كل عَاتٍ متمرد من الْجِنّ وَالْإِنْس وَالدَّوَاب فَهُوَ شَيْطَان، قَالَ الجاحظ: الجِنِّيُّ إذا كفر وظلم وتعدَّى وأفسد فَهُوَ شَيْطَان، فَإِن قوي على حمل البُنيان والشَّيء الثَّقيل وعَلى استراق السَّمع فَهُوَ مارد، فَإِن زَاد على ذَلِك فَهُوَ عفريت، فَإِن طهر ونظف وَصَارَ خيرًا كُله فَهُوَ مَلَك، وكلُّ شَيْطَانٍ ذُكِرَ فِي الْقُرْآن فَالْمُرَاد إِبْلِيس وَجُنُوده، إلا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾ [البقرة:١٤]، فَإِنَّ المُرَاد المجاهرين بالكفْر أو كبار الْمُنَافِقين"[5]، وقد يُراد بهم اليهود، كما قال ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- في تفسير هذه الآية: (وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ) من يهودَ الذين يأمرونهم بالتَّكذيب وخلاف ما جاء به الرسول ﷺ[6].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (٣/ ١٨٤ – ١٨٥)، لسان العرب، لابن منظور (١٣/ ٢٣٧).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص: ٤٥٤).

(٣) النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/ ٤٧٥).

(٤) الفروق اللغوية، للعسكري (ص: ٢٧٧).

(٥) الكليات، للكفوي (ص: ٥٢٣ – ٥٢٤).

(٦) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطَّبري (٣/ ٣٩٧).

والشَّيطان: "هو كلُّ عاتٍ متمردٍ على أوامر الله تعالى من الجِنِّ والإنس"(١).

من خلال النَّظر في تعريف لفظة الشَّيطان لغةً واصطلاحًا، فإنَّ الباحث يرى أن أدقَّ تعريف للشَّيطان في مفهوم الشَّرع هو ما ذكره الأستاذ وائل بشير، أنَّ الشَّيطان: هو كلُّ عاتٍ متمردٍ على أوامر الله تعالى من الجِنِّ والإنس.

المطلب الثَّاني: عَدَاوة الشَّيطان.

سيتناول الباحث في هذا المطلب أصل العَدَاوة بين إبليس وآدم عليه السلام، وعَدَاوة شياطين الجِنِّ والإنس للبشر، وذلك على النَّحو التَّالي:

المسألة الأولى: أصل العَدَاوة بين إبليس وآدم وذريته.

إنَّ أصلَ العَدَاوة بين إبليس وآدم وذريته الاستكبار والعلو، ولقد بين الحقُّ جل جلاله بداية هذه العَدَاوة، حيث قال الله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ**﴾ [البقرة:٣٤]، لقد سجد الملائكة امتثالًا للأمر العُلوي الجليل، (إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ)، وهنا تَتَبَدَّى خليقةُ الشَّر مجسمة: عصيانُ الجليل سبحانه! والاستكبار عن معرفة الفضل لأهله، والعزة بالإثم، والاستغلاق عن الفهم،... لقد انكشف ميدان المعركة الخالدة، المعركة بين خليقة الشَّر في إبليس، وخليفة الله جل جلاله في الأرض، المعركة الخالدة في ضمير الإنسان، المعركة التي ينتصر فيها الخير بمقدار ما يستعصم الإنسان بإرادته وعهده مع ربه، وينتصر فيها الشَّر بمقدار ما يستسلم الإنسان لشهوته ويبعد عن ربه(٢).

إنَّ ما كان من إبليس من رفضه السُّجود لآدم عليه السلام إنما كان بسبب الكِبْرِ والعلو بغير الحق، يقول الله تعالى مبينًا نفسيَّةَ هذا اللعين لمَّا رفضَ الإذعان لأمر ربه بالسجود: ﴿**قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**﴾ [الأعراف:١٢]، "لقد أمر الله الملائكة بالسجود لآدم سجود تحية وتكريم، وبادر الملائكة لتنفيذ أمر الله جل جلاله، فسجدوا جميعًا لآدم عليه السلام، إلا إبليس من الجنِّ أبى واستكبر وكان من الكافرين الفاسقين الخارجين عن أمر الله تعالى، فسُئِلَ من قبل الله تعالى: ما منعك من السُّجود؟ فأجاب معتذرًا: إني أنا خير منه، خلقتني من النَّار، وخلقته من الطِّين، والنَّار بما فيها من خاصية الارتفاع والنُّور أشرف

---

(١) الشَّيطان خطواته وغاياته، للباحث: وائل بشير، إشراف الأستاذ الدُّكتور: عبد السَّلام اللوح (ص: ٥).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (١/ ٥٧ – ٥٨).

–في زعمه– من الطِّين الرَّاكد الخامل، والشَّريف لا يُعظِّمُ مَنْ دُونه، وهذا قياسٌ فاسدٌ باطل، إذ لا يُسْتَدَلُّ بطبائع الأشياء على الأفضليَّة، وإنما تكون بالمعاني والخواص، لا بالنظر إلى المادَّة"[١].

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا * قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا * قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ [الإسراء:٦١-٦٣]، يُنبِّه تبارك وتعالى عبادَه على شدَّة عَدَاوة الشَّيطان وحرصه على إضلالهم، وأنه لمَّا خلق الله ﷻ آدمَ عليه السلام استكبر عن السُّجود له، وقَالَ مُتَكَبِّرًا: (أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا) أي: من طين، وبزعمه أنه خيرٌ منه؛ لأنه خُلق من نار، فلما تبيَّن لإبليس تفضيل الله تعالى لآدم عليه السلام قَالَ مخاطباً الله تعالى: (أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ) أي: لأستأصلنَّهم بالإضلال ولأغوينهم (إِلَّا قَلِيلًا)، عرف الخبيث أنه لا بُدَّ أن يكون منهم من يعاديه ويعصيه، فقال الله له: (اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ) واختارك على ربِّه ووليِّه الحق، (فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا) أي: مُدَّخرًا لكم موفرًا جزاء أعمالكم، والمقصود أنَّ الله ﷻ ابتلى العباد بهذا العدو المبين الدَّاعي لهم إلى معصية الله تعالى بأقواله وأفعاله[٢]، عن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ" قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: "إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ[٣]، وَغَمْطُ النَّاسِ[٤]"[٥].

المسألة الثَّانية: عَدَاوة الشَّيطان وذريته للبشر.

أولًا: عَدَاوة شياطين الجِن.

أخبر الله ﷻ عن عَدَاوة الشَّيطان الذي ليس له هدف إلا أن يدخلنا النَّار، يتربَّص بنا الدَّوائر ليل نهار، ولا يَفتُر عن الكيد لنا طَرْفَة عين، حيث قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦].

---

(١) التَّفسير الوسيط، للزُّحيلي (١/ ٦٤٠).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان، للسَّعدي (ص: ٤٦١).

(٣) بَطَرُ الحق: "هُوَ أَنْ يجْعل مَا جَعَلَهُ اللَّهُ حَقًّا مِنْ تَوْحِيده وَعِبَادَتِهِ بَاطِلًا، وَقِيلَ: هُوَ أَنْ يتَجبَّر عِنْدَ الْحَقِّ فَلَا يَرَاهُ حَقًّا، وَقِيلَ هُوَ أَنْ يتكبَّر عَنِ الْحَقِّ فَلَا يقبلُه". النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١/ ١٣٥).

(٤) الغَمْط: "الاسْتِهانة والاسْتحْقار". المرجع السَّابق (٣/ ٣٨٧).

(٥) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: تحريم الكِبْر وبيانه (ح٩١)، (١/ ٩٣).

لعنَ اللهُ ﷻ الشَّيطانَ وطردَه بسبب تمرده وعصيانه أمر ربه، حين أمره بالسُّجود لآدم، فأبى واستكبر وكان من الكافرين، فحقَّت عليه لعنة الله ﷻ إلى يوم الدِّين، كما قال الله تعالى: ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الحجر:٣٤-٣٥]، ووعد اللهُ ﷻ الشَّيطانَ وذرِّيَّته وأتباعه بنار جهنم يوم القيامة، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ* لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر:٤٣-٤٤]، ولمَّا عَلِم الشَّيطانُ أنَّ ما حصل له من الطَّرد واللعن والإغواء والعذاب في جهنم، كله بسبب آدم ؑ، أعلنها حربًا صريحةً على آدم ؑ وذريته من جميع الجهات وفي جميع الأوقات وفي جميع الأماكن، وبشتى الوسائل، مُصِرًا على ملاحقةِ الإنسان ذَكَرًا كان أو أنثى في كل لحظة، قال الله تعالى على لسان إبليس: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٦-١٧]، فما أشدَّ عداوة الشَّيطان للإنسان وأصالتها وضراوتها واستمرارها[١]؛ لذلك ينبغي علينا أن نُحاربَ هذا العدوَّ اللعين بكل ما أُوتينا من قوة، وأن نكون على حذرٍ منه حتى ننجوَ في الدُّنيا والآخرة.

لقد أخبرنا الله ﷻ في كتابه العزيز أنَّ الشَّيطان مُظهِرٌ لنا العَدَاوة، وأنه سيحاول إغواءَ بني آدم وفتنتهم بشتى الوسائل والطُّرق؛ حتى يكونوا من أصحاب السَّعير والعياذ بالله؛ لذلك أمرَنا اللهُ ﷻ بمعاداته أشدَّ العَدَاوة، ومخالفته أشدَّ المخالفة واتخاذه عدوًا، وهذا يُوجِب علينا أن نُعِدَّ العُدَّة، وأن نَتَحصَّن بالوسائل المناسبة لمُحاربة هذا العدو اللعين الذي كان سببًا في إغواء سيدنا آدم ؑ وإخراجه من الجَنة، وإغواء الكثيرين من المسلمين بعده، لاسيما الفتية والفتيات، وما زالت المعركة مستمرة بين هذا العدو وبين المؤمنين إلى يومنا هذا، بل ستستمر كما أخبر القرآن الكريم إلى يوم الدِّين.

فالشَّيطانُ هو العدو اللدود للإنسان، فلا بُدَّ للمسلم أن يتذكرَ هذه العَدَاوة، وأن يجعلها نُصْبَ عَيْنَيْه، وألَّا ينسى أبدًا أنَّ هناك قرينًا من الشَّيطان ملازمًا له لا يفارقه، يتربَّصُ به من يوم ولادته إلى يوم فراقه للحياة، يُحاول إضلاله وإبعاده عن سبيل الله ﷻ، فقد أخبرنا النَّبي ﷺ بأن كل إنسان له قرينُهُ من الشَّياطين، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) انظر: موسوعة فقه القلوب، للتُّويجري (٤/ ٣١٧٧ - ٣١٧٨).

"مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ[1] مِنَ الْجِنِّ قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ"[2]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا وَالشَّيْطَانُ يَمَسُّهُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ[3] صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ إِيَّاهُ، إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا"، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران:٣٦][4]، فإنَّ الشَّيطان يبدأ بمعادة الإنسان منذ ولادته، فبمجرد ولادته يبدأ الشَّيطان معركته مع ابن آدم، وما هذا إلا تأكيدٌ على شدَّة بُغضه للمسلم، ومحاولة فتنته منذ التقاطه أول أنفاسه على هذه الحياة الدُّنيا.

ثانيًا: عَدَاوة شياطين الإنس.

إنَّ الحديثَ عن أعداء المؤمن يستوجب علينا أن نذكر كلَّ الأعداء التي تتربَّصُ بالمؤمنين وتحاولُ الإيقاعَ بهم حتى نُدرِكَ خطورتهم ونَعِيَ أساليبهم ونُحاول أن نَتَجنَّبهُم، وإنَّنا إذ نتحدث عن العدو الأول للبشرية، وهو إبليس لا بدَّ من الإشارة لأعداء المؤمنين من شياطين الإنس، فالأمر لا يقتصر على شياطين الجِنِّ فحسب، حيث إنَّ شياطين الإنس لا تقِلُّ خطورةً عن شياطين الجِنِّ، وممّا يدلُّ على وجود شياطين الإنس حقيقةً أنَّ الله ﷻ ذكرهم في القرآن الكريم، حيث قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام:١١٢]، وكلُّ شَيْطَانٍ ذُكِرَ في الْقُرْآن الكريم فالمراد به إِبْلِيس وَجُنُوده، إلا قولُهُ تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة:١٤]، "فالمراد بشياطينهم ثلاثة أقوال: أحدها: أَنَّهم رؤوسهم في الكفر، قاله ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، والسُّدي، والثَّاني: إخوانهم من المشركين، قاله أبو العالية، ومجاهد، والثَّالث: كهنتهم، قاله

---

(١) قرينه: "أَيْ: مُصاحِبُه مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالشَّيَاطِينِ، وكُلُّ إِنْسَانٍ فَإِنَّ مَعَهُ قَرِينًا مِنْهُمَا، فقَرِينُه مِنَ الْمَلَائِكَةِ يأمُره بِالْخَيْرِ ويَحُثُّه عَلَيْهِ، وقَرِينه مِنَ الشَّيَاطِينِ يأمُرُه بالشَّرّ ويَحُثُّه عَلَيْهِ". النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٤/ ٥٤).

(٢) صحيح مسلم، كتاب: صفة القيامة والجنة والنَّار، باب: تَحْرِيشِ الشَّيطان وبعثه سراياه لفتنة النَّاس وأنَّ مع كُل إنسان قَرِينًا (ح٢٨١٤)، (٤/ ٢١٦٧).

(٣) يستهل: "أَيْ: حَتَّى يُسْمَعَ لَهُ صَوْتٌ". النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٥/ ٩٥).

(٤) صحيح البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران:٣٦] (ح٤٥٤٨)، (٦/ ٣٤).

الضَّحاك، والكَلبي"[١]، "وأخرج الطَّبَريُّ بسنده[٢]عن ابن عباس –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– أنَّه قال في قوله تعالى: (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا)، قال: كان رجالٌ من اليهود إذا لقوا أصحاب النَّبي ﷺ أو بعضهم، قالوا: إنَّا على دينكم، وإذا خلوا إلى أصحابهم وهم شياطينهم (قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ)"[٣]، وقال طنطاوي: "وإذا خلوا إلى شياطينهم، أي: انفردوا مع رؤسائهم وقادتهم المُشْبِهين الشَّياطين في تمرُّدِهم وعُتوِّهم وصدِّهم عن سبيل الحق"[٤].

نلاحظ من خلال هذه الأقوال أن الله ﷻ وصف أصنافًا من البشر بوصف الشَّياطين تشبيهًا لهم بأفعال الشَّياطين، وهذا يُؤكِّد المعنى الذي نتحدث عنه وهو خطـورة شياطين الإنس.

كما أنَّنا من الممكن أن نستنبطَ من حديثِ أبي هريرة ﷺ عن النَّبي ﷺ عندما قال: "إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ"[٥]، أنَّ شياطين الجِنِّ هي التي تصفد وتبقى شياطينُ الإنس حُرةً طليقةً تنُوبُ عن شياطين الجِنِّ في إغواء النَّاس وإيقاعهم في مستنقعات المعاصي والذُّنوب، وإلا لَمَا رأينا عاصيًا واحدًا في رمضان! ويؤكِّد هذا المعنى، ما ورد في تحفة الأحوذي: "فإنْ قيل فكيف نرى الشُّرور والمعاصي واقعةً في رمضان كثيرًا، فلو صُفِّدت الشَّياطين لم يقع ذلك؟ فالجواب: ،... لا يلزم من تصفيد جميعهم ألا يقع شرٌّ ولا معصية؛ لأنَّ لذلك أسبابًا غير الشَّياطين، كالنُّفوس الخبيثة والعادات القبيحة والشَّياطين الإنسية"[٦]، وهناك رأيٌ آخر، أنَّ الذين يُصَفَّدون هم مردة الشَّياطين فقط، وليس عامة الشَّياطين، واستدلوا بحديث لأبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: "أَتَاكُمْ رَمَضَانُ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، فَرَضَ اللَّهُ ﷻ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ"[٧]، قال المُلَّا

---

(١) زاد المسير في علم التَّفسير، لابن الجوزي (١/ ٣٤).

(٢) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ: قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ سَعِيد، قَالَ حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ عُمارة، عَنْ أَبِي رَوْق، عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ... الحديث.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، للطَّبري (١/ ٢٩٦). قال الباحث: "أخرجه الطَّبري وابن أبي حاتم في تفسيره". انظر: تفسير ابن أبي حاتم (ح١٣٣)، (١/ ٤٦)، والحديث موقوف على ابن عباس، وفيه بِشْرُ بْنُ عُمارة الكوفي وهو ضعيف. انظر: تقريب التَّهذيب، لابن حجر (ح٦٩٧)، (ص: ١٢٣).

(٤) التَّفسير الوسيط، لطنطاوي (١/ ٦١).

(٥) صحيح مسلم، كتاب: الصِّيام، باب: فضل شهر رمضان (ح١٠٧٩)، (٢/ ٧٥٨).

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع التِّرمذي، للمباركفوري (٣/ ٢٩٢).

(٧) سنن النَّسائي، كتاب: الصِّيام، باب: ذِكْرِ الِاخْتِلَافِ عَلَى الزُّهْرِيِّ فِيهِ (ح٢١٠٦)، (٤/ ١٢٩)، قال الألباني: "صحيح". صحيح وضعيف سنن النَّسائي، للألباني (٥/ ٢٥٠).

القاري[1]: "يُفهم من هذا الحديث أنَّ الْمُقَيَّدِين هم الْمَرَدَةُ فقط،... ويُحتمل أن يَكُونَ تَقْيِيدُ عَامَّة الشَّيَاطِينِ بِغير الأَغلال، واللَّه أعلم بالأحوال"[2].

ومما سبق يتضح لنا خطورة الشَّياطين الإنسية التي قد يغفل عنها كثير من النَّاس ولا يعتبرونها من الأعداء الواجبِ علينا محاربتهم، فالفضائيات السَّاقطة التي تبث السُّموم في بيوتنا وفي عقول أبنائنا وبناتنا هي من جنود إبليس اللعين، ومن يُديرها هم من شياطين الإنس الذين يتفنَّنُون في إغواء الفتية والفتيات، فإننا نلاحظ في رمضان مثلًا أن المسلسلات والبرامج الهابطة تتزاحم وكأن هذا الشَّهر الفضيل موسمًا لمثل هذه التَّفاهات، وما كان هذا إلا لإضلال بني آدم ومحاولة صرفهم عن العبادة في مثل هذه الأيام، وليقوموا بدور إبليس المفقود في هذا الشَّهر المبارك؛ لذلك حريٌّ بنا أن نحذرَ من شياطين الإنس، وهي كثيرة مثل: أصدقاء السُّوء، والفضائيات السَّاقطة، ومواقع الإنترنت الهابطة، وكل من سخَّر نفسه لخدمة إبليس وجنوده.

المطلب الثَّالث: خطوات الشَّيطان وأساليبه.

تعدَّدت مكائدُ الشَّيطان وأساليبه في إغواء النَّاس، وما من شأنه أن يُوقع العباد في حبائله؛ حتى يكونوا فريسةً سهلة له ولأعوانه، وهذه المحاولات لاستدراج بني آدم للوقوع في المعاصي والذُّنوب، قد عبَّر عنها القرآن الكريم "بخطوات الشَّيطان" في أكثر من موضع مُذكِّرًا إيَّانا أنَّه عدوٌ مبين، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾ [البقرة:١٦٨]، والمعنى: "فلا تتبعوا أيها النَّاس طريقة الشَّيطان بالإغواء والإضلال والوسوسة، فهو إنما يوسوس بالشَّر والمُنْكر، وإنَّه للإنسان بدءًا من أبينا آدم عليه السلام عدوٌ ظاهر العَدَاوة، فلا يأمر بالخير أصلًا، ولا يأمر إلا بالقبيح، فهو مصدر الخواطر السَّيئة والمُزَيِّنُ للمعاصي، فاحذروه ولا تتبعوه، وكأنه بوسوسته وتَسَلُّطِه عليكم، كأنه آمِرٌ مُطاع، بأن تفعلوا ما يَسوؤكم في دنياكم وآخرتكم"[3].

قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ**

---

(١) المُلَّا القاري: علي بن "سلطان" محمد، نور الدِّين المُلَّا الهروي القاري: فقيه حنفي، من صدور العلم في عصره، ولد في هراة وسكن مكة وتوفي بها. انظر: الأعلام، للزركلي (٥/ ١٢).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للمُلَّا القاري (٤/ ١٣٦٥).

(٣) التَّفسير المُنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، للزُّحيلي (٢/ ٧٣).

يَشَاءُ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور:٢١]، والمعنى: "أي طرقه ووساوسه، وخطوات الشَّيطان يدخل فيها سائر المعاصي المتعلقة بالقلب واللسان والبَدَن، ومن حكمته تعالى أن بَيَّن الحُكْم وهو: النَّهي عن اتباع خطوات الشَّيطان، والحِكمة وهو بيان ما في المنهي عنه، من الشَّر المقتضي، والدَّاعي لتركه، فقال: (وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ) أي: الشَّيطان (يَأْمُرُ بِالفَحْشَاءِ) أي: ما تستفحشه العقول والشَّرائع من الذُّنوب العظيمة، مع ميل بعض النُّفوس إليه"(١).

وإنَّ الشَّيطان يجري من ابن آدم مجرى الدَّم، فقد أخرج البخاري عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُعْتَكِفًا فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلًا، فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ فَانْقَلَبْتُ، فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي(٢)، وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، فَمَرَّ رَجُلاَنِ مِنَ الأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَعَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ، فَقَالاَ سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا، أَوْ قَالَ: شَيْئًا"(٣)، قال ابن حجر: "إنَّ النَّبي ﷺ لم يَنسُبهما إلى أنَّهما يظنان به سوءًا لما تقرَّر عنده من صدق إيمانهما، ولكن خَشي عليهما أن يُوَسوس لهما الشَّيطانُ ذلك؛ لأنَّهما غيرُ معصومين، فقد يُفضي بهما ذلك إلى الهَلاك، فبادر إلى إعلامِهما حَسمًا للمادَّة وتعليمًا لمن بَعدَهُما إذا وَقَع له مِثْل ذلك"(٤).

وكيد الشَّيطان خفيٌّ ماكر، فكَم اصطاد به من الرِّجال والنِّساء، ومن العلماء والخاصة والعامة، والمداخل التي يأتي الشَّيطان من قِبَلها إلى الإنسان ثلاثة: الشَّهوة والغضب والهوى، فالشهوة: بهيمِيَّة، وبها يصير الإنسان ظالمًا لنفسه، ومن نتائجها الحرص والبخل، والغضب: سبعية، وهو آفةٌ أعظم من الشَّهوة، وأشد خطرًا، وبالغضب يصير الإنسان ظالمًا لنفسه، وظالمًا لغيره، ومن نتائجه العُجْب والكِبْر، والهوى: شيطانية، وهو آفة أعظم من الشَّهوة، وأعظم من الغضب، وبالهوى يكون الإنسان ظالمًا لنفسه، وظالمًا لغيره من المخلوقات، ويتعدى ظلمه إلى خالقه بجحد حقِّه بالكفر والشِّرك والمعاصي، ومن نتائجه الكفر والبدعة(٥).

---

(١) تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان، للسَّعدي (ص: ٥٦٣).

(٢) ليقلبني: "أَيْ: لِأَرْجِعَ إِلَى بَيْتِي فَقَامَ معي يصحبني". النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٤/ ٩٦).

(٣) صحيح البخاري، كتاب: بَدء الخلق، باب: صفة إبلِيس وجنوده (ح٣٢٨١)، (٤/ ١٢٤).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر (٤/ ٢٨٠).

(٥) انظر: موسوعة فقه القلوب، للتُّويجري (٤/ ٣٢٠١).

والشَّيطان هو سبب الشُّرور كلِّها في العالَم، كما وضَّح ذلك ابن قيم الجوزية عندما بيَّن أنَّ شر إبليس ينحصرُ في ستة أجناس، لا يزال بابن آدم حتى ينالَ منه واحدًا منها أو أكثر، وهي على النَّحو التَّالي: الشَّر الأول: شر الكفر والشِّرك ومعاداة الله تعالى ورسوله ﷺ، والشَّر الثَّاني: شر البدعة، وهي أحبُّ إليه من الفسوق والمعاصي؛ لأنَّ ضررها في نفس الدِّين، والشَّر الثَّالث: شر الكبائر على اختلاف أنواعها، فهو أشدُّ حرصًا على أن يوقعه فيها، والشَّر الرَّابع: شر الصغائر التي إذا اجتمعت فرُبَّما أهلكت صاحبها، والشَّر الخامس: هو إشغاله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب، والشَّر السَّادس: هو أن يشغله بالعمل المفضول عمَّا هو أفضل منه ليزيح عنه الفضيلة ويفوته ثواب العمل، فإنْ أعجزه العبد من هذه الشُّرور السِّت وأعيى عليه، سلَّط عليه حزبه من الإنس والجن بأنواع الأذى والتَّكفير والتَّضليل والتَّبديع(١).

وَلِنَعْلَمَ جيِّدًا أنَّ الشَّيطان مهما بلغَ عداؤه وكيده للمؤمنين يبقى كيدهُ ضعيفًا، قال الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آَمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا**﴾ [النساء:٧٦]، قال الشَّعراوي: "والحقُّ سبحانه وتعالى يوضح لنا هنا: اعرفوا أن هذا الشَّيطان ضعيفٌ جدًا، فهو لا يملك قوةً أن يُرغمك، فإذا أغواك تستطيع أن تقول له: لن أفعل، ولا يستطيع أن يأتي لقلبك ويقول لك: لا بدَّ أن تفعل، ويحملك على الفعل قهرًا عنك، فليس عنده حُجةٌ يقنعك بها لتفعل فهو ضعيف، فلماذا تطيعونه إذن؟ إنكم تطيعونه من غفلتكم وحبكم للشَّهوة، والشَّيطان لا يقهر قلبكم، ولا يقهر قالبكم، بل يكتفي أن يشير لكم! ولذلك سيقول الشَّيطان في حجته يوم القيامة على الخلق: ﴿**وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي**﴾ [إبراهيم:٢٢]، أي: لم يكن لي عليكم سلطان: لا سلطان قدرة أرغمكم على فعلكم بالقالب، ولا سلطان حجة أرغمكم على أن تفعلوا بالقلب، أي: أنتم المخطئون وليس لي شأن، إذن فكيد الشَّيطان ضعيف"(٢).

ومن ضعف الشَّيطان أنه لا يستطيع إغواء كل النَّاس فهناك فئةٌ لا يقدر عليهم، إنهم عباد الله المخلِصين المخلَصين، قال الله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**﴾ [الحجر:٣٩-٤٠]، فَلْيفطَن النَّاس إلى عُدَّة الشَّيطانِ ولْيَحذروا كلما وجدوا في أمرٍ تَزْيينا، وكلما وجدوا من نفوسهم إليه اشتهاء، لِيحذروا فقد

---

(١) انظر: بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية (٢/ ٢٦٠ – ٢٦٢).

(٢) تفسير الشَّعراوي (٤/ ٢٤٢٢).

يكون الشَّيطان هناك، إلا أن يتَّصلوا بالله ﷻ ويعبدوه حق عبادته، فليس للشيطان –بشرطه هو– على عباد الله المخلَصين من سبيل، والله ﷻ يستخلصُ لنفسه من عباده من يُخلِص نفسه لله تعالى، ويجردها له وحده ويعبده كأنه يراه، وهؤلاء ليس للشيطان عليهم سلطان، هذا الشرط الذي قرره إبليس اللعين، قرره وهو يُدرك ألَّا سبيل إلى سواه؛ لأنَّه سنة الله تعالى أن يَسْتخلص لنفسه من يُخلِص له نفسه، وأن يحميه ويرعاه، فكأن الله ﷻ يقول: إنّ عبادي المخلِصين لي، ليس لك عليهم سلطان ولا لك فيهم تأثير، ولا تملك أن تُزَيِّن لهم؛ لأنك عنهم محصور؛ ولأنهم منك في حمى؛ ولأن مداخلك إلى نفوسهم مُغلقة، وهم يُعلِّقون أبصارهم بالله ﷻ، ويُدرِكون ناموسه بفطرتهم الواصلة إلى الله تعالى(١).

الخُلاصة:

ممَّا سبق يتَّضح لنا أنَّ حقيقة الشَّيطان في مفهوم الشَّرع هو كل عاتٍ متمردٍ على أوامر الله ﷻ من الجِنِّ والإنس، وظهر أنَّ عَدَاوة الشَّيطان قائمةٌ على الاستكبار والعلو، وذلك من لدن آدم عليه السلام سواء كانت هذه العَدَاوة مع الشَّيطان الجِني أو الإنسي، فالكِبْر رأس كل شر.

فهذا هو العدو الأول من أعداء المؤمن الذي يتربَّص به ليل نهار، يكيد له المكائد منذ أن خلق الله ﷻ آدم عليه السلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، إنه الشَّيطان الرَّجيم اللعين الذي يُسوِّل للناس ويُزين لهم أعمالهم ويوسوس لهم للوقوع في المعاصي والذُّنوب، حتى يكونوا معه شركاء في المعصية والإثم والخلود في نار جهنم والعياذ بالله؛ لذلك علينا أن نستعين بالله ﷻ وأن نُخلِص له لنكون من عباده المخلِصين المخلَصين الذين ليس للشَّيطان عليهم سلطان ولا سبيل، لنفوز بالثَّواب الجزيل في الدُّنيا والنَّعيم الخالد في الآخرة. والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢١٤١ – ٢١٤٢).

المبحث الثَّاني

عَدَاوة الكُفَّار

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الكُفر لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثَّاني: صور عَدَاوة الكُفَّار للمؤمنين.

المبحث الثَّاني

عَداوة الكُفَّار

إنَّ من أهم الأعداء الذين لا بدَّ لنا من معاداتهم والبَراءِ منهم الكُفَّار، الذين كفروا بالله ﷻ فأعلنوا بكفرهم هذا العَداءَ مع الله تعالى، فأصبحوا من أشدِّ أعداء المؤمنين، ولقد أخبر الله ﷻ عن ذلك، كي يَحْذرهم المؤمنون، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [النساء:١٠١]، وهذا بسبب كُفرهم وجُحُودهم وعِنادهم وكِبرهم، ورفضهم الانقيادَ والاستسلام لأوامر الله تعالى، وهذا ما يُقرره القرآن الكريم في آياتٍ كثيرةٍ تتحدثُ عن هذه العَداوة، وتدلُّ دلالةً صريحةً على وجوب بُغْضِ الكُفَّار ووجوب معاداتهم، وتحريم مودَّتهم وموالاتهم، والحذرِ من مكائدهم، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الحَقِّ﴾ [الممتحنة:١]، وما ذاك إلا لكفرهم بالله ﷻ وعدائهم لدينه ومعاداتهم لأوليائه وكيدهم للإسلام وأهله، وهذا ما سيُبَيِّنُه الباحث في المطالب التَّالية:

المطلب الأول: تعريف الكُفر لغةً واصطلاحًا.

ويشتمل هذا المطلب على بيان معنى الكُفْر لغةً واصطلاحًا على النَّحو التَّالي:

أولًا: تعريف الكُفْر لغةً.

كَفَرَ: "الكاف والفاء والراء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على معنًى واحد، وهو السَّتْر والتَّغطية، يُقال لمن غَطَّى دِرعَه بثوبٍ: قد كَفَر دِرعَه،... والكُفْر: ضِدُّ الإيمان، سمِّي به؛ لأنَّه تَغْطِيَةُ الحقّ، وكذلك كُفْران النِّعمة: جُحودها وسَترُها"(١).

والكفر: بالفتح: السَّتر والتَّغطية، يُقال: كفر الزَّارع البذر في الأرض: إذا غَطَّاه بالتُّراب، وبالضم: ضِدُّ الإيمان، وكفر نعمة الله كُفُورًا وكفرانًا: جحدها، وسترها، وكافَرَه حقَّه: جَحَده، وكَافِرٌ: جاحدٌ لأنْعُمِ الله تعالى(٢).

وأعظم الكُفرِ: جُحُود الوَحدانيّة أو الشَّريعة أو النُّبوَّة، والكُفْرَانُ في جحود النِّعمة أكثر استعمالًا، والكُفْرُ في الدِّين أكثر، والكُفُورُ فيهما جميعًا، قال الله تعالى: ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء:٩٩]، والْكَفَّارُ أبلغ من الكَفُور؛ لقوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾

---

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/ ١٩١).

(٢) انظر: القاموس المحيط، للفيروز آبادي (ص: ٤٧٠ - ٤٧١)، المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى، وآخرين (٢/ ٧٩١).

[ق:٢٤]، والكُفَّارُ في جمع الكافر المضادِّ للإيمان أكثر استعمالًا، كقوله تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ [الفتح:٢٩][(١)].

"والكُفْرُ أَيضًا بِمَعْنَى البَراءة، كقول اللَّه تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ الشَّيْطَانِ فِي خَطِيئَتِهِ إِذا دخل النَّار: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ [إبراهيم:٢٢]؛ أَي: تبرأْتُ"[(٢)].

ثانيًا: تعريف الكُفْر اصطلاحًا.

"الكفْر: اسْمٌ يَقع على ضُروبٍ من الذُّنُوب، فَمِنْهَا الشّرك بِاللَّه ﷻ، ومنها الجَحْدُ للنُّبوة، ومنها استحلال ما حرَّم الله ﷻ، وهو راجع إِلى جَحد النُّبُوَّة وَغير ذلك مما يطول الكلام فيه، وأصلُه التَّغطية"[(٣)].

والْكُفْر: "عدم الْإِيمَانِ بِاَللَّهِ تعالى وَرُسُلِهِ، سواء كان معه تَكْذِيبٌ أو لم يكن معه تَكْذِيبٌ بل شَكٌّ وَرَيْبٌ أو إعْرَاضٌ عن هذا كُلِّه حَسَدًا أَوْ كِبَرًا، أو اتِّبَاعًا لِبَعْض الْأَهْوَاءِ الصَّارِفَةِ عن اتِّبَاعِ الرِّسَالَةِ، وإن كان الْكَافِرُ الْمُكَذِّبُ أَعْظَمَ كُفْرًا، وكذلك الْجَاحِدُ الْمُكَذِّبُ حَسَدًا مع اسْتِيقَانِ صِدْقِ الرُّسُلِ"[(٤)].

والْكفْر: "جَحْدُ الرُّبوبية، وجحد نبوة نَبِي من الأَنْبِيَاء صحت نبوته فِي الْقُرْآن، أَو جَحْدُ شَيْء مِمَّا أَتَى بِهِ رَسُول الله ﷺ مِمَّا صَحَّ عِنْد جاحده بِنَقْل الكافة أَو عمل شَيْء قَامَ الْبُرْهَان بِأَن الْعَمَل بِهِ كُفر"[(٥)].

مما سبق نجدُ أنَّ الكافر: هو الذي جَحَد وأنكر ما هو معلوم من الدِّين بالضَّرورة، بجَحْد الوَحْدانية أو النُّبوة أو الشَّريعة أو ثلاثتها.

المطلب الثَّاني: صور عَدَاوة الكُفَّار للمؤمنين.

تبين من خلال استقراء الآيات التي تتحدث عن عَدَاوة الكافرين للمؤمنين، أنَّ هناك عِدَّة صور لهذه العَدَاوة، ومنها:

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص: ٧١٤ - ٧١٦).

(٢) لسان العرب، لابن منظور (٥/ ١٤٥).

(٣) الفروق اللغوية، للعسكري (ص: ٢٢٨).

(٤) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٢/ ٣٣٥).

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنِّحل، لابن حزم (٣/ ١١٨).

أولًا: نقضُ العُهود والمَواثيق.

مِنَ المعلوم أنَّ العدوَّ يسعى في إيذاء عدوِّه ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، فمن صُور ومظاهر عَدَاوة الكافرين للمؤمنين أنَّهم لا يُراعون في مؤمن عهدًا ولا قرابة، قال الله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة:١٠]، والمعنى: "من أَجل هذا الكُفْر والصُّدُود، والصَّدِّ عن الإِيمَان لا يَرْعَوْنَ في مؤمن يَظْهَرُونَ عليه، وَيَقْدِرُونَ على الْفَتْكِ بِهِ رَبًّا يُحَرِّمُ الْغَدْرَ، وَلَا قَرَابَةً تَقْتَضِي الْوُدَّ، وَلَا ذِمَّةً تُوجِب الْوَفَاءَ اتِّقَاءً لِلذَّمِّ؛ لِأَنَّ ذنب الْمُؤْمن في هذا عِنْدَهم كونه مؤمنًا، وقد علموا أَنه لا يَنْقُضُ عهْدًا، وَلَا يَسْتَحِلُّ غَدْرًا، وَلَا يَقْطَعُ رَحِمًا،... وأولئك هم المعتدون لحدود العهود من دونكم، وَالْبَادِئُونَ لكم بالقتال كما فعلوا فيما مضى، وكذلك يفعلون فيما يأتي، والعِلَّة في اعْتِدَائِهِمْ وَتَجَاوُزِهِمْ هو رُسُوخُهُم في الشِّرك"[١].

وقال السَّعديُّ في تفسير قوله تعالى: (لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً) "أي: لأجل عداوتهم للإيمان وأهله، فالوصف الذي جعلهم يُعادونكم لأجله ويبغضونكم هو الإيمان، فذُبُّوا عن دينكِم وانصُروه واتِّخذوا مَنْ عاداه لكم عدوًا ومن نصَره لكم ولِيًا، واجعلوا الحُكْمَ يدور معه وجودًا وعدمًا، لا تجعلوا الوِلاية والعَدَاوة طبيعية تميلون بهما حيثما مال الهوى، وتتبعون فيهما النَّفس الأمَّارة بالسُّوء"[٢]، فهؤلاء الكُفَّار لا يحترمون مواثيقهم ولا عهودهم معكم أيها المسلمون؛ فلذلك لا بُدَّ لكم من اتِّخاذهم أعداءً، فهم بهذا التَّصرف يُعلنونها صريحةً أنهم أعداء المسلمين.

ثانيًا: مُحاربةُ المؤمنين وقتالهم.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢١٧]، والمعنى: "هذا إخبارٌ عن دوام عَدَاوة الكُفَّار للمسلمين، وأنَّهم لا ينفكُّون عنها؛ حتى يَرُدُّوهم عن دينهم، وحتى معناها التعليل كقولك: فلان يعبد اللَّه حتى يدخل الجنة، أي: يقاتلونكم كي يردُّوكم، (وإنِ اسْتَطَاعُوا) استبعاد لاستطاعتهم، كقول الرَّجل لعدوّه: إن ظفرت بي فلا تُبقِ عليَّ، وهو واثقٌ بأنَّه لا يظفرُ به"[٣].

---

(١) تفسير المنار، لمحمد رضا (١٠/ ١٦٨).

(٢) تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان، للسَّعدي (ص: ٣٢٩).

(٣) الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل، للزَّمخشري (١/ ٢٥٩).

وقال الله تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ القَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الكَافِرِينَ * فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة:١٩١-١٩٢]، هذا أمرٌ بقتالهم، أينما وجدوا في كل وقت، وفي كل زمان قتالُ مُدافعة، وقتال مُهاجمة، ثم استثنى من هذا العموم قتالهم عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ، وأنه لا يجوز إلا أن يبدؤوا بالقتال، فإنهم يُقَاتَلون جزاءً لهم على اعتدائهم، وهذا مستمرٌ في كلِّ وقت، حتى ينتهوا عن كفرهم فيُسلِموا، فإنَّ الله ﷻ يتوب عليهم، ولو حصل منهم ما حصل من الكُفْر بالله ﷻ والشِّرك في المسجد الحرام، وصدِّ الرسول ﷺ والمؤمنين عنه، وهذا من رحمة الله تعالى وكرمه بعباده[(١)].

وقال الله تعالى أيضًا مؤكِّدًا على صُور عَدَاوتهم للمؤمنين بقتالهم لهم: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٧٦]، والمعنى: "ما أمتع تلك المقارنة في أهداف القتال: المؤمنون يُقاتلون في سبيل طاعة الله ﷻ، ومن أجل نشر دينه وأحكام شرعه فهو ناصرهم ووليهم، والكافرون يُقاتِلون في سبيل الطَّاغوت الشَّيطان وما يُمثِّله من ظُلم وخُرافة وكَهانة ودعوة إلى عبادة الأصنام والأوثان، فلا ولِيَّ لهم إلا الشَّيطان، وكيدُ الشَّيطان للمؤمنين إلى جنب كيد الله ﷻ للكافرين أضعف شيء وأوهنه، فالله ﷻ هو صاحب القدرة الحقيقية المحقِّقَة للنَّصر، والشَّيطان ليس له إلا قدرةٌ وهمية"[(٢)].

ومن خلال النَّظر في هذه الآيات، نجد أنَّ من صورِ عداوة الكافرينَ للمؤمنين قتالهم ومحاربتهم للإسلام بشتى الوسائل والطُّرق في كلِّ زمان ومكان، فيخرجون علينا اليوم مرةً باسم الحرب على الإرهاب وتارةً بالقضاء على التَّطرف، وما فَتِئوا –قاتلهم الله ﷻ– يُخطِّطُون ويُدبِّرون للقضاء على الإسلام؛ لأنَّهم يرونه هو الخطر الأكبر الذي يُهدِّدُهم، ويُهدد مصالحهم، وكل هذا لردِّ المسلمين عن دينهم إن استطاعوا، ولن يستطيعوا بإذن الله ﷻ، ما دام المسلمون متمسكينَ بحبل الله ﷻ.

(١) انظر: تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان، للسَّعدي (ص: ٨٩).

(٢) التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، للزُّحيلي (٥/ ١٥٨ – ١٥٩).

ثالثًا: الحِقْدُ والبَغضاء تجاه المؤمنين.

أهلُ الكُفْر والشِّرك في كلِّ زمانٍ ومكان يَرِثون العَدَاوة للمسلمين مِمَّن سبقهم، ويحاربون المسلمين بكل ما يقدرون عليه، قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة:٢]، والمعنى: "(يَثْقَفُوكُمْ) يَظفروا بكم ويتمكَّنوا منكم، و(يَكُونُواْ لَكُمْ) في غاية العَدَاوة، وهو قول ابنِ عباس –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– وقال مقاتل: يظهروا عليكم يصادقوكم، (وَيَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ) بالضَّرب، (وَأَلْسِنَتَهُمْ) بالشَّتم، (وَوَدُّواْ) أن ترجعوا إلى دينهم، والمعنى: أنَّ أعداء الله ﷻ لا يُخلصون المودة لأولياء الله ﷻ لما بينهم من المباينة"(١).

ومن شدَّة بُغْضِهم للمؤمنين، فإنَّهم يكرهون لهم حُصول الخير، قال الله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ [البقرة:١٠٥]، لقد كشف الحقُّ ﷻ للمؤمنين العَدَاوة التي يُكِنُّها لهم أهل الكتاب من اليهود والمشركين الذين كفروا؛ لأنَّهم رفضوا الإيمان بمحمد ﷺ، والله ﷻ يريدنا أن نفهم أنَّ أهل الكتاب والكُفَّار والمشركين، مشتركون في كراهيتهم للمؤمنين، حتى إنَّهم لا يريدون أن يُنَزَّل عليكم أي شيء من ربكم ممَّا يطلق عليه خير(٢).

رابعًا: الصَّدُّ عن سبيل الله ﷻ.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ العَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل:٨٨]، قال الشَّعراوي: "هنا فرْق بين الكُفْر والصَّدِّ عن سبيل الله ﷻ، فالكُفر ذنبٌ ذاتي يتعلق بالإنسان نفسه، لا يتعدَّاه إلى غيره، فَاكفُرْ كما شئت والعياذ بالله أنت حر! أما الصَّدُّ عن سبيل الله ﷻ فذنبٌ مُتعدٍّ، يتعدَّى الإنسان إلى غيره، حيث يدعو غيره إلى الكُفْر، ويحمله عليه ويُزيِّنه له، فالذَّنبُ هنا مضاعف، ذنبٌ لكفره في ذاته، وذنب لصَدِّه غيره عن الإيمان"(٣)، وهذا الصَّد من صور عَدَاوة الكافرين للمؤمنين، والأدهى والأمر أنهم يُسَخِّرون كل طاقاتهم في سبيل الصَّدِّ عن سبيل الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾

(١) مفاتيح الغيب، لفخر الدِّين الرَّازي (٢٩/ ٥١٧ – ٥١٨).
(٢) انظر: تفسير الشَّعراوي (١/ ٥٠٣ – ٥٠٤).
(٣) المرجع السَّابق (١٣/ ٨١٤٥).

[الأنفال:٣٦]، والمعنى: "إنهم يُنفقون أموالهم، ويبذلون جهودهم، ويستنفدون كيدهم، في الصَّدِّ عن سبيل الله تعالى، وفي إقامة العقبات في وجه هذا الدِّين، وفي حرب العُصْبة المسلمة في كلِّ أرضٍ وفي كل حين، إنَّ المعركة لن تكف، وأعداء هذا الدِّين لن يدعوه في راحة، ولن يتركوا أولياء هذا الدِّين في أمن، وسبيل هذا الدِّين هو أن يتحرك ليهاجم الجاهلية، وسبيل أوليائه أن يتحركوا لتحطيم قدرة الجاهلية على العدوان، ثم لإعلاء راية الله ﷻ، حتى لا يجرؤ عليها الطَّاغوت، والله ﷻ يُنذر الكُفَّار الذين يُنفقون أموالهم ليصُدُّوا عن سبيل الله ﷻ بأنها ستعود عليهم بالحسرة، إنهم سينفقونها لتضيع في النِّهاية، ولِيُغلبوا هم، وينتصر الحقُّ في هذه الدُّنيا، وسيُحشرون في الآخرة إلى جهنم، فتتم الحسرة الكبرى"(١).

وإنَّ الكافرين في كل زمانٍ ومكان، لاسِيما في أيامنا هذه يُنفقون أموالًا هائلةً ومبالغ طائلة من أجل الصَّدِّ عن سبيل الله ﷻ، فينفقونها تارةً في المجال العسكري؛ ليُحاربوا الثُّلَّة المؤمنة أينما وجدوا، فهذا دَيْدَنُهُم وهذا حالهم أن يحاربوا الإسلام والمسلمين في كل بقاع الأرض مهما كلَّفهم ذلك من ثمن، وتجدهم تارةً أُخرى يُنفقون أموالهم في المجال الاقتصادي؛ ليزدادوا قوةً ومنعة، بل ويحرمون المسلمين من استثمار ما عندهم من خيرات لحججٍ ومبررات واهية، وتجدهم أيضًا يُنفقون أموالهم في المجال الإعلامي الذي يُعدَّ رأس الحربة في غزوهم الفكري لبلاد المسلمين، فالفضائيات التي تعُجُّ بالبرامج الهابطة التي تدعوا إلى الرَّذيلة والفساد، والتي هي مدعاةٌ لفتنة الفتية والفتيات، ومواقع الانترنت الهابطة التي تُخَصَّصُ لإغواء أبنائنا وبناتنا، لهيَ من أكثر ما يؤثر على فكر وسلوك أبناء هذه الأمة، كلُّ هذا يُنفق من أجل الصَّد عن سبيل الله ﷻ، فمهما اختلفت المُسَمَّيات والوسائل، فالهدف واحد وهو التَّخلي عن هذا الدِّين العظيم، ولن يكون لهم ذلك بإذن الله ﷻ، كما بشَّرنا القرآن الكريم فهم سُينفقون هذه الأموال وسَيتكلَّفون معاناة الإنفاق، ثم تكون عليهم حسرة في الدُّنيا، ليس هذا فحسب، بل سيُغلَبون بعد كلِّ ذلك الإعداد والإنفاق، وسيفشلون في الوصول إلى مرادهم، ومصيرُهم جهنم وبئس المصير، وهذه هي حسرتهم الكبرى يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله ﷻ بقلبٍ سليم.

ولا بدَّ هنا من الإشارة لما يُدمي القلب ويُحزن الفؤاد، وهو أنَّ هناك من المسلمين من يُمارس بعض هذه الصُّور والأشكال في الصَّدِّ عن سبيل الله ﷻ، فإنَّنا نرى فضائيات يُديرها مسلمون، تتفنَّن في عرض ما يُغضب الله ﷻ من منكرات ومُحرَّمات، وما يفتن الفتية والفتيات والرِّجال والنِّساء، فما يقوم به بعض هؤلاء المسلمين يُعدُّ من وسائل مساعَدة الكافرين في تنفيذ

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٣/ ١٥٠٦ – ١٥٠٧).

مُخَطَّطاتهم في الصَّد عن سبيل الله ﷻ، وهو أمرٌ مستغرب لِمَا وصل إليه حال المسلمين اليوم من انحطاطٍ وتخلي عن هذا الدِّين، فسبب صدِّ الكافرين عن سبيل الله ﷻ بيِّن واضح، أمَّا أن يَصُدَّ المسلمون عن سبيل الله ﷻ، فهذا أمرٌ في غاية الغرابة، وهؤلاء الذين وصفناهم في المبحث السَّابق بشياطين الإنس؛ لذلك لا بدَّ لنا من التَّمسك بالقرآن الكريم منهجًا وحياةً وتطبيقًا؛ لنُواجه ما يُحاكُ لنا من مكائد ومؤامرات في الليل والنَّهار، ولِنكون قادرين على مواجهة أساليب وصور عَدَاوة الكافرين لنا فهي كثيرةٌ ومتعددة.

الخُلاصة:

إنَّ الهدف من معرفة الأعداء الذين يتربَّصون بالمؤمنين هو الحذر منهم ومن عَدَاوتهم، وعدم اتِّباعهم فيما يُزَيِّنون للمؤمنين من فتن وشهوات، وفي هذا المبحث تحدثنا عن عَدَاوة الكُفَّار للمؤمنين، الذين كفروا بالله ﷻ وبنبيه ﷺ؛ فاستحقوا العذاب من الله ﷻ، وقد توعدهم الله تعالى في آياتٍ كثيرة بالعذاب الشَّديد، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لَعَنَ الكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا**﴾ [الأحزاب:٦٤]، وهذه العَدَاوة إنَّما سببها أنَّهم كفروا بالله ﷻ، فلو كانوا مؤمنين لما حدثت هذه العَدَاوة، وهكذا يَجِبُ على المؤمن أن يُحبَّ لله ﷻ ويبغض من أجل الله ﷻ، لا لهوىً في نفسه أو مصلحةٍ هنا أو هناك، هذا هو المقياس الذي يجب أن يحدد علاقتنا في هذه الحياة الدُّنيا، فنحبُّ إخواننا المسلمين؛ لأنَّهم آمنوا بالله ﷻ، ونبغض ونعادي الكافرين؛ لأنهم كفروا بالله ﷻ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ"(١). والله تعالى أعلم.

(١) صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: حلاوة الإيمان (ح١٦)، (١/ ١٢).

المبحث الثَّالث

عَدَاوة أهل الكتاب

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف أهل الكتاب لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثَّاني: عَدَاوة اليهود للمؤمنين في القرآن الكريم.

المطلب الثَّالث: عَدَاوة النَّصارى للمؤمنين في القرآن الكريم.

المبحث الثَّالث

عَدَاوة أهل الكتاب

بيَّن القرآن الكريم موقف أهل الكتاب من المسلمين في آيات كثيرة، وكشف عن نواياهم ومخططاتهم وتدابيرهم، وذلك كله ليكون المسلمون على بينة من أمرهم، فيَحذرونهم ويحتاطون لهم إن كانوا من أعدائهم، ويسالمونهم إن كانوا من أصدقائهم ومُحبيهم، ولمَّا كان لِأهل الكتاب الدَّور الرَّئيس الأكبر في معاداة الإسلام وأهله –كما تشهد بذلك وقائع التَّاريخ إلى يومنا هذا– كشف القرآن الكريم عن تلك العَداوة وأسبابها وصورها، لما لها من خطر داهم على المسلمين، حيث إنَّ القرآن الكريم مصدر هدايةٍ للناس، ومن باب الهداية التَّحذير من العدو وبيان الطَّريق المستقيم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآَنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٩].

ولقد بيَّن القرآن الكريم أن موقف أهل الكتاب من المسلمين لا ينحصر في موقف واحد من عداوتهم لهم، بل إن من أهل الكتاب فريقًا لا يحمل في نفسه تلك العَداوة والبُغض لهم، ولا يستكبر عن قَبول الحق واتِّباعه والإذعان له، وهذا الفريق قادته تلك الصِّفات الحسنة إلى الإيمان بالله ﷻ ورسله جميعًا، والدُّخول في الإسلام، قال الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آَمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة:٨٢]، فبيَّن الله ﷻ لرسوله ﷺ وأقسم له على موقفين لأهل الكتاب من المؤمنين، الموقف الأول: موقف العَدَاوة في قِمَّتِها حتى فاقت كل العَدَاوات، فأصحابها هم أشد النَّاس عداوة للمؤمنين، والموقف الثَّاني: هو موقف المودة والمحبة، وأصحابها هم أقرب النَّاس مودة للمؤمنين(١)، وسوف يتناول الباحث موقف العَداوة حيث إنه موضوع هذا المبحث، وعليه مداره، وذلك في المطالب التَّالية:

المطلب الأول: تعريف أهل الكتاب لغةً واصطلاحًا.

ويشتمل هذا المطلب على بيان معنى أهل الكتاب لغةً واصطلاحًا على النَّحو التَّالي:

---

(١) انظر: أهل الكتاب في القرآن الكريم، للأستاذ الدُّكتور: رياض قاسم، والباحث: بهاء زعرب (ص: ٢٤ – ٢٥).

أولًا: تعريف أهل الكتاب لغةً.

أهل الكتاب مركب إضافي مكون من لفظتين، الأولى: "أهل"، "الهمزة والهاء واللام أصلان متباعدان، أحدهما: الأهل، قال الخليل بن أحمد(١): أهل الرَّجل زوجه، والتَّأهل التَّزوج، وأهل الرَّجل أخص النَّاس به، وأهل البيت: سُكَّانه، وأهل الإسلام: من يَدينُ به، وجمع الأهل أهلون، والأهالي جماعة الجماعة،... والأصل الآخر: الإِهَالَةُ(٢)، والإِهَالَةُ الأَلْيَةُ ونحوها، يؤخذ فيقطع ويذاب، فتلك الإهالة"(٣)، وقال الأصفهاني: "أهل الرَّجل: من يجمعه وإياهم نسب أو دين، أو ما يجري مجراهما من صناعة وبيت وبلد، وأهل الرَّجل في الأصل: من يجمعه وإياهم مسكن واحد، ثم تجوِّز به فقيل: أهل الرَّجل لمن يجمعه وإياهم نسب، وتعورف في أسرة النَّبيِّ ﷺ مطلقًا إذا قيل: أهل البيت لقوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣]، وعبَّر بأهل الرَّجل عن امرأته، وأهل الإسلام: من يجمعهم، ولمَّا كانت الشَّريعة حَكَمت برفع حُكم النَّسب في كثير من الأحكام بين المسلم والكافر، قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود:٤٦]، وقال الله تعالى: ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ [هود:٤٠]"(٤).

وأما اللفظة الثَّانية فهي: "كتاب"، وهو مصدر من الفعل "كتب"، قال ابن فارس: "كتب: الكاف والتَّاء والباء أصلٌ صحيح واحد يدل على جمع شيء إلى شيء، من ذلك الكتاب والكتابة"(٥)، "ومن ذلك سميت الكتيبة؛ لأنها تَكَتَّبَتْ فاجتمعت؛ ومنه قيل: كتبت الكتاب؛ لأنه يجمع حرفًا إلى حرف"(٦)، وقد وردت لفظة الكتاب والمراد بها القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف:١] أي: القرآن(٧)، ويُعبَّر عن الإثبات والتَّقدير والإيجاب والفرض والعزم بالكِتابة، ووجه ذلك أنَّ الشَّيء يراد، ثم يقال، ثم

---

(١) الخَلِيل بن أحمد: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي، أبو عبد الرحمن: من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، وهو أستاذ سيبويه النَّحويّ، ولد ومات في البصرة، سنة (١٠٠ – ١٧٠ هـ = ٧١٨ – ٧٨٦ م). انظر: الأعلام، للزركلي (٢/ ٣١٤).

(٢) الإهالة: "الشَّحْم وَالزَّيْت وكل مَا اؤتدم بِهِ". المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى، وآخرين (١/ ٣١).

(٣) مقاييس اللغة، لابن فارس (١/ ١٥٠ – ١٥١).

(٤) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص: ٩٦).

(٥) مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/ ١٥٨).

(٦) لسان العرب، لابن منظور (١/ ٧٠١).

(٧) انظر: تفسير الجلالين، للمحلي والسُّيوطي (ص: ٣٨١).

يُكْتَبُ، فالإرادة مبدأ، والكِتَابَةُ منتهى، ثم يعبَّر عن المراد الذي هو المبدأ إذا أُريد توكيده بالكتابة التي هي المنتهى، قال الله تعالى: ﴿كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]،... وقال الله تعالى عن اليهود: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:٧٨]، فالكتاب الأول: ما كتبوه بأيديهم المذكور في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة:٧٩]، والكتاب الثَّاني: التَّوراة، والثَّالث: لجنس كتب الله ﷻ، أي: ما هو من شيء من كتب الله سبحانه وتعالى(١).

ثانيًا: تعريف أهل الكتاب اصطلاحًا:

أهل الكتاب في الاصطلاح هم: اليهود والنَّصارى بفرقهم المختلفة، وعلى ذلك جمهور الفقهاء(٢)، ويدخل معهم من دان بدينهم، كالسَّامرة يدينون بالتوراة، ويعملون بشريعة موسى عليه السلام، وإنما خالفوهم في فروع دينهم، وفِرق النَّصارى الأُخرى باختلاف مسمياتها، ممن دان بالإنجيل، ومن عدا هؤلاء من الكفار، فليس من أهل الكتاب، بدليل قول الله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ [الأنعام:١٥٦](٣)، والطَّائفتان المذكورتان في الآية هما: اليهود والنَّصارى، قال الطَّبري: "أما الطَّائفتان اللتان ذكرهما الله ﷻ، وأخبر أنه إنما أنزل كتابه على نبيه محمد ﷺ لئلا يقول المشركون: "لم ينزل علينا كتاب فنتبعه، ولم نؤمر ولم نُنْه، فليس علينا حجة فيما نأتي ونَذَر، إذ لم يأت من الله ﷻ كتاب ولا رسول"، وإنما الحجة على الطَّائفتين اللتين أنزل عليهما الكتاب من قبلنا، فإنهما اليهود والنَّصارى، وكذلك قال أهل التَّأويل"(٤)، وعليه فالمراد بالكتاب في المسند الإضافي لمصطلح "أهل الكتاب" هو: التَّوراة وهي: كتاب اليهود، والإنجيل وهو: كتاب النَّصارى، قال ابن تيمية: "وقولهم ﴿إِنَّمَا

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص: ٦٩٩، ٧٠١).

(٢) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (٧/ ١٤٠).

(٣) انظر: المغني، لابن قدامة (٩/ ٣٢٨ – ٣٢٩).

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، للطَّبري (١٢/ ٢٤٠).

﴿أُنْزِلَ الكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾ [الأنعام:١٥٦]، فبين أنَّ الكتاب اسم جنس يتناول هنا التَّوراة والإنجيل، كقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ﴾ [آل عمران:٦٤]"[١].

قال ابن حجر: "لفظ الكتاب عام ومعناه خاص أي: المُنَزَّل من عند الله، والمراد به التَّوراةُ والإنجيلُ كما تظاهرت به نصوص الكتاب والسُّنة حيث يُطلق أهل الكتاب"[٢]، وقد اختص اليهود والنَّصارى بتسمية أهل الكتاب لشرف الكتب التي أنزلها الله ﷻ عليهم، واشتمالها على الأحكام والتَّشريعات، وكثرة أتباعها والمؤمنين بها على ما فيها من تحريف وتبديل في زمان النَّبي ﷺ إلى يومنا هذا، وقد بين الله ﷻ شرفها وقرنه ببيان شرف القرآن في مواضع كثيرة من كتابه الكريم، قال الله تعالى: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ * من قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [آل عمران:٢-٤]، فخص الله ﷻ ذكر هذه الكتب الثَّلاثة في بيان قيومته على خلقه، وغير ذلك من الآيات، وهي كثيرة[٣].

قال الله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ [الأنعام:١٥٦]، ويرى أبو السُّعود[٤] أنَّ "تخصيص الإنزال بكتابيهما؛ لأنهما الذي اشتهر حينئذ فيما بين الكتب السَّماوية بالاشتمال على الأحكام لاسيما الأحكام المذكورة"[٥].

المطلبُ الثَّاني: عَدَاوةُ اليَهُود للمؤمنين في القرآن الكريم.

اليهود هم أشدُّ النَّاس عَدَاوةً للذين آمنوا، لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة، وقد أخبر الله ﷻ عن حقيقة هذه العَدَاوة، قال الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آَمَنُوا اليَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة:٨٢]، قال ابن كثير: "ما ذاك إلا لأن كفر اليهود عناد وجحود ومباهتة للحق، وغمط للناس وتنقص بحملة العلم، ولهذا قتلوا كثيرًا من الأنبياء حتى هموا بقتل

---

(١) الجواب الصَّحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية (٢/ ٣٥٢).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر (١/ ١٩٠).

(٣) انظر: أهل الكتاب في القرآن الكريم، للأستاذ الدُّكتور: رياض قاسم، والباحث: بهاء زعرب (ص: ٤).

(٤) أَبُو السُّعُود: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي: مفسر شاعر، من علماء التُّرك المستعربين، ولد بقرب القسطنطينية سنة (٨٩٨هـ - ١٤٩٣م)، ودرس في بلاد متعددة، وكان حاضر الذِّهن سريع البديهة، وتوفي سنة (٩٨٢هـ - ١٥٧٤م). انظر: الأعلام، للزركلي (٧/ ٥٩).

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السُّعود (٣/ ٢٠١).

رسول الله ﷺ غير مرة وسحروه، وألَّبوا عليه أشباههم من المشركين عليهم لعائن الله ﷻ المتتابعة إلى يوم القيامة"(١)، وقال فخر الدِّين الرَّازي: "اعْلَم أنَّه تعالى لمَّا ذكر من أحوال أهل الكتاب من اليهود والنَّصارى ما ذكره، ذكر في هذه الآية أنَّ اليهود في غاية العَدَاوة مع المسلمين؛ ولذلك جعلهم قرناء للمشركين في شدة العَدَاوة، بل نبَّه على أنهم أشد في العَدَاوة من المشركين من جهة أنه قدم ذكرهم على ذكر المشركين"(٢).

واليهود من أشد النَّاس عَدَاوة للمؤمنين، فهم يسعون للإفساد والقتل والتَّخريب، ويتربصون بالإسلام وأهله الدَّوائر ليل نهار، وهذه العَداوة ليست وليدة اللحظة بل هي منذ القِدَم؛ فهم قتلة الأنبياء والرُّسل –عليهم السَّلام– وهم الذين كذبوا واستهزؤوا بآيات الله ﷻ وكتبه ورسله، وما زالت عداوتهم ملموسة ومحسوسة في الواقع المعاش، لاسيما أننا نحيا في فلسطين في مركز الصِّراع مع هؤلاء القتلة والمحتلين، والحديث من واقع المعاناة والتَّجربة أبلغ بكثير ممن يتحدثون بعيدًا عن هذه الأجواء من الإفساد والقتل والدَّمار واحتلال الأرض وتهويد القدس وعداوتهم للحجر والشَّجر ليس للإنسان فحسب، إننا نتحدث عن عدو من ألدِّ أعداء المسلمين، وما يُعانيه يوميًا أهلنا في الضِّفة المحتلة والقدس والأراضي المحتلة منذ عام ثمانية وأربعين وغزة من عذابات، لهو دليل على شدة هذه العَدَاوة المستمدة من وحي عقيدتهم الفاسدة بأن لهم الحق في هذه الأرض المقدسة، ومما يجعل لهذا المبحث أهمية مميزة كونه يُكتب خلال مرحلة من أهم المراحل التي ينتفض فيها شعبنا المجاهد في الضِّفة المحتلة والقدس، ويُطلقون انتفاضة القدس المباركة لتكون جزءًا من مقاومة هذا الشَّعب الأبِّي لهذه الشِّرذمة من اليهود الذين سيهزمون عما قريب بإذن الله ﷻ، وهذا الصِّراع الذي يدور مع هؤلاء القتلة يؤكد من واقع الألم والمعاناة أن هذه الفئة لم ولن تتوقف عن الكيد للإسلام والمسلمين إلى قيام السَّاعة لتكون نهايتهم هنا في فلسطين بإذن الله ﷻ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ"(٣).

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣/ ١٦٦).

(٢) مفاتيح الغيب، لفخر الدِّين الرَّازي (١٢/ ٤١٣).

(٣) صحيح مسلم، كتاب: الفتن وأشراط السَّاعة، باب: لا تقوم السَّاعة حتى يمر الرَّجل بقبر الرَّجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء (ح٢٩٢٢)، (٤/ ٢٢٣٩).

ولِيَعْلم الجميع أنَّ هذه العَداوة مستمرة منذ القِدَم إلى يومنا هذا، لتكون شاهدةً على جرائمهم ومؤامراتهم وحقدهم وعداوتهم للإسلام وأهله.

ولكن لا بدَّ من الإشارة إلى نقطة في غاية الأهمية وهي أن هذه العَداوة لا بد أن تقابل بعداوة مثلها بل أشدّ منها، ولا بد أن يكون موقف المسلمين من هذه العَداوة واضحًا وظاهرًا ونابعًا من وحي قرآننا وديننا، فالعداوة مرتبطة بالعقيدة الرَّاسخة عند كل مسلم ارتضى لنفسه هذا الدِّين العظيم فيُحِبُّ لله ﷻ ويبغض من أجل الله ﷻ لا لهوًى في نفسه أو لمصلحةٍ شخصية، إنما من خلال هذه العقيدة الرَّاسخة وبما يأمرنا به قرآننا، حتى تكون هذه العَداوة مضبوطة بضابط الإيمان والإسلام، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، ففي هذه الآية الكريمة خطاب واضح وصريح للمؤمنين بعدم اتخاذ هؤلاء اليهود أولياء، قال السَّعدي: "يرشد الله ﷻ عباده المؤمنين حين بيَّن لهم أحوال اليهود والنَّصارى وصفاتهم غير الحسنة، ألا يتخذوهم أولياء، فإن بَعضهُم أَولِياء بَعْضٍ يتناصرون فيما بينهم ويكونون يدًا على من سواهم، فأنتم لا تتخذوهم أولياء، فإنهم الأعداء على الحقيقة ولا يبالون بضركم، بل لا يدخرون من مجهودهم شيئًا على إضلالكم، فلا يتولاهم إلا من هو مثلهم، ولهذا قال تعالى: (وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ)؛ لأن التَّولي التَّام يوجب الانتقال إلى دينهم، والتَّولي القليل يدعو إلى الكثير، ثم يتدرج شيئًا فشيئًا، حتى يكون العبد منهم"(١).

قال الزُّحيلي: "أيها المؤمنون بالله ﷻ ورسوله ﷺ، لا توالوا اليهود والنَّصارى أعداء الإسلام، أي: لا تتخذوهم أنصارًا وحلفاء على أهل الإيمان بالله ﷻ ورسوله ﷺ، ولا تُسِرُّوا إليهم بأسراركم، ولا تطمئنوا إلى صداقتهم ومحبتهم أو مودتهم، إذ لن يخلصوا لكم، وبعضهم أولياء بعض، أي: إنَّ اليهود بعضهم أنصار بعض، والنَّصارى بعضهم أنصار بعض، وقد نقض اليهود عهودهم، والكل متفقٌ على معاداتكم وبغضكم"(٢).

إذًا هذه الموالاة من أخطر ما يمكن أن يقع به المسلم تجاه هؤلاء الأعداء، بل إن المستغرب أن تجد من بني جلدتنا وممن يرون هذه العَداوة رأي العين، فهم لم يقرؤوا عنها في الكتب أو سمعوها في القصص الماضية في غابر الزَّمان بل هم يعايشون هذه العَداوة الظَّاهرة التي لا تخفى على أحد اليوم، وتراهم للأسف الشَّديد يوالونهم ويوادونهم ويعاشرونهم ويجلسون

(١) تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان، للسَّعدي (ص: ٢٣٥).
(٢) التَّفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للزُّحيلي (٦/ ٢٢٥).

معهم دون أن يضعوا نُصب أعينهم آيات الله ﷻ التي حذرت من هذه الموالاة والمحبة التي هي طعنة في خاصرة كل المؤمنين، بل خيانة لله ﷻ ورسوله ﷺ.

وينبغي هنا الإشارة لبعض صور ومظاهر عداوة اليهود للمؤمنين من خلال إبراز القرآن الكريم لهذه الصُّور، على النَّحو التَّالي:

أولًا: التَّطاول على الله ﷻ ورسوله ﷺ.

من شدة عداء اليهود للمؤمنين وحقدهم عليهم أنهم تطاولوا على الله ﷻ ووصفوه بأشنع الوصف، فقد نسبوا له الولد، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، واتهموا الله ﷻ بأن يده مغلولة، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، ووصفوه كذلك بالفقر، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١].

وكذلك لم يسلم النَّبي محمد ﷺ من آذاهم والدُّعاء عليه، فعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ؓ، يَقُولُ: مَرَّ يَهُودِيٌّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَعَلَيْكَ" فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَتَدْرُونَ مَا يَقُولُ؟ قَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ نَقْتُلُهُ؟ قَالَ: "لاَ، إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الكِتَابِ، فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ"(١)، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "لَا تَبْدَءُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ، فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ"(٢).

ثانيًا: تكذيب وقتل الأنبياء -عليهم السَّلام-.

إنَّ تكذيب اليهود للأنبياء والرُّسل عليهم السَّلام يُعدُّ مظهرًا من مظاهر عداوتهم لهم؛ لأن ذلك التَّكذيب قائمٌ على أساس الكِبْر والعناد، قال الله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة:٨٧]، قال سيد قطب: "ومحاولة إخضاع الهُداة والشَّرائع للهوى الطَّارئ والنَّزوة المتقلبة، ظاهرة تبدو كلما فسدت الفطرة، وانطمست فيها عدالة المنطق الإنساني ذاته، المنطق الذي يقتضي أن ترجع الشَّريعة إلى

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: إذا عرض الذِّمي وغيره بسب النَّبي ﷺ ولم يصرح، نحو قوله: السَّام عليك، (ح٦٩٢٦)، (٩/ ١٥).

(٢) صحيح مسلم، كتاب: السَّلام، باب: النَّهيِ عن ابتداء أهل الكتاب بالسَّلام وكيف يرد عليهم، (ح٢١٦٧)، (٤/ ١٧٠٧).

مصدر ثابت، غير المصدر الإنساني المتقلب، مصدر لا يميل مع الهوى، ولا تغلبه النَّزوة، وأن يرجع النَّاس إلى ذلك الميزان الثَّابت الذي لا يتأرجح مع الرِّضا والغضب، والصِّحة والمرض، والنَّزوة والهوى، لا أن يخضعوا الميزان ذاته للنَّزوة والهوى!"(١)، قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآَيَاتِ اللهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٥٥]، قال ابن كثير: "وهذه من الذُّنوب التي ارتكبوها، مما أوجب لعنتهم وطردهم وإبعادهم عن الهدى، وهو نقضهم المواثيق والعهود التي أُخذت عليهم، وكفرهم بآيات الله ﷻ، أي: حججه وبراهينه، والمعجزات التي شاهدوها على أيدي الأنبياء، عليهم السَّلام، وقوله: (وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ) وذلك لكثرة إجرامهم واجترائهم على أنبياء الله ﷻ، فإنهم قتلوا جمًا غفيرًا من الأنبياء بغير حق عليهم السَّلام"(٢).

وإنَّ الواقع المعاش في فلسطين المحتلة، يُحتِّم على الباحث أن يذكر بعضًا من جرائم اليهود في حقِّ شعبنا الفلسطيني المجاهد، التي لم تتوقف على مدار السِّنين الماضية منذ احتلالهم لأرضنا ومقدَّساتنا، فعلى سبيل المثال لا الحصر، نذكر العدوان الإسرائيلي الذي شنَّه الاحتلال الصُّهيوني على قطاع غزة عام (٢٠٠٨)، والذي لم يكن مجرد عدوان، بل كان إبادة جماعية بكل ما تحمل الكلمة من معنى، ومحرقة حقيقية طالت الأخضر واليابس، وإذا أردنا أن نتحدَّث عن الخسائر البشرية فقط، فحدِّث ولا حرج، فقد "شكَّلت الغارات الجوية التي نفذتها طائرات الاحتلال الإسرائيلي على قطاع غزة ظهيرة يوم السبت ٢٠٠٨/١٢/٢٧م بداية عدوان استمر اثنين وعشرين يومًا، وفاق عدد الشُّهداء، حسب المصادر الطِّبية في القطاع، في اليوم الأول من العدوان (٢٨٥) شهيدًا و(٩٠٠) جريحًا بينهم ما لا يقل عن (١٨٠) في حالة خطيرة، وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ قطاع غزة لم يشهد عدوانًا واسعًا بهذا الشَّكل منذ حرب سنة ١٩٦٧م، وبلغت الحصيلة النِّهائية للعدوان على قطاع غزة، حسب تقرير الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، الصَّادر في ٢٠٠٩/١/٢٨م، (١٣٣٤) شهيدًا، بينهم (٤١٧) طفلًا، و(١٠٨) نساء، و(١٢٠) مسنًا، و(١٤) مسعفًا؛ فيما بلغ عدد الجرحى (٥٤٥٠)"(٣).

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب (١/ ٨٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ٤٤٧).

(٣) العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة ٢٠٠٨/١٢/٢٧ – ٢٠٠٩/١/١٨، إعداد قسم الأرشيف والمعلومات مركز الزَّيتونة للدِّراسات والاستشارات (ص: ١١ – ١٢).

وخلال هذا العدوان كان هناك الكثير من الشَّواهد على جرائم هذا العدو الصُّهيوني، أذكر على سبيل المثال لا الحصر، بعض هذه الجرائم، فقد "ارتكبت "إسرائيل" عددًا من المجازر بحق المدنيين الفلسطينيين خلال عدوانها على غزة، ومن الشَّواهد على تلك المجازر ما حدث مع عائلة السَّموني التي استشهد منها ثمانية وأربعون فردًا في يوم واحد، عندما انصبَّت قذائف الجيش الإسرائيلي على مساكن تلك العائلة، بعد أن جمع الجنود الإسرائيليون أفرادها في عدد من المساكن، كما أقدمت "إسرائيل" على قصف مدارس الأونروا، التي لجأ إليها المدنيون الفلسطينيون، ومنها مدرسة الفاخورة في مخيم جباليا شمال القطاع، حيث استشهد أكثر من (٤٠) طفلًا وامرأة وجرح (٦٠) آخرون"[(١)].

ثالثًا: حسد المؤمنين على ما ينزل عليهم من خير.

قال الله تعالى: ﴿**مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ**﴾ [البقرة:١٠٥]، قال محمد رضا: "ما يحب الذين كفروا من اليهود والنَّصارى ولا من المشركين أن ينزل عليكم أدنى خير من ربكم، أما أهل الكتاب ولاسيما اليهود فلحسدهم للعرب أن يكون فيهم الكتاب والنُّبوة، وهو ما كانوا يحتكرونه لأنفسهم، وأما المشركون فلأن في التَّنزيل المرة بعد المرة من قوة الإسلام ورسوخه وانتشاره ما خيب آمالهم في تربصهم الدَّوائر بالنَّبي ﷺ وانتهاء أمره"[(٢)]، فاليهود يحسدون المؤمنين على ما آتاهم الله ﷻ من خير حِقدًا وبُغضًا لهم فلا يُحبون لهم الخير مطلقًا.

رابعًا: تمني الكفر والرِّدة للمؤمنين.

اليهود يُحبون بل يسعون في رد المؤمنين عن دينهم وفتنتهم في دينهم، قال الله تعالى: ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [البقرة:١٠٩]، قال أبو بكر الجزائري: "يُخبر الله ﷻ المؤمنين بنفسية كثير من أهل الكتاب وهي الرَّغبة المُلِّحة في أن يتخلى المسلمون عن دينهم الحق؛ ليصبحوا كافرين، ومنشأ هذه الرَّغبة الحسد النَّاجم عن نفسية لا ترغب أن ترى المسلمين يعيشون في نور الإيمان بدل ظلمات الكفر، وبعد أن أعلم عباده المؤمنين بما يُضمر لهم أعداؤهم، أمرهم بالعفو والصَّفح؛ لأنَّ الوقت لم يحن بعد لقتالهم فإذا

---

(١) العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة ٢٠٠٨/١٢/٢٧ – ٢٠٠٩/١/١٨، إعداد قسم الأرشيف والمعلومات مركز الزَّيتونة للدِّراسات والاستشارات (ص: ١٥).

(٢) تفسير المنار، لمحمد رضا (١/ ٣٤٠).

حان الوقت قاتلوهم وشفوا منهم صدورهم"(١)، عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ الله عَنْهَا- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "مَا حَسَدَتْكُمُ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ، مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ"(٢).

خامسًا: الصَّد عن سبيل الله ﷻ.

من مكائد اليهود وحيلهم الخبيثة صد المؤمنين عن عقيدتهم عقيدة التَّوحيد، والدَّعوة إلى النِّفاق والكذب، قال الله تعالى: ﴿**وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ آَمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آَمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آَخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [آل عمران:٧٢]، والمعنى: "أظهروا الإيمان بما أُنزل على المسلمين في أَوَّل النَّهار وَاكْفُرُوا به في آخره، لعلهم يشُكُّون في دينهم، ويقولون: ما رجعوا وهم أهل كتاب وعلم إلا لأمر قد تبين لهم، فيرجعون برجوعكم، وقيل: تواطأ اثنا عشر من أحبار يهود خيبر وقال بعضهم لبعض: ادخلوا في دين محمد أوَّل النَّهار من غير اعتقاد، واكفروا به آخر النَّهار، وقولوا: إنا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدًا ليس بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه وبطلان دينه، فإذا فعلتم ذلك شكَّ أصحابه في دينهم"(٣).

ومن صور عداوة اليهود للمسلمين نشرهم الفساد في الأرض من عُريٍّ، وفواحش ورذائل، وإباحية، وكل هذا بواسطة أذنابهم من المنافقين، وغيرهم ممن انتكست فطرتهم عبر الفضائيات وغيرها من وسائل الفساد، فقاموا بصد النَّاس عن سبيل الله ﷻ.

ساسًا: نقض العهود والمواثيق.

المكر والخداع، والغدر والخيانة، ونقض العهود والمواثيق، هو ديدن اليهود، فقد قال الله تعالى: ﴿**أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ [البقرة:١٠٠]، هذه الآية "تدل على نقض العهد بين طرفين، وأكثر ما تكون عهود اليهود بين رب العالمين وبينهم، والعهد الذي يكون بين طرفين لا ينقض إلا بتراضيهم، ولكنهم لا يلتزمون بذلك، بل ينفردون بالنقض، أو بعبارة أدق لا يعرفون معهودهم، وقال تعالى: (نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهمْ) النَّبذ الطَّرح والرمي، ومعناه في العهود، نبذ الوفاء وطرحه، من غير موجب ولا مراعاة ذمامٍ، ولم يُجز القرآن النَّبذ إلا عند الخيانة، كما قال الله تعالى: ﴿**وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ**

(١) أيسر التَّفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر الجزائري (١/ ٩٨).

(٢) سُنن ابن ماجه، كتاب: إقامة الصَّلاة، والسُّنة فيها، باب: الجهر بآمين (ح٨٥٧)، (١/ ٢٧٩)، قال الألباني: "صحيح". صحيح وضعيف سنن ابن ماجة، للألباني (٢/ ٤٢٨).

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التَّنزيل، للزَّمخشري (١/ ٣٧٣).

الخَائِنِينَ﴾ [الأنفال:٥٨]"[١]، وقال الله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة:١٣]، فقد نقضوا العهود والوعود، ونرى ذلك أمام أعيننا في أرض فلسطين، فتارة يُعلنون وقف إطلاق النَّار في الحروب، ثم ينقضون عهدهم ويغدرون، وتارة تراهم لا يلتزمون بأي اتفاقية أو ميثاق يُبرم معهم، فاليهود لا عهد لهم ولا ميثاق، فخلال الحروب الثَّلاثة التي شنَّها العدو الإسرائيلي على قطاع غزة، رأينا بأُمِّ أعيننا نقضهم وخرقهم للاتفاقات، فكانوا لا يلتزمون بوقف إطلاق النَّار خلال فترة سريان التَّهدئة، فقد سُجِّل خلال الحروب خروق كثيرة خلال التهدئات، فعلى سبيل المثال "ذكرت القدس العربي، لندن، ٢٠١٤/٨/٢م، عن أشرف الهور غزة، أنَّ جيش الاحتلال الإسرائيلي ارتكب رغم الهدنة الإنسانية لمدة (٧٢) ساعة التي أعلنتها الولايات المتحدة والأمم المتحدة أبشع مجزرة منذ بدء العدوان قبل (٢٥) يومًا الذي اتَّسم بالمجازر ضد الأطفال والنِّساء"[٢].

وقد غيروا حقائق التَّاريخ واحتلوا أرض فلسطين، فيهود اليوم الذين كانوا متفرقين في شتى بقاع الأرض، ثم جاؤوا فلسطين بمعاونة دول الكفر، هم يهود الأمس فصفاتهم لم تتغير ولم تتبدل، عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي المَسْجِدِ، خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: "انْطَلِقُوا إِلَى يَهُودَ"، فَخَرَجْنَا حَتَّى جِئْنَا بَيْتَ المِدْرَاسِ[٣] فَقَالَ: "أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُجْلِيَكُمْ مِنْ هَذِهِ الأَرْضِ، فَمَنْ يَجِدْ مِنْكُمْ بِمَالِهِ شَيْئًا فَلْيَبِعْهُ، وَإِلَّا فَاعْلَمُوا أَنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ"[٤].

المطلب الثَّالث: عَدَاوةُ النَّصَارى للمؤمنين في القرآن الكريم.

"المشركون واليهود والنَّصارى كلهم أعداء للإسلام والمسلمين، لكن المشركين واليهود أعظم النَّاس معاداة للإسلام والمسلمين، وأكثرهم سعيًا في إيصال الضَّرر إليهم، وذلك لشدة بغضهم لهم بغيًا وحسدًا وعنادًا وكفرًا، والنَّصارى أقرب الخلق إلى المسلمين وإلى ولايتهم ومحبتهم من اليهود والمشركين؛ وذلك لأن فيهم علماء زاهدين، وعبادًا في الصَّوامع، والعلم مع الزُّهد والعبادة يلطف القلب ويرققه، ويزيل عنه ما فيه من الجفاء والغلظة؛ فلذلك لا توجد فيهم

---

(١) زهرة التَّفاسير، لأبي زهرة (١/ ٣٣٤).

(٢) العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة عملية "العصف المأكول – عملية الجرف الصَّامد ٢٠١٤/٧/٧م–٢٠١٤/٨/٢٦م"، إعداد قسم الأرشيف والمعلومات مركز الزَّيتونة للدِّراسات والاستشارات (ص: ٩٤).

(٣) المِدْرَاس: أي: "الْبَيْتُ الَّذِي يَدْرُسُونَ فِيهِ". النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/ ١١٣).

(٤) صحيح البخاري، كتاب: الجزية، باب: إِخْرَاجِ اليَهُودِ مِنْ جَزِيرَةِ العَرَبِ، (ح٣١٦٧)، (٤/ ٩٩).

غلظة اليهود، ولا شدة المشركين، وليس فيهم تكبر ولا عتو عن الانقياد للحق، وذلك موجب لقربهم من المسلمين ومحبتهم، والمتواضع أقرب إلى الخير من المستكبر"[(١)]، قال الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة:٨٢]، والمعنى: "(لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَداوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا) لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى، وركونهم إلى التَّقليد وبعدهم عن التَّحقيق، وتمرنهم على تكذيب الأنبياء ومعاداتهم، (وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قالُوا إِنَّا نَصارى) للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على الدُّنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل، وإليه أشار بقوله: (ذلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْباناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ) عن قبول الحق إذا فهموه، أو يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود، وفيه دليل على أن التَّواضع، والإقبال على العلم والعمل، والإعراض عن الشَّهوات محمود وإن كانت من كافر"[(٢)]، فلا بد من التَّفريق بين درجات عداوة أهل الكتاب، فعداوة اليهود أشد من عداوة النَّصارى، لكن هذا لا يعني أن النَّصارى ليسوا أعداء بل هم أعداء لكن بدرجة أقل من اليهود.

وحتى تكتمل الفائدة نذكر بعض صور عداوة النَّصارى للمؤمنين ومن باب التَّوضيح فإن الباحث سيُحاول أن يذكر صور العَداوة بعيدًا عن الحديث عن عقيدتهم، فالهدف هنا بيان صور ومظاهر هذه العَداوة، على النحو التَّالي:

أولًا: نقض العهود والمواثيق.

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة:١٤] "أي: ومن الذين ادعوا لأنفسهم أنهم نصارى يتابعون المسيح ابن مريم عليه السلام وليسوا كذلك أخذنا عليهم العهود والمواثيق على متابعة الرسول ﷺ ومناصرته ومؤازرته واقتفاء آثاره، وعلى الإيمان بكل نبي يرسله الله ﷻ إلى أهل الأرض، ففعلوا كما فعل اليهود، خالفوا المواثيق ونقضوا العهود، ولهذا قال تعالى: (فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ) أي: فألقينا بينهم العَداوة والبغضاء لبعضهم بعضًا ولا يزالون كذلك إلى قيام السَّاعة، ثم قال تعالى:

---

(١) موسوعة فقه القلوب، للتُّويجري (٤/ ٣٣٣٦).

(٢) أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل، للبيضاوي (٢/ ١٤٠).

(وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) وهذا تهديد ووعيد أكيد للنَّصارى على ما ارتكبوه من الكذب على الله ﷻ ورسوله ﷺ وما نسبوه إلى الرَّب ﷻ وتعالى وتقدس عن قولهم علوًا كبيرًا مِنْ جَعْلِهِم له صاحبةً وولدًا تعالى الواحد الأحد الفرد الصَّمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد"(١).

ثانيًا: عدم رضاهم عن المسلمين ما داموا على الإيمان.

قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ اليَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:١٢٠]، قال سيد قطب: "فتلك هي العلة الأصيلة، ليس الذي ينقصهم هو البرهان، وليس الذي ينقصهم هو الاقتناع بأنك على الحق، وأنَّ الذي جاءك من ربك الحق، ولو قدمت إليهم ما قدمت، ولو توددت إليهم ما توددت، لن يُرضيهم من هذا كله شيء، إلا أن تتبع ملتهم وتترك ما معك من الحق، إنها العُقدة الدَّائمة التي نرى مصداقها في كل زمان ومكان، إنها هي العقيدة، هذه حقيقة المعركة التي يشُنها اليهود والنَّصارى في كل أرض وفي كل وقت ضد الجماعة المسلمة، إنها معركة العقيدة هي المشبوبة بين المعسكر الإسلامي وهذين المعسكرين اللذين قد يتخاصمان فيما بينهما، وقد تتخاصم شيع الملة الواحدة فيما بينها، ولكنها تلتقي دائمًا في المعركة ضد الإسلام والمسلمين! إنها معركة العقيدة في صميمها وحقيقتها، ولكن المعسكرين العريقين في العَداوة للإسلام والمسلمين يُلونانها بألوان شَتَّى، ويرفعان عليها أعلامًا شتى، في خبث ومكر وتورية"(٢).

فكما أن اليهود يحسدون أهل الإسلام ويحقدون عليهم فكذلك النَّصارى، حتى أنهم لا يهنأ لهم بال لوجود الإسلام وانتشاره، فيقومون بحملات تبشيرية من أجل القضاء على الإسلام، فلا يتوانون ببذل الجهود والمال؛ لأجل ذلك ولكن هذا لن ينفعهم، قال الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣]، وبفضل الله ﷻ، وجهود الدُّعاة وتصديهم لمثل هذه الحملات التَّبشيرية، سينتشر الإسلام في كل بقاء الأرض.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣/ ٦٧).

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب (١/ ١٠٨).

ثالثًا: ادعاؤهم أنه لن يدخل الجنة إلا اليهود والنَّصارى.

قال الله تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [البقرة:١١١]، والمعنى أي: "قال اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا، وقالت النَّصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، فحكموا لأنفسهم بالجنة وحدهم، وهذا مجرد أماني غير مقبولة، إلا بحجة وبرهان، فأتوا بها إن كنتم صادقين، وهكذا كل من ادعى دعوى، لا بد أن يُقيم البرهان على صحة دعواه، وإلا فلو قلبت عليه دعواه، وادعى مدع عكس ما ادعى بلا برهان لكان لا فرق بينهما، فالبرهان هو الذي يصدق الدَّعاوى أو يكذبها، ولما لم يكن بأيديهم برهان، عُلم كذبهم بتلك الدَّعوى"[١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ"[٢].

الخُلاصة:

مما سبق يظهر لنا أن أهل الكتاب هم اليهود والنَّصارى وهم من ألد أعداء المؤمن، وكلٌ منهم يعادي المؤمنين بأسلوبه وطريقته، إلا أننا نلحظ أنَّ هناك صورًا مشتركة من البغض والحسد والحقد فتعبير القرآن الكريم "بأهل الكتاب" يجمع بين اليهود والنَّصارى ليس من الضَّروري في كل المواضع لكن في أغلبها؛ لذلك لا بد للمؤمنين أن ينتبهوا لهذه العَدَاوة، وأن يحذروا من موالاتهم ومودتهم، فهم أعداء ينبغي علينا الحذر منهم كما بين ذلك القرآن الكريم، بل إن الواجب علينا أن نعاديهم كما يعادوننا، وألا نعطيهم الدَّنية في ديننا، فإن الدِّين عند الله ﷻ الإسلام ولو كره الكافرون، هذه هي العقيدة الرَّاسخة في قلوب الموحدين المؤمنين بالله ﷻ. والله تعالى أعلم.

---

(١) تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان، للسَّعدي (ص: ٦٢).

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، وَنَسْخِ الْمِلَلِ بِمِلَّتِهِ، (ح١٥٣)، (١/ ١٣٤).

المبحث الرَّابع

عَدَاوة المنافقين

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف النِّفاق لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثَّاني: صور عَدَاوة المنافقين للمؤمنين.

المبحث الرَّابع

عَدَاوة المنافقين

إنَّ من يتأمل الآيات القرآنية الكريمة التي تحدثت عن النِّفاق والمنافقين، يُدرك أنَّ هذه الفئة من النَّاس فئةٌ خطيرةٌ، وقد تحدث القرآن الكريم في مواضع كثيرة عن النِّفاق وأهله، وهذا يُعَدُّ دلالةً واضحةً على خطورة هذا الموضوع، بل إن الله ﷻ أفرد سورةً كاملةً في القرآن الكريم تتحدث عن المنافقين وصفاتهم وأحوالهم، وأطلق عليها سورة "المنافقون" ليظل حاضرًا عند كل من يقرأ كتاب الله ﷻ خطورة هذا العدو، وضرورة التنبُّه إلى هذا العدو الخفي، الذي قلَّما يتنبه له المؤمنون، فعدونا في هذا المبحث عدوٌ خَفِيٌّ يُظهر خلاف ما يبطن، ويُصوِّر لنا أنه في صفِّنا ومِنَّا ومعنا، ولكنَّه للأسف يُخطط بهدوء وسرية محكمة لمحاربة الإسلام والمسلمين، وضرب المسلمين من الدَّاخل، ومحاولة زعزعة الصَّف الإسلامي، وهنا تكمن خطورة هذا العدو، فكتمان المنافقين لما يُبطنون من حقدٍ وكيدٍ للمسلمين يجعل الكثير من المسلمين يَنْخدع بهم، ويعُدُّهم من صفنا ومعنا، وهم في حقيقة الأمر يكيدون للمسلمين المكائد ليل نهار، ويتآمرون على المسلمين أشد المؤامرات؛ لذا كان لزامًا على الباحث أن يتطرق لهذا الموضوع، وأن يُبَيِّن للقارئ الكريم مدى خطورة النِّفاق والمنافقين على الإسلام وأهله، ووجوب عداوتهم وعَدِّهم من أعداء المؤمن الواجب علينا محاربتهم وعدم موالاتهم، وتحذير المؤمنين من الوقوع في شباكهم والانجرار خلف أكاذيبهم وافترائاتهم، وعدم الاغترار بظاهرهم المُزَيَّف، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ العَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون:٤]، وخلال هذا المبحث سيُبَيِّنُ الباحث ماهية النِّفاق وصور عداوة المنافقين للمؤمنين، على النَّحو التَّالي:

المطلب الأول: تعريف النِّفاق لغةً واصطلاحًا.

ويشتمل هذا المطلب على بيان معنى النِّفاق لغةً واصطلاحًا على النَّحو التَّالي:

أولًا: تعريف النِّفاق لغةً.

نَفَقَ: "النُّون والفاء والقاف أصلان صحيحان، يدل أحدهما على انقطاع شيء وذَهابه، والآخر على إخفاء شيء وإغْماضه،... ومنه اشتقاق النِّفاق؛ لأنَّ صاحبه يَكْتم خِلاف ما يظهر

فكأن الإيمان يخرج منه، أو يخرج هو من الإيمان في خَفاء"(١).

"والنِّفاق بالكسر فِعْلُ "المُنَافِق"(٢)، والنِّفاق: الدُّخول في الإسلام من وجه والخروج عنه من آخر، وقد نافق منافَقَةً ونفاقًا، وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وهو الذي يَسْتُر كُفْره ويُظهر إيمانه، وإن كان أصله في اللغة معروفًا، يُقال: نافق ينافق منافقة ونفاقًا، وهو مأخوذ من النَّافِقَاء لا من النَّفَق، وهو السَّرب الذي يَسْتتر فيه لستره كفره(٣).

قال الأصفهاني: "النِّفَاق: هو الدُّخول في الشَّرع من باب والخروج عنه من باب، وعلى ذلك نبَّه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾ [التوبة:٦٧]، أي: الخارجون من الشَّرع، وجعل الله ﷻ المنافقين شرًّا من الكافرين، فقال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء:١٤٥]"(٤).

قال العسكري: "النِّفَاق إظهار الإيمان مع إسرار الكفر، وسمي بذلك تشبيهًا بما يفعله اليربوع، وهو أن يجعل بجحره بابًا ظاهرًا وبابًا باطنًا يخرج منه إذا طلبه الطَّالب، ولا يقع هذا الاسم على من يُظهِر شيئًا ويخفي غيره، إلا الكفر والإيمان، وهو اسم إسلامي والإسلام والكفر اسمان إسلاميان، فلما حدثا وحدث في بعض النَّاس إظهار أحدهما مع إبطان الآخر سمي ذلك نفاقًا"(٥)، والمُنَافِق: "من يُخفي الكفر ويُظهِر الإيمان، ومن يُضمر العَدَاوة ويظهر الصَّداقة، ومن يُظهِر خلاف ما يبطن"(٦).

ثانيًا: تعريف النِّفاق اصطلاحًا:

"النِّفاق: إظهار الإيمان باللسان، وكتمان الكفر بالقلب"(٧)، فمن خلال المعنى اللغوي نجد تداخلًا بينه وبين المعنى الاصطلاحي أو الشَّرعي، فالنِّفاق: هو إظهار الإسلام وإبطان الكفر، فالمنافق يُظهر خلاف ما يبطن، وهذا هو وصف القرآن الكريم لهم، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللهِ وَبِاليَوْمِ الآَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨]، فهم يؤمنون بألسنتهم

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/ ٤٥٤ – ٤٥٥).

(٢) مختار الصِّحاح، للرَّازي (ص: ٣١٦).

(٣) انظر: لسان العرب، لابن منظور (١٠/ ٣٥٩).

(٤) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (١ / ٨١٩ – ٨٢٠).

(٥) الفروق اللغوية، للعسكري (١/ ٢٢٨ – ٢٢٩).

(٦) المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى، وآخرين (٢/ ٩٤٢).

(٧) التَّعريفات، للجُرجاني (ص: ٢٤٥).

فقط بالقول دون اعتقادٍ في القلب، ونجد أنَّ الله ﷻ نفى عنهم صفة الإيمان، وقال الله تعالى مبينًا طريقة نفاقهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة:١٤].

ويرى الباحث أنَّ المنافق هو: الذي يُبطن خلاف ما يُظهر، فيُبطن الكُفر ويُظهر الإيمان خداعًا وكذبًا.

المطلب الثَّاني: صور عداوة المنافقين للمؤمنين.

سيُحاول الباحث في هذا المطلب استعراض صور ومظاهر عداوة المنافقين للمؤمنين، لكشف أساليبهم وبيان مدى خطرهم على الأمة الإسلامية، لاسيما في واقعنا المعاصر الذي نحيا؛ لنحذر من كل منافقٍ يتربَّص بالإسلام والمسلمين، وذلك على النَّحو التَّالي:

أولًا: الصَّد عن سبيل الله ﷻ.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء:٦١]، قال محمد رضا في تفسيره للآية: "يقول تعالى: وإذا قيل لأولئك الذين يزعمون أنهم آمنوا وهم يريدون التَّحاكم إلى الطَّاغوت: (تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ) في القرآن لنعمل به ونُحَكِّمه فيما بيننا وإلى الرَّسول ﷺ لِيَحْكم بيننا بما أراه الله ﷻ، (رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ) أي: رأيتهم وهم المنافقون، وجاء بالظَّاهر بدل الضَّمير ليبين حالهم وحال أمثالهم بالنَّص ويبني عليه ما بعده وهو أثره، (يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا)، أي: يُعْرِضون عنك ويَرْغَبون عن حكمك إعراضًا متعمدًا منهم، وهو هنا من "صد" اللازم، والآية ناطقة بأنَّ من صدَّ وأعرض عن حكم الله ﷻ ورسوله ﷺ عمدًا ولاسيما بعد دعوته إليه وتذكيره به، فإنه يكون منافقًا لا يُعتدُّ بما يزعمه من الإيمان وما يدعيه من الإسلام، وهي حجة الله ﷻ البالغة على المقلدين لبعض النَّاس فيما استبان حكمه في الكتاب والسُّنة، ولاسيما إذا دعوا إليه ووعظوا به"(١).

ومن يَكْذِب في إسلامه لا يُعجِزه أن يكذب في يمينه لِيصُدَّ عن سبيل الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون:١-٢]، قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: "(اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ

(١) تفسير المنار، لمحمد رضا (٥/ ١٨٤ – ١٨٥).

اللَّهِ)، أي: اتَّقَوا النَّاس بالأيمان الكاذبة والحَلْفَات الآثمة ليُصَدَّقوا فيما يقولون، فاغْتَرَّ بهم من لا يَعْرِف جَلِيَّة أَمْرِهم، فاعتقدوا أنهم مسلمون، فرُبما اقْتَدَى بهم فيما يفعلون وصدَّقهم فيما يقولون، وهم من شأنهم أنهم كانوا في الباطن لا يَأْلون الإسلام وأهله خبالًا، فحصل بهذا القَدْر ضرر كبير على كثير من النَّاس، ولهذا قال الله تعالى: (فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ ساءَ مَا كانُوا يَعْمَلُونَ)"(١).

وكما أنَّ اليهود قاموا بالصَّد عن سبيل الله ﷻ كما بيَّن الباحث في المبحث السَّابق، فكذلك المنافقون لم يكونوا بأفضل حالٍ منهم، بل كانوا المعول الأساس لهم في نشر الفساد والرَّذيلة والأفكار المسمومة في العقول، فالصَّد عن سبيل الله ﷻ صورةٌ من صور عداوتهم للإسلام والمسلمين، فهم يحاولون بأي طريقةٍ كانت وأي وسيلةٍ توفرت، أن يُبعدوا أهل الإيمان عن إيمانهم، فخطرهم أعظم خطرًا من خطر الكفَّار، فأولئك خطرهم ظاهرٌ بيِّن وعداوتهم معلنة، أما هؤلاء فعداوتهم خفية وصدهم بطرق سرية غير معلنة، يجعل المسألة أكثر تعقيدًا، وبحاجةٍ إلى مزيد من الحذر واليقظة والانتباه.

ثانيًا: الأمر بالمنكر والنَّهي عن المعروف.

إنَّ ما يُميِّز الأمَّة الإسلامية عن غيرها من الأمم، أمرُها بالمعروف ونهيُها عن المنكر وتمسُّكِها بأخلاقها وقيمها، وهذا هو سرُّ خيريَّتها وتميزها بين الأمم، كما أخبر الله ﷻ في كتابه العزيز حين قال: ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ** ﴾ [آل عمران:١١٠]، لكنَّ المنافقين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، قال الله تعالى: ﴿ **المُنَافِقُونَ وَالمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ المُنَافِقِينَ هُمُ الفَاسِقُونَ** ﴾ [التوبة:٦٧]، قال السَّعدي: "يقول تعالى: (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ)؛ لأنهم اشتركوا في النِّفاق، فاشتركوا في تولي بعضهم بعضًا، وفي هذا قطع للمؤمنين من ولايتهم، ثم ذكر وصف المنافقين العام، الذي لا يخرج منه صغير منهم ولا كبير، فقال: (يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ) وهو الكفر والفسوق والعصيان، (وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ) وهو الإيمان، والأخلاق الفاضلة، والأعمال الصالحة، والآداب الحسنة، (وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ) عن الصَّدقة وطرق الإحسان، فوصفهم البخل، (نَسُوا اللَّهَ) فلا يذكرونه إلا قليلًا (فَنَسِيَهُمْ) من رحمته، فلا يوفقهم لخير، ولا يدخلهم الجنة، بل يتركهم في الدَّرك الأسفل من النَّار، خالدين فيها مخلدين، (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) حصر الفسق فيهم؛ لأنَّ فسقهم أعظم من فسق غيرهم، بدليل أنَّ عذابهم

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٨/ ١٥٠).

أشد من عذاب غيرهم، وأن المؤمنين قد ابتلوا بهم، إذ كانوا بين أظهرهم، والاحتراز منهم شديد"(١)، فبِأمرهم بالمنكر ونهيهم عن المعروف يُفسدون النَّاس، فعداوتهم هنا تظهر جليةً في إغواء المسلمين، وفتنتهم في دينهم، ومحاولة نشر الرَّذيلة والفساد في المجتمع الإسلامي، وهذه الصُّورة من أخطر الصُّور، لتأثر كثيرٍ من النَّاس بما يُروِّجه لهم المنافقون من إغراءاتٍ وشهواتٍ ومحاولاتٍ لفتنة النَّاس، وهم يتقمَّصون ويدَّعون أنهم مسلمون على ديننا وعقيدتنا، وهذا ما يجعل كثيرًا من فِتياننا وفتياتنا ينجرفون خلف هذه الأكاذيب والضَّلالات بدعوى أنَّها ممن ينتسبون لهذا الدِّين، وهم لا يعلمون أنَّ من ينشر هذه الضَّلالات والفتن هم من ألدِّ أعدائنا الذين ينبغي علينا الحذر الشَّديد منهم، وكشف زيف مخطَّطَاتهم لبيان حقيقتهم وَوَجْهِهِمُ الحقيقي الذي لا بد أن يظهروا به، وأن يزول هذا القناع، ليعلم المؤمنون أنَّ هؤلاء المنافقين يخدعونهم وينشرون الرَّذيلة والفساد بين أبناء المجتمع الإسلامي، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ القَوْلِ وَاللهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد:٣٠]، قال ابن كثير في تفسيره للآية: "(وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ) أي: فيما يبدو من كلامهم الدَّال على مَقَاصدهم يَفْهم المُتكلم من أيِّ الحِزْبين هُو بِمعاني كلامه وفحواه"(٢)، فحريٌّ بكل عاقلٍ أن يحذر من هذا العدو ولا يستسلم أمام ما يُحاك من مؤامرات ومكائد ضد الأمة الإسلامية.

ثالثًا: محاولة قطع الموارد المالية عن المؤمنين، والتَّضييق عليهم اقتصاديًا.

النِّفاق والكفر وجهان لعملةٍ واحدة، فمهما اختلفت المُسمَّيات إلا أنهم يلتقون في خندقٍ واحدٍ ضد الإسلام والمسلمين، وأساليبهم في عداوتهم للمؤمنين تتشابه وتتناغم، فكما أن الكفَّار يحاولون دومًا التَّضييق على المسلمين، ها نحن نجد المنافقين ينتهجون نهجهم ويسيرون على خُطاهم، قال الله تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَللهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون:٧]، قال سيد قطب في تفسير هذه الآية: "وهي قولةٌ يتجلَّى فيها خُبث الطَّبع، ولؤم النحيزة، وهي خطة التَّجويع التي يبدو أنَّ خصوم الحق والإيمان يتواصون بها على اختلاف الزَّمان والمكان، في حرب العقيدة ومناهضة الأديان، ذلك أنهم لخسة مشاعرهم يحسبون لقمة العيش هي كل شيء في الحياة، كما هي في حسهم فيحاربون بها المؤمنين، إنَّها خطة قريش وهي تقاطع بني هاشم في الشِّعب لينفضوا عن نصرة رسول الله ﷺ ويسلموه للمشركين! وهي خطة المنافقين كما تحكيها هذه الآية لينفضَّ أصحاب

---

(١) تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان، للسَّعدي (ص: ٣٤٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧/ ٢٩٧).

رسول الله ﷺ عنه تحت وطأة الضِّيق والجوع! وهي خطة الشُّيوعيين في حرمان المتدينين في بلادهم من بطاقات التَّموين، ليموتوا جوعًا أو يكفروا بالله ﷻ، ويتركوا الصَّلاة! وهي خطة غيرهم ممن يحاربون الدَّعوة إلى الله ﷻ وحركة البعث الإسلامي في بلاد الإسلام، بالحصار والتَّجويع ومحاولة سد أسباب العمل والارتزاق، وهكذا يتوافى على هذه الوسيلة الخسيسة كل خُصوم الإيمان، من قديم الزَّمان، إلى هذا الزَّمان"(١).

هذا هو ديدن المنافقين في كلِّ زمانٍ ومكان، فها نحن اليوم نتعرض في فلسطين وفي غزة تحديدًا لأشرس حصارٍ وتضييق على أهلنا في قطاع غزة، وما ذلك إلا لأنهم ارتضوا العيش بعزة وكرامة، فقاطعهم القريب والبعيد، في حملة شرسة من أبناء جلدتنا ومن يَدينون بديننا ويدَّعون أنهم من أبناء الأمة الإسلامية والعربية، فنراهم يُضيِّقون علينا ويُحكِمون علينا الحصار والإغلاق، في محاولةٍ يائسة وفاشلةٍ لرد النَّاس عن خيارهم وحبهم لمقاومتهم، فغزة المحاصرة صامدة وأهلها صامدون رغم كل المؤامرات التي تحاك ضدها ليل نهار، رغم الحصار والتَّضييق، إلا أنها بفضل الله ﷻ ثم بصمود هذا الشَّعب المرابط تُثْبت للعالم أجمع أنَّ كل المحاولات في إسقاط هذه البقعة الصَّامدة تبوء بالفشل، وما محاولات المنافقين المتربِّصين إلا جزءٌ من المسلسل المستمر في حربهم وإجرامهم ضد الإسلام والمسلمين.

رابعًا: موالاتهم للكافرين.

قال الله تعالى: ﴿**بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ العِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ للهِ جَمِيعًا**﴾ [النساء:١٣٨-١٣٩]، والمعنى يا محمد، بشِّر المنافقين الذين يتَّخذون أهل الكفر بي والإلحاد في ديني أولياء، أي: أنصارًا وأخِلاء من دون المؤمنين، بشرهم بأن لهم عذابًا أليمًا، أيطلبون عندهم المنعة والقوة باتخاذهم إياهم أولياء من دون أهل الإيمان بي؟ فإنَّ الذين اتخذوهم من الكافرين أولياء ابتغاءَ العزة عندهم، هم الأذلاء الأقِلاء، فهلَّا اتخذوا الأولياء من المؤمنين، فَيَلْتمِسوا العزَّة والمَنَعة والنُّصرة من عند الله ﷻ الذي له العزة والمَنَعة، الذي يُعِزّ من يشاء ويذل من يشاء، فيعزُّهم ويمنعهم(٢).

إنَّ محبة الكافرين واتِّخاذهم أولياء يُعَدُّ خيانةً لله ﷻ ورسوله ﷺ، فهؤلاء المنافقون يظنُّون أنهم يخدعون الله ﷻ، وفي حقيقة الأمر ما يخدعون إلا أنفسهم، قال الله تعالى:

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٦/ ٣٥٧٩).

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطَّبري (٩/ ٣١٩).

﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:٩]، فهم لا يعلمون أنَّ الله ﷻ عالمٌ بأحوالهم وسرائرهم وما تُخفي صدورهم من غلٍ وكيدٍ وحقدٍ للإسلام والمسلمين، وموالاةٍ لأعداء الله ﷻ، فخدعوا أوطانهم وشعوبهم ومَكَّنوا أهل الكفر من السَّيطرة على بلادهم، فكثير من أهل النِّفاق يبيعون دينهم بعَرَضٍ من الدُّنيا، ويقدِّمون أهواءهم وشهواتهم على حُبِّهم لِدِينِهم ومنهجهم، ليسقطوا في مستنقع الرَّذيلة والفساد في الدَّنيا، عوضًا عما سيلحقهم من العذاب في الآخرة كما بشرهم بذلك ربنا في كتابه العزيز، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيرُ﴾ [التوبة:٧٣]، وقال أيضًا: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء:١٤٥].

خامسًا: حقدهم على أهل الإيمان.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ البَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآَيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران:١١٨]، قال ابن كثير: "يقول تبارك وتعالى ناهيًا عباده المؤمنين عن اتِّخاذ المنافقين بطانة، أي: يطلعونهم على سرائرهم وما يضمرونه لأعدائهم، والمنافقون بجهدهم وطاقتهم لا يألون المؤمنين خبالًا، أي: يسعون في مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن، وبما يستطيعونه من المكر والخديعة، ويودون ما يُعنِت المؤمنين ويخرجهم ويشق عليهم،... ثم قال تعالى: (قَدْ بَدَتِ البَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ) أي: قد لاح على صفحات وجوههم، وفلتات ألسنتهم من العَدَاوة، مع ما هم مشتملون عليه في صدورهم من البغضاء للإسلام وأهله، ما لا يخفى مثله على لبيب عاقل؛ ولهذا قال تعالى: (قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآَيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ)"(١).

إنَّ حقد المنافقين على أهل الإيمان لم ولن يتوقف، ومهما حاولوا أن يُخفوا هذا الحقد وهذه العَدَاوة فإنهم لا يستطيعون، فألسنتهم تكشف ما استقر في قلوبهم من بُغض وكراهية لأهل الإيمان لا لشيء إنما فقط لأنهم مؤمنون، فسبب كراهيتهم لأهل الإيمان إيمانهم، وليس شيء غير ذلك.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ٩٢ – ٩٣).

سادسًا: بثُّ الفِتن والإشاعات.

بثُّ الفتن والإشاعات بين صفوف المؤمنين من صور عَدَاوة المنافقين للمؤمنين، فَيُلبِسون الكذب في أحاديثهم ثوب الصِّدق، فقد ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَر"[1].

قال الله تعالى عن المنافقين: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ القَاعِدِينَ * لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة:٤٦-٤٧]، فإنَّ المنافقين وأعوانَهم يقومون بدورٍ خطير في نشر الإشاعات والأخبار الكاذبة، لاسيما في وقت الحرب والخوف، فيُربِكون الجبهة الدَّاخلية ويحاولون بثَّ الأخبار التي من شأنها نشر الفوضى والإرباك بين صفوف المؤمنين، فتراهم على وسائل الإعلام وفي الطُّرقات وهنا وهناك ينشرون أخبارهم الكاذبة، لِيُحاولوا زعزعة المنظومة الأمنية التي تسود مجتمعنا الإسلامي، فما دور العُملاء والجواسيس الذين يعملون لصالح العدو في نقل الأخبار والتَّجسس على المسلمين خدمةً لأعدائنا، إلا جزءًا من مهمات المنافقين ودورهم في ضرب الثُّلة المؤمنة ومحاربتهم للإسلام والمسلمين، لذلك لا بدَّ من اليقظة والحذر خصوصًا في وقت الحروب واشتداد الأزمات، وعدم التَّعامل مع أي معلومةٍ إلا بعد التَّأكد منها ومن صحتها، فنشر الإشاعات له دورٌ كبير في هزيمة المسلمين معنويًا ونفسيًا، وهذا ما يُطلق عليه الحرب النَّفسية أو الإعلامية، التي يكون جنودها المنافقين ومن ارتضى أن يكون في صفهم.

الخُلاصة:

ممَّا سبق يظهر جليًا أنَّ المنافقين يُظهرون خلاف ما يُبطنون، وهذا هو سرُّ خطورتهم أنهم يعملون بالخفاء، ويتستَّرون بالدِّين ويعيشون معنا وبيننا، وكأنهم من المسلمين الخُلَّص، لكنهم للأسف ارتضوا لأنفسهم أن يكونوا في زُمرة المعادين لله ﷻ ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، فهذا النَّوع من الأعداء بحاجة لمزيدٍ من الحذر والانتباه واليقظة، حتى لا يخترقوا الصَّف الإسلامي ولا يُحدثوا أي فتنة أو شرخ بين أبناء المجتمع الإسلامي، فعدونا الظَّاهر أقل خطورة من هذا العدو الخفي؛ لأننا نعرفه جيدًا وعداوته معلنة، أما أهل النِّفاق الذين نظنُّهم في صفنا وممن

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: علامة المنافق (ح٣٤)، (١/ ١٦).

ينتسبون للإسلام والمسلمين، فعداوتهم من أخطر العداوات التي تعصف بالأمة الإسلامية، وينبغي الإشارة هنا إلى أنَّ المنافقين في زماننا أفراد، وربَّما دول وفضائيات وهيئات ووسائل إعلام، فأهل النِّفاق يقومون بغزو فكري وثقافي على جميع الأصعدة وفي جميع المجالات؛ لينالوا من بيضة الإسلام، وأنَّى لهم ذلك، فالله ﷻ متمَّ نوره ولو كره الكافرون، ولو كره المنافقون. والله تعالى أعلم.

الفصل الثَّالث

عَدَاوة النَّفْس الخبيثة والأزواج والأولاد والأخلَّاء الأشرار

في القرآن الكريم

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عَدَاوة النَّفْس الخبيثة.

المبحث الثَّاني: عَدَاوة الأزواج والأولاد.

المبحث الثَّالث: عَدَاوة الأخلَّاء الأشرار.

المبحث الأول

عَدَاوة النَّفْس الخبيثة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف النَّفس الخبيثة لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثَّاني: آفات النُّفوس.

المبحث الأول

عَدَاوة النَّفْس الخبيثة

خلق الله ﷻ الخَلق، وهو أعلم بهم وبما في نفوسهم، وجعل النَّفس البشرية إمَّا محلًا لقَبول الهداية، والسَّير في طريق التَّقوى والصَّلاح والرَّشاد، وإمَّا محلًا لاستقرار الغِواية، واللَّهث خلف طريق الرَّذيلة والفُحش والشَّهوات، قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس:٧–٨]، فالنَّفسُ إمَّا أن تكون مَكمنًا للتقوى، وإمَّا أن تكون مَكمنًا للفجور، هذا ما يُقرره الإنسان بمجاهدته لنفسه وأهوائه واتِّباعه لأوامر الله ﷻ، والحديثُ في هذا المبحث عن النَّفس الخبيثة التي تحمل بين جَنَبَاتِها وفي طيَّاتها، شيئًا من هذا السُّوء الذي هو بالتَّأكيد دخيلٌ على هذه النَّفس البشرية التي فيها خيرٌ أصيل، فهي بحاجةٍ إلى تقويم وتهذيب بين الفَينة والأُخرى؛ حتى تعود إلى حالتها الطَّبيعية من التَّقوى والهداية والاستقامة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف:٥٣]، فالنَّفس لها صفات وأحوال، فهناك نفسٌ يغلب عليها اتِّباع الهوى بفعل المعاصي والذُّنوب، وهي النَّفس الأمَّارة بالسُّوء، وهناك نفسٌ ترتكب المعاصي والذُّنوب لكنها تلوم صاحبها على فعل الذُّنوب، وهي النَّفس اللوامة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة:٢]، وخلال هذا المبحث سيقوم الباحث بالوقوف على بعض آفات النَّفوس التي من شأنها غواية هذه النَّفس؛ كي نَحذر منها ونُقوِّم أنفسنا، ونَحذر من عَدَاوة هذه النَّفس التي قد تورد صاحبها المهالك إن لم يتَّق الله ﷻ فيها، وذلك على النَّحو التَّالي:

المطلب الأول: تعريف النَّفْس الخبيثة لغةً واصطلاحًا.

ويشتمل هذا المطلب على تعريف النَّفس الخبيثة لغةً واصطلاحًا:

أولًا: تعريف النَّفْس الخبيثة لغةً.

"النَّفْس: الرُّوح، في قوله تعالى: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾ [الأنعام:٩٣]، وقال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة:٢٣٥]، وقوله: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة:١١٦]، وقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران:٣٠]"(١).

(١) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص: ٨١٨).

والنَّفس: الرُّوح، يُقال: خرجت نَفْسُهُ، والنَّفس: الدَّمُ، يُقال: سالت نَفْسُهُ، والنَّفس أيضًا: الجسدُ، وأمَّا قولهم: ثلاثة أنْفُسٍ، فيذكِّرونه؛ لأنَّهم يريدون به الإنسان، والنَّفس: العينُ، يقال: أصابت فلانًا نَفْسٌ، ونَفَسْتُهُ بنَفْسٍ، إذا أصبته بعينٍ[1]، "والنَّفْس: هي ذات الشَّيء وحقيقته، وبهذا تطلق على الله تعالى"[2].

وأما لفظة الخَبِيثة، فمشتقة من خَبُثَ: "الخاء والباء والثَّاء أصلٌ واحد يدل على خلاف الطَّيب، يُقال: خبيث، أي: ليس بطيب، وأخبث، إذا كان أصحابه خُبثاء، ومن ذلك التَّعوذ من الخَبِيث المُخْبِثُ، فالخَبِيث في نفسه، والمُخْبِث الذي أصحابه وأعوانه خُبثاء"[3].

ثانيًا: تعريف النَّفس الخبيثة اصطلاحًا:

النَّفس الخبيثة وهي التي تُسمى النَّفس الأمارة بالسُّوء هي: "التي تميل إلى الطَّبيعة البدنية، وتأمر باللذات والشَّهوات الحسية، وتجذب القلب إلى الجهة السُّفلية، فهي مأوى الشُّرور، ومنبع الأخلاق الذَّميمة"[4].

ويرى الباحث أنَّ النَّفس الخبيثة هي: التي تحمل صاحبها على الخُبث والسُّوء والشَّر.

المطلب الثَّاني: آفات النُّفوس.

تُصيب الأمراض والآفات النُّفوس، كما تصيب الأمراض الأجساد، بل إنَّ آفات النُّفوس قد تكون أخطر على الإنسان من كثيرٍ من أمراض الأجساد، فكثيرٌ من النَّاس يشكو الهمَّ والحزن وعدم الرَّاحة النَّفسية، وهو لا يعاني من أي مشكلة جسدية أو مرضٍ عضوي، وإذا ما بحثنا عن السَّبب وجدنا أنَّ هناك أمراضًا خفيَّة بحاجةٍ إلى طبيب ماهرٍ في علاج القلوب والنُّفوس، والبحث عن هذه الآفات لتشخيص العِلَّة والمرض، واكتشاف الدَّواء النَّافع المُستمَد بالتَّأكيد من كلام ربنا ﷻ وحديث نبينا المصطفى ﷺ، فصلاح القلوب فيه راحة وطمأنينة وسَكينة، تجعل الإنسان يشعر بالسَّعادة الحقيقية في هذه الحياة الدُّنيا، إذا ما عاش مع القرآن الكريم والسُّنة النَّبوية المُطهرة.

وآفات النُفوس كثيرة جدًا، سيُحاول الباحث في هذا المطلب أن يُبين أبرز هذه الآفات؛ كي يحذر منها المسلمون، ويكونوا على علمٍ بها، وذلك على النَّحو التَّالي:

---

(١) انظر: الصِّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري (٣/ ٩٨٤).
(٢) الكليات، للكفوي (ص: ٨٩٧).
(٣) مقاييس اللغة، لابن فارس (٢/ ٢٣٨).
(٤) التَّعريفات، للجُرجاني (ص: ٢٤٣).

أولًا: آفة الغفلة.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩]، "أخبر تعالى أنه قد خلق لجهنم كثيرًا من الجِنِّ والإنس، علمًا منه تعالى بأنهم يرفضون هدايته، ويتكبرون عن عبادته، ويُحاربون أنبياءه ورسله، وإنَّ رفضهم للهداية وتكبرهم عن العبادة عطَّل حواسهم، فلا القلب يفقه ما يُقال له، ولا العين تبصر ما تراه، ولا الأذن تسمع ما تخبر به وتحدث عنه، فأصبحوا كالأنعام بل هم أضل؛ لأن الأنعام ما خرجت عن الطَّريق الذي سيقت له وخُلقت لأجله، وأما أولئك فقد خرجوا عن الطَّريق الذي أُمروا بسلوكه وخُلقوا له، ألا وهو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له؛ لينجوا من العذاب ويسعدوا في دار النَّعيم"(١)، وما كان ضلالهم إلا بسبب غفلتهم عن الله ﷻ، فوصفهم الله ﷻ بالغافلين.

إنَّ آفة الغفلة، آفةٌ خطيرة لا بدَّ من الوقوف معها مليًّا، فهناك فرقٌ بين العاصي والغافل، فالعاصي يعصي الله ﷻ وإذا ما ذُكِّر بآيات الله ﷻ رجع وندم، وراجع حساباته وعلم أنه قد ارتكب معصيةً أو إثمًا، فتاب لربه ﷻ وأناب واستغفر، فهو يعلم أنه قد عصا ربه ﷻ ولا بد من توبة واستغفار وندمٍ على ما قام به، وهؤلاء الذين وصفهم الله ﷻ في قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٥]، أما الغافل فهو الذي غفل عن أوامر ربه ﷻ، وإذا ما ذُكِّر لم يتذكر ولم يرجع، فهو غافل عن ذكر الله ﷻ، لا يلوم نفسه على تقصيرها أو يحاسبها على زلاتها، إنما هو غارق في الشَّهوات والمُلهيات، بعيدٌ عن ربه ﷻ، فطُبع على قلبه والعياذ بالله، فارتكاب المعصية أمر واردٌ فكل بني آدم خطَّاء، ولكن خير الخطَّائين التَّوابون، الذين علموا أنهم قد أخطئوا فرجعوا واستغفروا، ولم يُصروا على ما فعلوا، أما الغافلون الذين غفلوا عن كل هذا، فهؤلاء الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ﴾ [النحل:١٠٨].

"الغفلة أشدُّ ما يفسد القلوب، فالقلب الغافل قلبٌ معطَّلٌ عن وظيفته، معطل عن الالتقاط والتَّأثر والاستجابة، تمر به دلائل الإيمان والهُدى، أو يمر بها دون أن يحسها أو يدركها، ومن ثم كان الإنذار هو أليق شيء بالغفلة، وتذكير الغافلين بما ينفعهم ليفعلوه، ونهيهم عما يضرهم

(١) أيسر التَّفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر الجزائري (٢/ ٢٦٥).

ليجتنبوه، والإنذار قد ينفع ويوقظ الغافلين المستغرقين في الغفلة، كما قال الله تعالى: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ [يس:٦]، والإنذار لا ينفع قلبًا غير مهيء للإيمان، مشدود عنه، محال بينه وبينه بالسُّدود والأغلال والأغشية، فالإنذار لا يخلق القلوب، إنما يوقظ القلوب الحية المستعدة للتلقي: ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس:١١]، فهذا الصِّنف من النَّاس هو الذي يستحق التَّبشير بعد انتفاعه بالإنذار"(١).

ثانيًا: آفة الهوى.

"الهوى: ميل النَّفس إلى ما تستلذه الشَّهوات من غير دَاعِيَة الشَّرع"(٢)، وقال ابن الجوزي: "الهوى ميل الطَّبع إلى ما يُلائمه، وهذا الميل قد خُلق في الإنسان لضرورة بقائه، فإنه لولا ميله إلى المطعم ما أكل وإلى المشرب ما شرب، وإلى المَنكح ما نكح وكذلك كل ما يشتهيه، فالهوى مستجلب له ما يفيد كما أن الغضب دافع عنه ما يؤذي، فلا يصلح ذم الهوى على الإطلاق، وإنما يُذم المفرط من ذلك وهو ما يزيد على جلب المصالح ودفع المَضار"(٣).

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى * فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى﴾ [النَّازعات:٤٠-٤١]، والمعنى: "أي: خاف القيام عليه ومجازاته بالعدل، فأثَّر هذا الخوف في قلبه فنهى نفسه عن هواها الذي يقيدها عن طاعة الله ﷻ، وصار هواه تبعًا لما جاء به الرَّسول ﷺ، وجاهد الهوى والشَّهوة الصَّادِّين عن الخير، (فَإِنَّ الْجَنَّةَ) المُشتملة على كل خير وسرور ونعيم، (هِيَ الْمَأْوَى) لمن هذا وصفه"(٤)، فاتباع الهوى من آفات النُّفوس المُهلكة، التي إن لم يضبطها الإنسان ضلَّ ضلالًا بعيدًا، قال الله تعالى مخاطبًا نبيه داود ﷺ: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الحِسَابِ﴾ [ص:٢٦]، والمعنى أي أن: "الهوى: المحبة، وأُطلق على الشَّيء المحبوب مبالغة، أي: ولو كان هوى شديدًا تَعْلَق النَّفس به، والهوى: كناية عن الباطل والجَور والظُّلم لما هو متعارف من الملازمة بين هذه الأمور وبين هوى النُّفوس، فإن العدل والإنصاف ثقيل على النُّفوس فلا تهواه غالبًا، ومن صارت له محبة

---

(١) موسوعة فقه القلوب، للتُّويجري (٤/ ٣٠٨٨).

(٢) التَّعريفات، للجرجاني (ص: ٢٥٧).

(٣) ذم الهوى، لابن الجوزي (ص: ١٢).

(٤) تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان، للسَّعدي (ص: ٩١٠).

الحق سَجِيَّةً فقد أوتي العلم والحكمة وأُيِّد بالحفظ أو العصمة، والنَّهي عن اتِّباع الهوى تحذير له وإيقاظ ليحذر من جراء الهوى ويتَّهم هوى نفسه، ويتعقبه فلا ينقاد إليه فيما يدعوه إليه إلا بعد التَّأمل والتَّثبت"(١)، قال عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ: "إِنَّمَا أَخْشَى عَلَيْكُمُ اثْنَيْنِ: طُولَ الْأَمَلِ، وَاتِّبَاعَ الْهَوَى، فَإِنَّ طُولَ الْأَمَلِ يُنْسِي الْآخِرَةَ، وَإِنَّ اتِّبَاعَ الْهَوَى يَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدِ ارْتَحَلَتْ مُدْبِرَةً، وَالْآخِرَةُ مُقْبِلَةٌ، وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ"(٢).

كثيرٌ من النَّاس يقدِّم هواه وما تشتهيه نفسه على أوامر الله ﷻ ونواهيه، فتراه يتَّبع هواه اتباعًا أعمى ولا يُلقي بالًا لعواقب هذا الاتِّباع، بل تجده يعبد هواه ويتخذه إلهًا، كما قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:٢٣]، والمعنى: "أي: جعل معبوده ما تهواه نفسه فما هويت قولًا إلا قاله، ولا عملًا إلا عمله، ولا اعتقادًا إلا اعتقده، ضاربًا بالعقل والشَّرع عرض الحائط فلا يلتفت إليهما ولا يستمع إلى ندائهما"(٣)، وهذا هو سبب انتكاس كثيرٍ من المسلمين الذين يُقدِّمون الهوى على الشَّرع والعقل ويتَّبعون أهواءهم، فلو كان كلُّ واحدٍ منَّا وقَّافًا عند حدود الله ﷻ، يأتمر بأوامر الشَّارع الحكيم وينتهي عمَّا نهى عنه ويُلزم نفسه بهذه الضَّوابط، فلن نجد أي مخالفةٍ أو مشكلة، فينبغي علينا جميعًا أن نُحكِّم القرآن الكريم والسُّنة النَّبوية العطرة في حياتنا، وألَّا نُقدِّم أيًّا من الشَّهوات والأهواء، والانتصار لأنفسنا على حساب الامتثال لأوامر الله ﷻ، حتى يكون النَّجاح والفلاح في الدُّنيا والآخرة هو حليفنا ومصيرنا.

ثالثًا: آفة الكِبْر.

إنَّ الكِبْر من الأمراض القاتلة التي تفتك بالنُّفوس، وتفوِّت عليها الأجر والثَّواب، وتهوي بها في مهاوي الرَّدى، فإنَّ الذي منع إبليس من السُّجود لآدم ﷺ هو هذا المرض وهذه الآفة، حيث ظنَّ نفسه أفضل من آدم ﷺ؛ لأنَّه خُلق من نار وآدم ﷺ خُلق من طين، فكانت نتيجة هذا القياس الفاسد والتَّكبُّر المذموم أن غضب الله ﷻ عليه ولعنه إلى يوم الدِّين.

وبعض النَّاس يتكبَّر على عباد الله ﷻ، وهو لا يدري أنَّ عواقب الكِبْر وخيمةٌ على صاحبها، وتؤثر سلبًا على علاقات النَّاس بعضهم ببعض، بل تُحدث شرخًا بين النُّفوس يتولَّد

(١) تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، لابن عاشور (٢٣/ ٢٤٤).

(٢) الزُّهد والرَّقائق، لابن المبارك (ص: ٨٦).

(٣) أيسر التَّفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر الجزائري (٥/ ٣٤ – ٣٥).

عنها الكراهية والبغضاء والحقد والجفاء بين أفراد المجتمع؛ لذلك قال الله تعالى محذِّرًا من هذه الآفة العظيمة: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ﴾ [الأعراف:١٤٦].

"وآفة الكِبر في النَّاس على ثلاث درجات، الأولى: أن يكون الكِبْر مستقرًا في قلب الإنسان منهم، فهو يرى نفسه خيرًا منهم إلا أنه يجتهد ويتواضع، فهذا في قلبه شجرة الكِبْر مغروسة إلا أنه قد قطع أغصانها بإخفائه الكِبْر، الثَّانية: أن يُظهر ذلك بأفعاله من التَّرفع في المجالس، والتَّقدم على الأقران، فتراه يُصَعِّر خده للنَّاس ويحتقرهم، الثَّالثة: أن يُظهر الكِبْر بلسانه كالدَّعاوى والمفاخرة وتزكية النَّفس، والتَّكبر بالنسب والمال والعلم والجمال والقوة وكثرة الأتباع، ونحو ذلك من الحالات"(١).

ولِخطورة الكِبْر والتَّكبر، فإنَّه حُرِّم على المتَّكبر دخول الجنَّة، فمصيره جهنم وساءت مصيرًا، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ القِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزُّمر:٦٠]، وعن عَبْدِ اللهِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ" قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: "إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ"(٢)، فالنَّبي ﷺ عرَّف لنا الكِبْر بأنه تعالي على الحق، فكل من ردَّ الحقَّ وهو يعرفه، ورفض أن يخضع لأوامر الله ﷻ ويتواضع له بطاعته، فقد تكبَّر عن الحق فيما بينه وبين الله ﷻ، وكل من ظنَّ أنه خيرٌ من النَّاس واحتقرهم، وتعامل معهم بتعالي واستصغار، فقد تكبَّر فيما بينه وبين الخَلْق، كما أنَّ المتكبِّر يختم الله ﷻ على قلبه فلا يميز بين الحق والباطل، قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر:٣٥]، وإنَّ المتكبِّر قد ارتكب جُرمًا عظيمًا وذنبًا كبيرًا، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ"(٣)، "ومعنى يُنازعني يَتَخَلَّق بذلك فيصير في مَعنى المُشارك وهذا وعيدٌ شديدٌ في الكِبْر مُصرِّحٌ بتحريمه"(٤)، وسبب الكِبْر أن المُتكبِّر يعجب بنفسه ويظن نفسه أعلى مرتبةٍ من غيره بسبب هذا العُجب فيتكبَّرُ على النَّاس، دون مراعاة لأدبيات التَّعامل وحسن الخُلُق مع الآخرين.

---

(١) موسوعة فقه القلوب، للتُّويجري (٤/ ٣١٠٦).

(٢) سبق تخريجه (ص: ٣٩).

(٣) صحيح مسلم، كتاب: البر والصِّلة والآداب، باب: تحريم الكِبْر (ح٢٦٢٠)، (٤/ ٢٠٢٣).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنَّووي (١٧٣/١٦).

فكلُّ ما تقدم من وعيد للمتكبِّر يُحتِّم علينا أن نحذر من هذه الآفة الخطيرة، وأن نُروِّض أنفسنا ونهذبها ونعوِّدها على التَّواضع ولين الجانب، والتَّعامل مع النَّاس بحب وأُلفة.

رابعًا: آفات اللسان.

قال الله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨]، فكلُّ كلمةٍ يتلفظ بها الإنسان يُسجِّلها الملائكة الكرام خيرًا كانت أو شرًا، وهذا ما يدعونا للانتباه والحذر لكل كلمةٍ، بل لكل حرفٍ يخرج من هذا اللسان، فآفات اللسان كثيرة ومخاطره عظيمة، تورد المَهالك إن تفوهنا بأي كلمةٍ دون أن نلقي لها بالًا، فعن أبي هريرة ﷺ، عن النَّبي ﷺ قال: "إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ"(١)، فهذا الحديث يوضِّح خطورة التَّلفظ بالكلمة الواحدة دون مراعاةٍ لما نقول وما نتلفظ به، ودون أن يكترث الإنسان لما يتحدَّث به من كلام قد يهوي به في جنهم، والنَّبي ﷺ ضمن لصحابته الكرام الجنَّة إن ضمنوا له ألسنتهم وفروجهم، فعن سهل بن سعد ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: "مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ(٢) وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ"(٣)، وما كان هذا إلا من شدة وكثرة ما يكون سببًا في إدخال النَّاس النَّار كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ، فَقَالَ: "تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ"، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: "الفَمُ وَالفَرْجُ"(٤)، فالفم من أكثر ما يدخل النَّاس النَّار لخطورته وعظم آفاته.

وآفات اللسان كثيرة، منها: آفة الكذب وآفة الغيبة والنَّميمة والسُّخرية من المؤمنين والمؤمنات، والحديث بغير علم، وبث الإشاعات والأخبار الكاذبة، والشَّتم والقذف واللعن، والتَّلفظ بالألفاظ المخالفة للعقيدة، والحَلْف بغير الله ﷻ، وغيرها مما يتلفظ به الإنسان من كلام قد يهوي بصاحبه في جهنم.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الرِّقاق، باب: حفظ اللسان (ح٦٤٧٨)، (٨/ ١٠١).

(٢) لَحْيَيْهِ: "بِفَتْحِ اللَّامِ وَسُكُونِ الْمُهْمَلَةِ وَالتَّثْنِيَةِ، هُمَا: العظمان فِي جَانِبَيِ الْفَمِ، وَالْمُرَادُ بِمَا بَيْنَهُمَا اللِّسَانُ وَمَا يَتَأَتَّى بِهِ النُّطْقُ". فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر (١١/ ٣٠٩).

(٣) صحيح البخاري، كتاب: الرِّقاق، باب: حفظ اللسان (ح٦٤٧٤)، (٨/ ١٠٠).

(٤) سنن التِّرمذي، أبواب: البر والصِّلة، باب: ما جاء في حسن الخُلُق (ح٢٠٠٤)، (٤/ ٣٦٣)، قال التِّرمذي: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ"، وقال الألباني: "إسناده حسن". سلسلة الأحاديث الصَّحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للألباني (٢/ ٦٦٩).

بعض النَّاس يظنُّ أنه غير مؤاخذ بما يتكلم، ويقول هي كلمات نتلفظ بها دون محاسبة ولا مراقبة، وهذا ما اعتقده الصَّحابي الجليل معاذ بن حبل ﷺ عندما كان في سفرٍ مع النَّبي ﷺ فسأله عن عمل يدخله الجنة ويباعده عن النَّار، وفي آخر الحديث قال له النَّبي ﷺ: "أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ"؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: "كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا"، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: "ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ[1]"[2]، فحصائد الألسنة، من كلام قبيح، وغِيبة ونميمة وكذب وسخرية وألفاظ سيئة، هي التي تَكُبُّ النَّاس على وجوههم في نار جهنم، وهذا كله يؤكد خطورة آفات اللسان، وعدم الاستهانة بأي كلمةٍ كانت مهما كانت صغيرة، فبعض النَّاس ليس له شغل شاغل إلا الحديث في أعراض المسلمين، يتتبع عوراتهم ويُفسد بينهم، ولا تجده إلا في مجالس الغِيبة والنَّميمة، ولم نصل إلى هذه المرحلة إلا بالاستخفاف بخطورة وعِظَم الكلمة التي تخرج من اللسان دون أن نُلقي لها بالًا إن كانت في موضعها الصحيح أم لا، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات:١٢]، الخطاب هنا للذين آمنوا أن اجتنبوا كثيرًا من الظَّن، واجتنبوا التَّجسس والغِيبة، وشبَّه المغتاب وكأنَّه أكل لحم أخيه ميتًا، وهذا مما تعافه النَّفس وترفضه، تشنيعًا لحال المغتاب وتفظيعًا له، حتى يبتعد النَّاس عن هذا الفعل القبيح، ومما تجدر الإشارة إليه هنا وهو مما عَمَّت به البلوى، هو حديث النَّاس عن خصوصياتهم وأسرار بيوتهم هنا وهناك، وعلى مواقع التَّواصل الاجتماعي خصوصًا، وهو ما نسميه "تعري البيوت"، فأصبح لا يوجد حرمة للبيوت، وكثيرٌ من النَّاس يتحدثون عن خصوصياتهم، وما ينبغي أن يبقى محفوظًا ومحاطًا بالسِّرية والكتمان، فأصبح عامة النَّاس يعلمون ما يدور في بيت هذا وفي بيت تلك، فهذا أمرٌ في غاية الخطورة،

---

(١) حصائد ألسنتهم: أي: "ما يقتطعونه من الكلام الذي لا خير فيه، واحدتها حصيدة، تشبيهًا بما يُحصد من الزَّرع، وتشبيهًا للسان وما يقتطعه من القول بحد المنجل الذي يحصد به". النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١/ ٣٩٤).

(٢) سنن التِّرمذي، أبواب: الإيمان، باب: ما جاء في حرمة الصَّلاة (ح٢٦١٦)، (٥/ ١٢)، قال التِّرمذي: "هذا حديث حسن صحيح"، وقال الألباني: "وهذا إسناد حسن". سلسلة الأحاديث الصَّحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للألباني (٣/ ١١٥).

ولا بدَّ من الحذر واليقظة والانتباه لمثل هذه الأفعال التي تكشف المستور، وتفضح ما يدور داخل أروقة البيوت.

فلنتقِّ الله ﷻ في ألسنتنا، ولْنعلم أننا محاسبون على كل كلمة نتفوه بها، وليكن حديثنا إما خيرًا وذكرًا لله ﷻ، وإما السُّكوت والصَّمت فهو أفضل وأنجى، عن أبي هريرة ، قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ"(١)، قال التُّويجري: "وسبب فضيلة الصَّمت أمران، أحدهما: ما في الصَّمت من جمع الهمم، ودوام الوقار، والفراغ للفكر والذِّكر والعبادة، والسَّلامة من تبعات القول في الدُّنيا، ومن حسابه في الآخرة، كما قال سبحانه: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨]، الثَّاني: ما في نطق اللسان من كثرة الآفات من الخطأ والكذب، والغِيبة والنَّميمة، والرِّياء والنِّفاق، والفُحش والمِراء، وتزكية النَّفس، والخوض في الباطل، والخُصومة والجدال، والزِّيادة والنُّقصان، وإيذاء الخَلْق، وهتك العورات"(٢).

خامسًا: آفة الرِّياء.

"الرِّياء: ترك الإخلاص في العمل بملاحظة غير الله فيه"(٣)، فإنَّ أي عملٍ يقوم به الإنسان، لا بُدَّ لقَبوله من شرطين اثنين: الأول: أن يكون العمل خالصًا لوجه الله ﷻ وابتغاء مرضاته، والثَّاني: شرط المتابعة، أي: أن يكون موافقًا للشَّرع، متابعًا لهدي وسنة النَّبي ﷺ، فإذا اختل أي شرط من الشرطين رُدَّ العمل على صاحبه ولم يقبل منه، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠]، ومن هنا كانت خطورة هذه الآفة التي تهدم كل ما يقوم به الإنسان من أعمال، وإن كانت خيرًا، فأساس قَبول الأعمال إخلاص النِّية لله ﷻ، عن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ"(٤)؛ لذلك فإنَّ الرِّياء وحبَّ السُّمعة والشُّهرة من الآفات

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (ح٦٠١٨)، (٨/ ١١).

(٢) موسوعة فقه القلوب، للتُّويجري (٤/ ٣١٤٣).

(٣) التَّعريفات، للجُرجاني (ص: ١١٣).

(٤) صحيح البخاري، كتاب: بَدء الوحي، باب: كيف كان بَدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (ح١)، (١/ ٦).

المُهلكة، التي تُهلك الإنسان وتجعل عمله هباءً منثورًا، لا قيمة له ولا فائدة منه، بل تَوَعَّدَ الله ﷻ المُرائين بالعذاب الشَّديد، حيث قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون:٤-٧]، فسبب سهوهم عن الصَّلاة مراءاتهم للنَّاس وعدم إخلاص نيتهم لله ﷻ.

إنَّ الرِّياء هو صفة المنافقين الذين يعملون العمل من أجل النَّاس لا من أجل الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٤٢]، والمراد أنَّ "هذه صفة المنافقين في أشرف الأعمال وأفضلها وخيرها وهي الصَّلاة، إذا قاموا إليها قاموا وهم كسالى عنها؛ لأنهم لا نية لهم فيها، ولا إيمان لهم بها ولا خشية، ولا يعقلون معناها،... ثم ذكر تعالى صفة بواطنهم الفاسدة، فقال: (يُرَاءُونَ النَّاسَ) أي: لا إخلاص لهم ولا معاملة مع الله ﷻ، بل إنما يُشْهدون النَّاس تقية من النَّاس ومصانعة لهم"[١]، وعَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري ﷺ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ حَمِيَّةً[٢]، وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: "مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"[٣].

والرِّياء ضد الإخلاص، فهو قيامك بالعمل من أجل النَّاس وليراك الخلْق، فأنت بحبك للسُّمعة تحبط عملك، وتفوّت عليك الأجر والثَّواب، بل إنَّ الرياء شركٌ خفي، وهو أن تشرك مع الله ﷻ فيما تنوي القيام به أُناسًا آخرين، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري ﷺ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟" قَالَ: قُلْنَا: بَلَى، فَقَالَ: "الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ"[٤].

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ٤٣٨).

(٢) يقاتل حمية: أي: "لمن يُقاتل لأجله من أهل أو عشيرة أو صاحب". فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر (٦/ ٢٨).

(٣) صحيح البخاري، كتاب: التَّوحيد، بَابُ: قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصَّافات:١٧١] (٧٤٥٨)، (٩/ ١٣٦).

(٤) سنن ابن ماجه، كتاب: الزُّهد، باب: الرِّياء والسُّمعة (ح٤٢٠٤)، (٢/ ١٤٠٦)، قال الألباني: "حسن". مشكاة المصابيح، للخطيب التَّبريزي (٣/ ١٤٦٦).

فينبغي على كل عاقلٍ كيِّسٍ فطن، أن يُخلص نيته لله ﷻ، وأن يعمل العمل يرجو ثواب الله ﷻ دون حبٍ لسمعة أو مدح أو شهرة، فكل هذه من آفات النُّفوس التي تفسد العمل وتحبطه، عافاني الله تعالى وإياكم من الرِّياء ورزقنا الإخلاص في القول والعمل.

سادسًا: آفة الحسد.

"الحسد: تمني زوال نعمة المحسود إلى الحاسد"[1]، فالحسد: هو تمني زوال النِّعمة عن الآخرين، فالحاسد يتمنى زوال النِّعمة عن غيره من النَّاس، وليس بالضَّرورة أن يتمنى أن يُؤتيه الله ﷻ مثل ما أُوتي غيره، المهم أن تزول النِّعمة عن غيره حسدًا وغِيرةً وكُرهًا، قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آَتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آَتَيْنَا آَلَ إِبْرَاهِيمَ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَآَتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٥٤]، ولقد نهى الإسلام عن الحسد، وعدَّه من أمراض النُّفوس التي لا بد للإنسان من التَّخلص منها، فعن أنس بن مالك ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: "لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا[2]، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ"[3]، فالحسد من أسباب القطيعة بين المسلمين، وإحداث شرخ بين المؤمنين، وينتج عنه العَدَاوة والبغضاء والكراهية والحقد.

كما أن تحلي الإنسان بالإيمان بالله ﷻ والرِّضا بما قسمه الله ﷻ له، يدفع عنه النَّظر إلى ما في أيدي النَّاس، فلا ينظر أحدهم إلى الآخر بعين الحقد والحسد في الرِّزق، فهم يعلمون أنَّ رزقهم سوف يأتيهم لا محالة، قال الله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ [الذَّاريات:٢٢-٢٣]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود:٦]، فلا داعي لحسد الآخرين، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لاَ حَسَدَ[4] إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا"[5]، "قال

---

(١) التَّعريفات، للجُرجاني (ص: ٨٧).

(٢) ولا تدابروا، أي: "لا يعطي كل واحد منكم أخاه دبره وقفاه فيعرض عنه ويهجره". النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/ ٩٧).

(٣) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: ما ينهى عن التَّحاسد والتَّدابر (ح٦٠٦٥)، (٨/ ١٩).

(٤) الحَسَدُ: "أَنْ يرَى الرجُل لِأَخِيهِ نعْمة فيَتَمنَّى أَنْ تَزُولَ عَنْهُ وَتَكُونَ لَهُ دُونه". النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١/ ٣٨٣).

(٥) صحيح البخاري، كتاب: العلم، باب: الِاغْتِبَاطِ فِي العِلْمِ وَالحِكْمَةِ (ح٧٣)، (١/ ٢٥ – ٢٦).

العلماء: الحسد قسمان: حقيقي ومجازي، فالحقيقي: تمني زوال النِّعمة عن صاحبها وهذا حرام بإجماع الأمة مع النُّصوص الصَّحيحة، وأما المجازي: فهو الغِبطة، وهو: أن يتمنى مثل النِّعمة التي على غيره من غير زوالها عن صاحبها فإن كانت من أمور الدُّنيا كانت مباحة وإن كانت طاعة فهي مستحبة، والمراد بالحديث لا غبطة محبوبة إلا في هاتين الخصلتين وما في معناهما"(١).

إنَّ الحسد يدفع الحاسد لارتكاب الشَّر وإيذاء المحسود بأي طريقة كانت، فالحسد ليس بالضَّرورة أن يكون خفيًا في القلب، وإنما قد يتحول إلى أفعال ظاهرة من شدة الكراهية والبغضاء، وإلى ما لا يُحمد عقباه من تصرفات غير مسئولة، فأول معصية في السَّماء والأرض كانت الحسد، حسد إبليس آدم عليه السلام فعصى أمر ربه ﷻ فلم يسجد لآدم عليه السلام، وأول جريمة قتل حدثت على وجه الكرة الأرضية وفي تاريخ البشرية كانت بسبب هذه الآفة اللعينة، وهي آفة الحسد، فقتل قابيل هابيل حسدًا وكرهًا وحقدًا، قال الله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آَدَمَ بِالحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآَخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ المُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧]، والمعنى: "أي: قُصَّ على النَّاس وأخبرهم بالقضية التي جرت على ابني آدم بالحق، تلاوة يعتبر بها المعتبرون، صدقًا لا كذبًا، وجدًا لا لعبًا، والظَّاهر أن ابني آدم هما ابناه لصلبه، كما يدل عليه ظاهر الآية والسِّياق، وهو قول جمهور المفسرين،... قَال الابن الذي لم يُتقبل منه للآخر حسدًا وبغيًا (لأَقْتُلَنَّكَ)"(٢)، وبالفعل قتله وارتكب كبيرةً من الكبائر بسبب الحسد، قال الله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ [المائدة:٣٠]، فأوصل الحسد الحاسد إلى ما لا يُتَصَوَّر من تعدٍّ على حقوق النَّاس، بل على دمائهم وأرواحهم، والاعتداء على أقرب النَّاس إليه، فعاقبة الحسد وخيمة جدًا؛ لذلك أمرنا الله ﷻ أن نتعوذ من الحسد والحاسدين، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق:٥]، فلنضبط هذه النَّفس وفق مراد الله ﷻ، ولنتعوَّذ بالله ﷻ دائمًا من الحسد والحاسدين.

سابعًا: آفة الغضب.

"الغضب: تغير يحصل عند غليان دم القلب؛ ليحصل عنه التَّشفي للصَّدر"(٣)، و"الغضب: هو غليان دم القلب طلبًا للانتقام، وقوة الغضب محلها القلب، وإنما تتوجه هذه القوة

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنَّووي (٦/ ٩٧).

(٢) تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان، للسَّعدي (ص: ٢٢٨).

(٣) التَّعريفات، للجرجاني (ص: ١٦٢).

عند ثورانها إلى دفع المؤذيات قبل وقوعها، وإلى التَّشفي والانتقام بعد وقوعها، والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن إلا به، والغضب شعلة نار من نار الله ﷻ المُوقدة، وهي مستكنَّة في الفؤاد،... والشَّيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب، ومن نتائج الغضب الحقد والحسد، وبهما هلك من هلك وفسد من فسد، والحِلم مفتاح كل خير، والغضب مفتاح كل شر، يصير صاحبه إلى ذلة الاعتذار"(١).

وقد أوصى النَّبي ﷺ بعدم الغضب والابتعاد عنه، فعن أبي هريرة ﵁ أنَّ رجلًا قال للنَّبي ﷺ: أوصني، قال: "لا تغضب"، فردد مرارًا، قال: "لا تغضب"(٢)، "قال الخطابي: معنى قوله لا تغضب اجتنب أسباب الغضب، ولا تتعرض لما يجلبه، وأما نفس الغضب فلا يَتَأَتَّى النَّهي عنه؛ لأنه أمرٌ طبيعي لا يزول من الجِبِلَّة"(٣)، فهذا الحديث يدلُّ على أهمية الحذر من الغضب، ومحاولة تجنبه دائمًا وأبدًا قدر المستطاع؛ لأن الإنسان عندما يغضب لا يشعر بنفسه ولا يمتلك أعصابه، فقد يتلفظ بألفاظ جارحة ويقوم بأفعال سيئة، دون أن يشعر بذلك، وكل هذا بسبب غضبه وانفعاله الشَّديد، الذي من الممكن ضبطه والتَّحكم به، إذا وجدت الإرادة والعزيمة؛ لذلك امتدح الله ﷻ المؤمنين بهذه الصِّفة العظيمة، وهي عفوهم حين الغضب، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشُّورى:٣٧]، والمعنى: "صفة أخرى من صفاتهم الكريمة،... أنهم يتجاوزون عن الشَّخص الذي أغضبهم، ويصفحون عنه، ويحلمون عليه، وخصَّ حالة غضبهم بالغفران؛ لأن هذه الحالة لا يقدر عليها إلا أصحاب العزائم القوية، إذ من المعروف أن الإنسان في حالة غضبه، كثيرًا ما يفقد صوابه، ويغلب عليه عدم السَّيطرة على مشاعره، فإذا ما استطاع أن يكظم غيظه في حالة غضبه، كان ذلك دليلًا على قوة إيمانه وعلى ملكه لنوازع نفسه"(٤)، ويؤكد هذا المعنى بضرورة التَّحكم بالنَّفس وضبطها حديث أبي هريرة ﵁، أنَّ رسول الله ﷺ قال: "لَيْسَ الشَّدِيدُ(٥) بِالصُّرَعَةِ(٦)،إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ

---

(١) موسوعة فقه القلوب، للتُّويجري (٤/ ٣١٧٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: الحذر من الغضب (ح٦١١٦)، (٨/ ٢٨).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر (١٠/ ٥٢٠).

(٤) التَّفسير الوسيط للقرآن الكريم، لطنطاوي (١٣/ ٤١).

(٥) الشَّديد: أَي: "الْقَوِيُّ كَامِلُ الْقُوَّةِ". مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للمُلَّا القاري (٨/ ٣١٨٨).

(٦) الصُّرَعَة: "بِضَمِّ الصَّادِ وَفَتْحِ الرَّاء: المُبَالِغُ في الصِّرَاع الذي لَا يُغْلَبُ، فنقَلَهُ إِلَى الَّذِي يَغْلِبُ نفْسَه عِنْدَ الغَضَب ويَقْهَرُهَا، فَإِنّه إِذَا مَلَكَها كَانَ قد قَهَرَ أَقْوَى أَعْدَائِهِ وشَرَّ خُصُومه". النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٣/ ٢٣ – ٢٤).

نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ"[1]، "فأراد ﷺ أنَّ الذي يَقوى على مَلك نفسه عند الغضب ويَرُدَّها عنه هو القويُّ الشَّديد، والنِّهاية في الشِّدة لغلبته هواه المردي الذي زيَّنه له الشَّيطان المغوي، فدل هذا أنَّ مجاهدة النَّفس أشد من مجاهدة العدو؛ لأنَّ النَّبي ﷺ جعل للذي يملك نفسه عند الغضب من القوة والشِّدة ما ليس للذي يغلب النَّاس ويصرعهم"[2]، فالقوة الحقيقة في كتمان الغضب وتمالك النَّفس وكظم الغيظ، قال الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران:١٣٤]، قال جمال الدِّين القاسمي[3]: "(**وَالْكاظِمِينَ الْغَيْظَ**) أي: الممسكين عليه في نفوسهم، الكافِّين عن إمضائه مع القدرة عليه، اتقاء التعدي فيه إلى ما وراء حقه"[4]، وهذا ما يُصدِّقه حديث معاذ بن أنس[5]ﷺ، أنَّ رسول الله ﷺ، قال: "مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ ﷻ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ"[6].

ولا بدَّ من الإشارة هنا إلى أنَّ هناك غضبًا محمودًا بل واجبًا، وهو الغضب لانتهاك حرمات الله ﷻ، وغيرةً على شرعه ودينه، فالنَّبي ﷺ كان يغضب من أجل الله ﷻ، عَنْ عَلِيٍّ ﷺ، قَالَ: "أَهْدَى إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ حُلَّةَ سِيَرَاءَ[7]، فَلَبِسْتُهَا، فَرَأَيْتُ الغَضَبَ فِي وَجْهِهِ فَشَقَقْتُهَا بَيْنَ نِسَائِي"[8]، وعَنْ عَائِشَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا– قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَهُمْ، أَمَرَهُمْ مِنَ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: الحذر من الغضب (ح٦١١٤)، (٨/ ٢٨).

(٢) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٩/ ٢٩٦).

(٣) جَمَال الدِّين القاسِمي: جمال الدِّين أو "محمد جمال الدِّين" بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، من سلالة الحسين السبط: إمام الشَّام في عصره، علمًا بالدين، وتضلعًا من فنون الأدب، مولده ووفاته في دمشق سنة (١٢٨٣ – ١٣٣٢هـ = ١٨٦٦ – ١٩١٤م)، وكان سلفي العقيدة. انظر: الأعلام، للزركلي (٢/ ١٣٥).

(٤) محاسن التَّأويل، للقاسمي (٢/ ٤١٢).

(٥) مُعاذ بن أنس الجهني، حليف الأنصار، معدود فِي أهل مصر، وَهُوَ والد سَهل بْن مُعَاذ، روى عن النَّبي ﷺ أحاديث، وله رواية عن أبي الدَّرداء، وكعب الأحبار، روى عنه ابنه سهل بن معاذ وحده. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (٣/ ١٤٠٢)، الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (٦/ ١٠٧).

(٦) سُنن أبي داود، كتاب: الأدب، باب: من كظم غيظًا (ح٤٧٧٧)، (٤/ ٢٤٨)، قال الألباني: "حسن". صحيح وضعيف سنن أبي داود، للألباني (١٠/ ٢٧٧).

(٧) حلة سيراء: "بُرُودٌ يُخَالِطُهَا حَرِيرٌ وَهِيَ مُضَلَّعَةٌ بِالْحَرِيرِ". المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنَّووي (١٤/ ٣٨).

(٨) صحيح البخاري، كتاب: الهبة وفضلها والتَّحريض عليها، باب: هَدِيَّةِ مَا يُكْرَهُ لُبْسُهَا (ح٢٦١٤)، (٣/ ١٦٣).

الأَعْمَالِ بِمَا يُطِيقُونَ، قَالُوا: إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَغْضَبُ حَتَّى يُعْرَفَ الغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: "إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا"(١).

لذلك حريٌ بكل مؤمن أن يُبادر بالعفو والصَّفح، وألَّا يغضب إلا لله ﷻ ومن أجل الله ﷻ، وأن يتحلَّى بصفة الحُلم ففيه النَّجاة والفلاح، وأن يروِّض نفسه ويدربها على ذلك، فهذا الأمر بحاجةٍ لمجاهدة النَّفس وتعويدها وتدريبها شيئًا فشيئًا، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصِّلت:٣٤].

ثامنًا: آفة العَجلة.

العَجلة والاستعجال من طبيعة الإنسان بشهادة خالقه ومدبر أمره، قال الله تعالى: ﴿خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آَيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الأنبياء:٣٧]، "فالعَجلة في طبعه وتكوينه، وهو يمد ببصره دائمًا إلى ما وراء اللحظة الحاضرة، يريد ليتناوله بيده، ويريد ليحقق كل ما يخطر له بمجرد أن يخطر بباله، ويريد أن يستحضر كل ما يوعد به، ولو كان في ذلك ضرره وإيذاؤه، ذلك إلا أن يتصل بالله ﷻ فيثبت ويطمئن، ويَكل الأمر لله ﷻ فلا يتعجل قضاءه، والإيمان ثقة وصبر واطمئنان"(٢)، وقال الله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالخَيْرِ وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ [الإسراء:١١]، فالإنسان مجبولٌ على العجلة والاستعجال؛ لذلك فالعَجلة ليست كلها مذمومة، لأنها من طبيعة ومكونات خِلقة الإنسان، فإذا كانت في طاعة الله ﷻ، والسَّباق في رضوانه والفوز بجنانه فهي محمودة، قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]، وقال الله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آَمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١]، فالمسارعة والمسابقة إلى مغفرة الله ﷻ، وإلى جنانه ورضوانه مطلوبة ومحمودة.

أمَّا حديثنا هنا فهو عن الاستعجال المذموم الذي حذرنا الله ﷻ منه، والذي يُعدُّ آفةً خطيرة ومذمومة في حياة المسلم، فيستعجل الإنسان الشَّيء قبل أوانه وقبل حينه، وهذا أمر لا يصح، فهل يُعقل أن يقطف المزارع الثَّمرة قبل نضجها؟ بالتَّأكيد لا، لا بدَّ من الصَّبر والانتظار

(١) صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ"، وَأَنَّ المَعْرِفَةَ فِعْلُ القَلْبِ (ح٢٠)، (١/ ١٣).

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٣٧٩).

حتى يأتي موعد قطف الثِّمار ويحين الوقت المناسب، وإلَّا قطفت ثمارًا فاسدة وغير ناضجة، وهكذا يجب أن يكون الإنسان المؤمن صابرًا، هادئًا منضبطًا بسلوكه وتصرفاته فلا يستعجل، وليتأنَّ في حكمه على الأمور دون طيشٍ أو انفعال في غير محله، فقد ذم الله ﷻ العجلة في كتابه، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [يونس:١١]، وقال الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ * أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [يونس:٥٠-٥١].

إنَّ كثيرًا من مشاكلنا سببها العجلة والاستعجال، وعدم التُّؤدة والطَّمأنينة، فنرى بعض النَّاس يتعجَّلون في الحكم على بعض الأمور ولا يتوقفون مليًّا، فتراهم يحكمون على الأمور بظاهرها دون التَّدقيق والتَّثبت والتَّأني، فمن هذه الأمور تناقل الإشاعات وترويج الأخبار دون تأكد من صحتها، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات:٦]، فأمر الله ﷻ المؤمنين بالتبيُّن والتَّثبت والتَّروي والتَّحري في هذه الأخبار التي جاءت، وأطلق على ناقلها "فاسق" لبيان خطورة هذا الأمر، وأثره على المجتمع، وبعض النَّاس يتعجلون في طلب إجابة الدُّعاء، وهذه من العجلة المذمومة، فعن أبي هريرة ﷺ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: "يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي"(١).

ومن مظاهر العَجلة إرادة تغيير الواقع في لمحة بصر أو في طرفة عين، دون النَّظر في العواقب والنَّتائج، ودون فَهم للواقع المُعاش والظُّروف المحيطة، ودون إعدادٍ جيد، وتخطيط قوي، ودون تهيئة للظُّروف المناسبة، والأجواء الملائمة، فترى البعض يريدون تغيير الكون في لحظات معدودة، واهمين أنهم على الحق والصَّواب، وهم للأسف خلاف ذلك، فبعجلتهم هذه يُفسدون ما يتطلعون إليه من تغيير منشود، وتحقيق لغاياتهم وأهدافهم، التي تحتاج إلى تؤدة وحكمة ورُشد في التَّعامل مع المواقف والأحداث، دون تسرعٍ أهوج أو تهورٍ طائش، فالتَّدرج في كثير من الأحيان هو الحل الأمثل، بدلًا من الاصطدام والمواجهة التي لا تُحمد عقباها.

(١) صحيح البخاري، كتاب: الدَّعوات، باب: يُستجاب للعبد ما لم يُعجِّل (ح٦٣٤٠)، (٨/ ٧٤).

الخُلاصة:

مما سبق يظهر جليًا أنَّ النَّفس الخبيثة، من أعداء المؤمن البارزين، التي بحاجةٍ لمزيد من العناية، لننتصر عليها وعلى شهواتها، ونتغلب على هذه النَّفس الأمَّارة بالسُّوء، ونضبطها وفق المنهج الرَّباني والهَدي النَّبوي، فآفات النُّفوس كثيرة وأضرارها جسيمة، وآثارها بليغة وعواقبها وخيمة، وما ذكره الباحث من آفات يُعدُّ غيضًا من فيض، فآفات النَّفوس أكثر من أن تُحصى في هذا المقام، إنما حاول الباحث ذكر أبرز هذه الآفات التي تصيب النُّفوس؛ كي نحذر منها ونحاول تجنب الوقوع فيها قدر الإمكان، فهي سبب في إفساد النُّفوس وقساوتها، فهذه الأمراض والآفات إذا استمرت دون علاجٍ أو دواء، فمصير هذه النَّفس الهلاك والضَّياع، فاحذر أيها المؤمن من نفسك التي بين جنبيك، فهي أقرب الأعداء إليك، وإن لم تحاربها وتقضي على شهواتها وآفاتها كانت الغلبة لها، فلا بد أن تقف مع نفسك وقفات ووقفات، تحاسب هذه النَّفس وتراجع حساباتك جيدًا، فمعركتك الآن مع نفسك جاهدها؛ فجهاد النَّفس من أعظم الجهاد وأشده صعوبة؛ لأن فيه حرمانًا لهذه النَّفس، وتغلبًا على الأهواء والشَّهوات والنَّزوات، فعلاج نفسك بين يديك، فلا تجعل نفسك تنتصر عليك. والله تعالى أعلم.

المبحث الثَّاني

عَدَاوة الأزواج والأولاد

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الأزواج والأولاد لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثَّاني: حقيقة عَدَاوة الأزواج والأولاد.

المبحث الثَّاني

عَدَاوة الأزواج والأولاد

إنَّ الأصل في العلاقة بين الأزواج بعضهم ببعض، وعلاقة الآباء والأمهات بأبنائهم أن تكون علاقة محبةٍ ومودةٍ ورحمة، خاليةٍ من أيِّ صورةٍ من صور العَدَاوة والكراهية والبغضاء، فالحالة الطَّبيعية أنَّ علاقة الزَّوج بزوجته علاقة توافق وتآلف، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرُّوم:٢١]، قال السَّعدي: "يُخبر تعالى عن منته العظيمة على عباده، حيث جعل لهم أزواجًا ليُسكنوا إليها، وجعل لهم من أزواجهم أولادًا تقرُّ بهم أعينهم ويخدمونهم، ويقضون حوائجهم، وينتفعون بهم من وجوه كثيرة، ورزقهم من الطَّيِّبات من جميع المآكل والمشارب، والنِّعم الظَّاهرة التي لا يقدر العباد أن يُحصوها"(١)، فرتَّب الله ﷻ على الزَّواج، وجود علاقةٍ متميزةٍ بين الزَّوجين مليئةٍ بالسَّكينة والطَّمأنينة، والمودة والرَّحمة، كذلك علاقة الآباء والأمهات بأبنائهم هي علاقة حبٍّ مفعمٍ بالعطف والحنان، حبٍّ فطري أودعه الله ﷻ في قلوب الآباء والأمهات تجاه أبنائهم، ولكن هذه العلاقات الحميمة في بعض الأحيان قد تنقلب إلى عَدَاوةٍ وخصومةٍ وبغضاء، وهذا خلاف الأصل في هذه العلاقات، فيضطَّر الإنسان أحيانًا إلى الخروج عن الأصل والمألوف إذا استدعى الأمر ذلك، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن:١٤]، فهذه العَدَاوة هي مدار هذا المبحث، لنتعرَّف على طبيعتها ودوافعها وأسبابها، وذلك في المطالب التَّالية:

المطلب الأول: تعريف الأزواج والأولاد لغةً واصطلاحًا.

ويشتمل هذا المطلب على تعريف الأزواج والأولاد لغةً واصطلاحًا، على النَّحو التَّالي:

---

(١) تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان، للسَّعدي (ص: ٤٤٤).

أولًا: تعريف الأزواج لغةً واصطلاحًا.

١- تعريف الأزواج لغةً.

زَوَجَ: "الزَّاي والواو والجيم: أصلٌ يدل على مقارنة شيءٍ لشيء، من ذلك الزَّوج زوج المرأة، والمرأة زوج بعلها وهو الفصيح، قال الله تعالى: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥]، ويُقال: لفلان زوجان من الحَمَام، يعني ذكرًا وأُنثى"[١].

"ويُقال: لكل واحدٍ من القَرينين من الذَّكر والأُنثى في الحيوانات المُتزاوجة زوج، ولكل قرينين فيها وفي غيرها زوج، كالخُفِّ والنَّعل، ولكل ما يقترن بآخر مماثلًا له أو مضادًا زوج، قال الله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى﴾ [القيامة:٣٩]"[٢].

قال ابن دُريد[٣]: "الزَّوج: زوج المرأة، والمرأة زوج الرَّجل، وكل اثنين زوج، وكل أُنثى وذكر فهما زوجان، كذلك في التَّنزيل: ﴿مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [المؤمنون:٢٧]"[٤].

"والأصل في الزَّوج: الصِّنف والنَّوع من كل شيء، وكل شيئين مقترنين؛ شكلين كانا أو نقيضين فهما زوجان، وكل واحد منهما زوج"[٥].

٢- تعريف الأزواج اصطلاحًا:

"الزَّوج: ما لا يكمل المقصود إلا معه على نحو من الاشتراك والتَّعاون، ذكره الحرالي، قال: وكانت المرأة زوج الرَّجل لمَّا كان لا يستقل أمره في النَّسل والسَّكن إلا بها"[٦].

ويرى الباحث أنَّ الأزواج: هم كل ذكر وأُنثى، من المُكلفين، يتم الارتباط بينهما من خلال عقد شرعي، بشروط وضوابط معينة.

---

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس (٣/ ٣٥).

(٢) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص: ٣٨٤).

(٣) ابن دُرَيْد: أبو بكر محمد بن الحسن بن دُريد الأزدي، ولد في البصرة سنة (٢٢٣هـ - ٨٣٨م)، من أئمة اللغة والأدب، وكانوا يقولون: ابن دُريد أشعر العلماء وأعلم الشُّعراء، وتوفي سنة (٣٢١هـ - ٩٣٣م). انظر: الأعلام، للزركلي (٦/ ٨٠).

(٤) جمهرة اللغة، لابن دُريد (١/ ٤٧٣).

(٥) النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/ ٣١٧).

(٦) التَّوقيف على مهمات التَّعاريف، للمناوي (ص: ١٨٧).

ثانيًا: تعريف الأولاد لغةً واصطلاحًا.

١- تعريف الأولاد لغةً.

"ولد: الواو واللام والدَّال: أصلٌ صحيح، وهو دليل النَّجْل والنَّسل، ثم يقاس عليه غيره من ذلك الولد، وهو للواحد والجميع، ويُقال: للواحد ولد أيضًا والوليدة الأُنثى، والجمع ولائد، وتولَّد الشَّيء عن الشَّيء: حصل عنه"(١).

والولد: المولود، يُقال: للواحد والجمع والصَّغير والكبير، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ﴾ [النساء:١١]، ويُقال: للمُتبنَّى ولد، قال الله تعالى: ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [القصص:٩]، والولد: الابن والابنة(٢).

"والولد: هو فعل بمعنى مفعول يتناول الذَّكر والأُنثى من الابن وابن الابن وإن سفل، والبنت وبنت البنت وإن سفلت أيضًا؛ لأنه مُشتق من التَّولد، وكذا يتناول الواحد والمتعدد؛ لأنه اسم جنس لمولود غير صفة"(٣).

٢- تعريف الأولاد اصطلاحًا:

"الولد يقتضي الولادة، ولا يقتضيها الابن، والابن يقتضي أبًا، والولد يقتضي والدًا، ولا يُمسي الإنسان والدًا إلَّا إذا صار له ولد، وليس هو مثل الأب؛ لأنهم يقولون في التَّكنية أبو فلان وإن لم يلد فلانًا، ولا يقولون في هذا والد فلان، إلَّا أنهم قالوا في الشَّاة والد في حملها قبل أن تلد وقد ولدت إذا ولدت، إذا أخذ ولدها، والابن للذَّكر، والولد للذَّكر والأنثى"(٤)، فالولد يُقصد به الذَّكر والأُنثى، وهذا مصداقًا لقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ [النساء:١١].

المطلب الثَّاني: حقيقة عَدَاوة الأزواج والأولاد.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس (٦/ ١٤٣).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص: ٨٨٣).

(٣) الكليات، للكفوي (ص: ٩٤٤ – ٩٤٥).

(٤) الفروق اللغوية، للعسكري (ص: ١٣).

[التغابن:١٤-١٥]، يقول تعالى مُخبرًا عن الأزواج والأولاد: إنَّ منهم من هو عدو الزَّوج والوالد، بمعنى: أنه يلتهي به عن العمل الصَّالح، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩]؛ ولهذا قال ها هنا: (فَاحْذَرُوهُمْ)، قال ابن زيد: يعني على دينكم، وقال مجاهد: (إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ) قال: يَحمل الرَّجل على قطيعة الرَّحم أو معصية ربه، فلا يستطيع الرَّجل مع حبه إلا أن يُطيعه، ورُوي عن ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- وقد سأله رجل عن هذه الآية: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ) قال: فهؤلاء رجال أسلموا من مكة، فأرادوا أن يأتوا رسول الله ﷺ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم، فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا النَّاس قد فقهوا في الدِّين فهَمُّوا أن يعاقبوهم، فأنزل الله ﷻ هذه الآية: (وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)(١)، وقال الشَّوكاني في تفسير هذه الآية: "قوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ) يعني: أنهم يُعادونكم ويشغلونكم عن الخير، ويدخل في ذلك سبب النُّزول دخولًا أوليًا، وهو أنَّ رجالًا من مكة أسلموا وأرادوا أن يُهاجروا، فلم يدعهم أزواجهم ولا أولادهم، فأمر الله ﷻ بأن يحذروهم فلا يطيعوهم في شيء مما يريدونه منهم مما فيه مخالفة لما يريده الله ﷻ، والضَّمير في (فَاحْذَرُوْهُمْ) يعود إلى العدو، أو إلى الأزواج والأولاد، لكن لا على العموم، بل إلى المتَّصفين بالعَدَاوة منهم، وإنما جاز جمع الضَّمير على الوجه الأول؛ لأن العدو يُطلق على الواحد والاثنين والجماعة،... ثم أخبر الله ﷻ بأنَّ الأموال والأولاد فتنة فقال: (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) أي: بلاء واختبار ومحنة، يحملونكم على كسب الحرام ومنع حق الله ﷻ فلا تطيعوهم في معصية الله ﷻ، (وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) لمن آثر طاعة الله ﷻ وترك معصيته في محبة ماله وولده"(٢).

إنَّ الخطاب في هذه الآية الكريمة هو للذين آمنوا، أي: للمؤمنين، وإذا كان الخطاب للمؤمنين لا بدَّ من الانتباه والإنصات لما يحمله هذا النِّداء من أهمية وخصوصية للمؤمنين؛ لأنَّ فيه إمَّا أمرًا منه ﷻ، أو نهيًا ربَّانيًا يُخاطب به المؤمنين، وفي هذه الآية الكريمة يُخاطب الله ﷻ المؤمنين ويحذِّرهم من عدوٍّ من أعدائهم، الذين يجب عليهم معاداتهم والحذر منهم، فهم من الأعداء الذين قلما تفطَّن لهم المؤمنون، ألا وهم أزواجهم وأولادهم، وهل يُعقل أن تكون الزَّوجة عدواً؟ أو يكون الولد عدوًا؟ نعم يُعقل، إذا كانوا سببًا في صدِّ الرَّجل عن دينه وطاعته

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٨/ ١٣٩).

(٢) فتح القدير، للشَّوكاني (٥/ ٢٨٤ - ٢٨٥).

لربِّه ﷻ، وتثبيطه عن عبادته وجهاده وعطائه والتزامه، فيجب على الزَّوجة إعانة زوجها على طاعة ربه ﷻ، وأن تكون مِعول بناء لا مِعول هدم في تأسيس أُسرة مسلمة ملتزمة، وأن يكون دورها تشجيع زوجها على القيام بكامل واجباته تجاه دِينه وإسلامه ووطنه، وإلَّا كانت عدوًا له، فعداوتها تتمثل في صدها عن سبيل الله ﷻ بتثبيط وإحباط زوجها عن القيام بواجباته كما أمر الله ﷻ.

ولا بد هنا من الإشارة إلى أنَّ الله ﷻ قال: (إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَولَادِكُمْ)، ومِنْ هنا تبعيضية يعني بعض أزواجكم وأولادكم، لا على العموم؛ لأنَّ الأصل في العلاقة بين الأزواج أنها علاقة محبة ومودة ورحمة لا عَدَاوة بينهما، وكذلك علاقة الآباء بالأبناء علاقة عطف وحُب وحنان، لكن ما يحدث من عَدَاوة هنا خلافٌ للأصل، وسبب العَدَاوة هو أنَّ الأزواج والأولاد وإن كانوا أقرب النَّاس إلى الرَّجل، لكنهم يريدون أن يجعلوا القطيعة بين الرَّجل وربه ﷻ، ليصُدُّوا عن سبيل الله ﷻ، وعندها يُقدِّم الإنسان العاقل مرضاة مولاه وخالقه على إرضاء زوجته أو ولده، بل لا بدَّ أن يتَّخذهم أعداء ويَحذر منهم، كما نصَّ القرآن الكريم؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولا يجوز تقديم رضا الزَّوجة أو الولد على مرضاة الله ﷻ.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩]، "يأمر تعالى عباده المؤمنين بالإكثار من ذكره، فإنَّ في ذلك الرِّبح والفلاح والخيرات الكثيرة، وينهاهم أن تشغلهم أموالهم وأولادهم عن ذكره، فإنَّ محبة المال والأولاد مجبولة عليها أكثر النُّفوس، فتقدمها على محبة الله ﷻ، وفي ذلك الخسارة العظيمة، ولهذا قال تعالى: (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ) أي: يُلهه ماله وولده، عن ذكر الله ﷻ (فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) للسَّعادة الأبدية والنَّعيم المقيم؛ لأنهم آثروا ما يَفنى على ما يبقى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن:١٥]"[١]، قال ابن عاشور: "ونودي المُخاطَبون بطريق الموصول لِما تُؤذن به الصِّلة من التُّهمم لامتثال النَّهي، وخصَّ الأموال والأولاد بتوجه النَّهي عن الاشتغال بها اشتغالًا يُلهي عن ذكر الله ﷻ؛ لأنَّ الأموال مما يكثر إقبال النَّاس على إنمائها والتَّفكير في اكتسابها، بحيث تكون أوقات الشُّغل بها أكثر من أوقات الشُّغل بالأولاد؛ ولأنها كما تشغل عن ذِكر الله ﷻ بصرف الوقت في كسبها ونمائها، تشغل عن ذِكره أيضًا بالتَّذكير لكنزها، بحيث ينسى ذِكر ما دعا الله ﷻ إليه من إنفاقها، وأما ذكر الأولاد فهو إدماج؛ لأنَّ الاشتغال بالأولاد والشَّفقة عليهم وتدبير شئونهم وقضاء الأوقات في التَّأنس

(١) تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان، للسَّعدي (ص: ٨٦٥).

بهم، من شأنه أن يُنسي عن تذكر أمر الله ﷻ ونهيه في أوقات كثيرة، فالشُّغل بهذين أكثر من الشُّغل بغيرهما"[١].

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤]، والمعنى: "إنَّ هذه العقيدة لا تحتمل لها في القلب شريكًا فإما تجرد لها وإما انسلاخ منها، وليس المطلوب أن ينقطع المسلم عن الأهل والعشيرة والزَّوج والولد والمال والعمل والمتاع واللذة، ولا أن يترهب ويزهد في طيبات الحياة، كلا إنما تريد هذه العقيدة أن يخلص لها القلب، ويخلص لها الحُب، وأن تكون هي المُسيطرة والحاكمة، وهي المُحركة والدَّافعة، فإذا تم لها هذا فلا حرج عندئذٍ أن يستمتع المسلم بكل طيبات الحياة، على أن يكون مستعدًا لنبذها كلها في اللحظة التي تتعارض مع مطالب العقيدة، ومفرق الطَّريق هو أن تسيطر العقيدة، أو يسيطر المتاع وأن تكون الكلمة الأولى للعقيدة أو لعرض من أعراض هذه الأرض"[٢].

قال الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢]، أي: "(يُوادُّونَ) من الموادة بمعنى حصول المودة والمحبة، أي: لا تجد -أيها الرَّسول الكريم- قومًا يؤمنون بالله ﷻ واليوم الآخر حق الإيمان، يوالون ويحبون من حارب دين الله ﷻ وأعرض عن هَدي رسوله ﷺ، والمقصود من هذه الآية الكريمة النَّهي عن موالاة المنافقين وأشباههم، وإنما جاءت بصيغة الخبر؛ لأنه أقوى وآكد في التَّنفير عن موالاة أعداء الله ﷻ، إذ الإتيان بصيغة الخبر تُشعر بأنَّ القوم قد امتثلوا لهذا النَّهي، وأنَّ الله ﷻ قد أخبر عنهم بذلك، وافتتحت الآية بقوله: (لا تَجِدُ قَوْمًا)؛ لأن هذا الافتتاح يثير شوق السَّامع لمعرفة هؤلاء القوم، وقوله: (وَلَوْ كانُوا آباءَهُمْ) تصريح بوجوب ترك هذه الموادة لمن حارب الله ﷻ ورسوله ﷺ، مهما كانت درجة قرابة هذا المحارب، أي: من شأن المؤمنين الصَّادقين أن يبتعدوا عن موالاة أعداء الله ﷻ ورسوله ﷺ، ولو كان هؤلاء الأعداء، (آباءَهُمْ) الذين أتوا إلى

---

(١) تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، لابن عاشور (٢٨/ ٢٥١).
(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٣/ ١٦١٥).

الحياة عن طريقهم (أَوْ أَبْنَاءَهُمْ) الذين هم قطعة منهم، (أَوْ إِخْوَانَهُمْ) الذين تربطهم بهم رابطة الدَّم (أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) التي ينتسبون إليها؛ وذلك لأن قضية الإيمان يجب أن تقدم على كل شيء، وقدَّم الآباء؛ لأنهم أول من تجب طاعتهم، وثنى بالأبناء؛ لأنهم ألصق النَّاس بهم، وثلث بالإخوان؛ لأنهم النَّاصرون لهم، وختم بالعشيرة؛ لأن التَّناصر بها يأتي في نهاية المطاف"[(١)].

الخُلاصة:

مما سبق، يظهر أنَّ الأزواج والأولاد إن استحبُّوا الكفر على الإيمان، أو كانوا سببًا في الصَّد عن سبيل الله ﷻ، لا بدَّ للمؤمن من اتِّخاذهم أعداء، ومقاطعتهم ومحاربتهم؛ حتى يعودوا إلى رُشدهم وصوابهم، فالمؤمن يريد مَن يُعينه على القيام بواجباته تجاه ربه ﷻ، لا من يحاربه ويعاديه، وإذا كانت الزَّوجة أو الولد من الذين جنَّدوا أنفسهم جنودًا للباطل، وارتضوا أن يكونوا في صف المُعادين لله ﷻ، فيجب على المؤمن أن يتَّخذهم أعداء مهما كلف الأمر؛ لأنَّ المسألة مسألة عقيدة ليست بالأمر الهين، فلا بد من موقف جريء وقوي يعلنه المؤمن تجاههم، وإن كانوا أقرب النَّاس إليه وأحبهم إلى قلبه، وأن يَحذر من موالاتهم والانخداع بهم أو الميل للعاطفة، والانسياق خلف الأهواء والشَّهوات، فلا بد من الحذر من هذه العَدَاوة الخفية التي قد لا تظهر لكثير من المؤمنين، بحكم العلاقات والرَّوابط الاجتماعية والأُسرية. والله تعالى أعلم.

---

(١) التَّفسير الوسيط للقرآن الكريم، لطنطاوي (١٤/ ٢٧٤).

المبحث الثَّالث

عَدَاوة الأخلاء الأشرار

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الخليل لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثَّاني: عَدَاوة الأخلاء الأشرار.

المطلب الثَّالث: آثار صحبة الأخلاء الأشرار على الفرد والمجتمع.

المبحث الثَّالث

عَدَاوة الأخلاء الأشرار

الإنسان اجتماعيٌ بطبعه، يميل إلى مخالطة النَّاس ومعاشرتهم، ويحبُّ التَّواصل مع مَن حوله من جيران وأصحاب وأحباب، فيسعى إلى بناء وتدعيم علاقاته الاجتماعية؛ لتستمر الحياة، وتزداد أواصر المحبة والمودة بينه وبين أفراد المجتمع، فالصُّحبة والصَّداقة مطلب نفسي واجتماعي لا يُستغنى عنه، وهي مما جُبل عليه الإنسان، فالطِّفل والشَّيخ والمرأة بحاجة إلى الصَّداقة والصُّحبة، ولكن يزداد تأثير الصَّديق على صديقه في مرحلة الشَّباب، فيكون أحدهما كالمرآة للآخر، وما هما إلا روحان في جسد واحد يتأثر كلٌ منهما بالآخر، تلاقت قلوبهم وأرواحهم فانسجمت، عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ"[١]، أي: "إنَّ الأجساد التي فيها الأرواح تلتقي في الدُّنيا فتأتلف وتختلف على حسب ما جُعلت عليه من التَّشاكل أو التَّنافر في بدء الخلقة؛ ولذلك ترى البَرَّ الخَيِّر يُحب شكله ويحن إلى قربه وينفر عن ضده، وكذلك الرَّهِق[٢] الفاجر يألف شكله ويستحسن فعله وينحرف عن ضده"[٣]؛ لذلك ينبغي على كل فرد من أفرد المجتمع أن يُحسن الانتقاء والاختيار لأصدقائه، فيختار من الأخلاء أصلَحهم وأخيرهم وأتقاهم، وإلَّا كانت العَدَاوة هي مصير تلك الصَّداقة والخُلَّة، قال الله تعالى: ﴿**الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**﴾ [الزُّخرف:٦٧]، فلا بد من البُعد عن الأخلاء الأشرار والتَّحذير من عداوتهم؛ لذلك سيُحاول الباحث في هذا المبحث، الوقوف على عَدَاوة الأخلاء الأشرار، وبيان أهم الآثار المترتبة على صحبة الأخلاء الأشرار على الفرد والمجتمع، وذلك فيما يلي:

المطلب الأول: تعريف الخليل لغةً واصطلاحًا.

ويشتمل هذا المطلب على تعريف الخليل لغةً واصطلاحًا، على النَّحو التَّالي:

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: الأرواح جنود مجندة (ح٣٣٣٦)، (٤/ ١٣٣).

(٢) الرَّهَقُ: الْعَجَلَةُ وَالظُّلْمُ، عَجَلَةٌ فِي كَذِبٍ وَعَيْبٍ. انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (٢/ ٤٥١).

(٣) معالم السُّنن، للخطابي (٤/ ١١٥).

أولًا: تعريف الخليل لغةً.

الخليل: الصَّديق الخالص، والخُلَّة بالضَّم: الصَّداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله: أي في باطنه[١]، والجمع أخلَّاء وخُلَّان، وقيل للصَّداقة خُلَّة؛ لأن كلَّ واحدٍ منهما يسدُّ خَلل صاحبه في المودَّة والحاجة إليه[٢]، "والخُلَّة بالضَّم: الخليل، يستوي فيه المذكر والمؤنث؛ لأنه في الأصل مصدر قولك: خليل، بين الخُلَّة والخُلُولة، وجمعه خِلال كَقُلة وقِلال، والخِلُّ: الوُدُّ والصَّديق."[٣].

ثانيًا: تعريف الخَليلُ اصطلاحًا.

"الخُلَّة: الِاخْتِصَاص بالتَّكريم؛ ولهذا قيل إبراهيم خليل الله ﷻ؛ لاختصاص الله ﷻ إيَّاه بالرِّسالة وفيها تكريم له، ولا يجوز أن يُقال: الله ﷻ خليل إبراهيم؛ لأن إبراهِيم لا يجوز أَن يخص الله ﷻ بتكريم"[٤]، و"الخليل: الحبيب، والخليل: الصَّادق، والخليل: النَّاصح، والخليل: الرَّفيق"[٥].

ويرى الباحث أنَّ تعريف الخليل الشِّرير هو: الصَّاحب أو الصَّديق المُقرَّب، المُنحرف عقيدة أو سلوكًا، الذي يُغوي صاحبه، ولا يُرشده إلى طريق الخير، بل يأخذ بيده إلى طريق الشَّر والضَّلال والانحراف.

المطلب الثَّاني: عَدَاوة الأخلاء الأشرار.

إنَّ عَدَاوة الأخلاء الأشرار جاءت صريحةً في القرآن الكريم، وإن دل ذلك فإنما يدل على خطورة هذه الفئة، فيبقى المسلم على حَذر منهم، يَقظ من الوقوع في حبائلهم ولا ينخدع بهم، قال الله تعالى: ﴿**الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**﴾ [الزُّخرف:٦٧]، "أي: كل صداقة وصحابة لغير الله ﷻ، فإنها تنقلب يوم القيامة عَداوة إلا ما كان لله ﷻ، فإنه دائم بدوامه، وهذا كما قال إبراهيم ﵇ لقومه: ﴿**وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ**﴾

---

(١) انظر: المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى، وآخرين (١/ ٢٥٣).

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور (١١/ ٢١٧ – ٢١٨).

(٣) مختار الصِّحاح، للرَّازي (ص: ٩٦).

(٤) الفروق اللغوية، للعسكري (ص: ٢٨٥).

(٥) تهذيب اللغة، للهروي (٦/ ٣٠٢).

[العنكبوت:٢٥]"[١]، "والمعنى (الأَخِلَّاءُ) في الدُّنيا، (يَوْمَئِذٍ) يعني: في الآخرة، (بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ)، يعني: أنَّ الخُلة إذا كانت على المعصية والكفر، صارت عَدَاوة يوم القيامة، (إِلَّا المُتَّقِينَ)، يعني: الموحِّدين الذين يُخالل بعضهم بعضًا على الإيمان والتَّقوى، فإن خلتهم لا تصير عَدَاوة"[٢]، وقال السَّعدي: "وإنَّ (الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ)، أي: يوم القيامة، المتخالين على الكُفر والتَّكذيب ومعصية الله ﷻ، (بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ)؛ لأنَّ خُلتهم ومحبتهم في الدُّنيا لغير الله ﷻ، فانقلبت يوم القيامة عَدَاوة، (إلا الْمُتَّقِينَ) للشِّرك والمعاصي، فإن محبتهم تدوم وتتصل، بدوام من كانت المحبة لأجله"[٣]، فالصَّداقة الحقيقية رداؤها الحُبُّ في الله ﷻ، وتتجمل وتتزين بذكر الله ﷻ، فالأصدقاء والأخلاء إن لم يكونوا صالحين مُذكِّرين بالله ﷻ، فإنهم ينقلبون إلى أعداء، فيجب علينا مقاطعتهم، والابتعاد عنهم، والحذر منهم، حتى لا نندم يوم لا ينفع النَّدم، قال الله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا**﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩]، إنَّ سبب نزول هذه الآيات أنَّ عقبة بن أبي معيط كان خليلًا لأمية بن خلف، فأسلم عُقبة، فقال أمية: وجهي من وجهك حرام إن تابعت محمدًا فكفر، وهو الذي قال: (لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلا)[٤]، "وسواء كان سبب نزولها في عقبة بن أبي معيط أو غيره من الأشقياء، فإنها عامة في كل ظالم، كما قال الله تعالى: ﴿**يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا**﴾ [الأحزاب:٦٦-٦٨]، فكل ظالم يندم يوم القيامة غاية النَّدم، ويعضُّ على يديه قائلًا: (يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا) يعني: من صَرَفه عن الهُدى، وعَدَل به إلى طريق الضَّلالة من دعاة الضَّلالة، وسواء في ذلك أُمية بن خلف، أو أخوه أُبي بن خلف، أو غيرهما"[٥]، وقال طنطاوي في تفسير هذه الآيات: "والمعنى: واذكر -أيها العاقل- يوم القيامة وما فيه من حساب وجزاء، يوم يَعَضُّ الظَّالم على يديه من شدة غيظه وندمه وحسرته، ويقول في هذا اليوم (يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا)، أي: يا ليتني سلكت معه طريق الحق الذي جاء به، واتبعته في كل ما جاء به من عند ربه،... (لَيْتَنِي

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧/ ٢٣٧).

(٢) مفاتيح الغيب، لفخر الدِّين الرَّازي (٢٧/ ٦٤١).

(٣) تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان، للسَّعدي (ص: ٧٦٩).

(٤) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (١٩/ ٢٦٢).

(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ١٠٨).

لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلًا)، أي: ليتني لم أتخذ فلانًا الذي أضلني في الدُّنيا صديقًا وخليلًا لي، والمُراد بفلان: كل من أضل غيره وصرفه عن طريق الحق،... (لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءَنِي) أي: والله لقد أضلني هذا الصَّديق المشئوم عن الذِّكر، أي: عن الهُدى بعد إذ جاءني الرَّسول ﷺ، فالجملة الكريمة تعليل لتمنيه المذكور وتوضيح لتملله، وأكده بلام القسم للمبالغة في بيان شدة ندمه وحسرته"[١]، أما سيد قطب فإنه قال في تفسير هذه الآيات: "ويصمت كل شيء من حوله ويروح يمد في صوته المتحسر ونبراته الأَسِيْفَة، والإيقاع الممدود يزيد الموقف طولًا ويزيد أثره عمقًا، حتى ليكاد القارئ للآيات والسَّامع يشاركان في النَّدم والأسف والأسى! (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ) فلا تكفيه يد واحدة يعض عليها، إنما هو يداول بين هذه وتلك، أو يجمع بينهما لشدة ما يعانيه من النَّدم اللاذع المتمثل في عضِّه على اليدين، وهي حركة معهودة يرمز بها إلى حالة نفسية فيجسمها تجسيمًا، (يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا) فسلكت طريقه لم أفارقه ولم أضل عنه، الرَّسول الذي كان ينكر رسالته ويستبعد أن يبعثه الله ﷻ رسولًا! (يا وَيْلَتى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلًا)، فلانًا بهذا التَّجهيل ليشمل كل صاحب سوء يصد عن سبيل الرَّسول ﷺ ويُضل عن ذِكر الله ﷻ، (لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءَنِي) لقد كان شيطانًا يضل، أو كان عونًا للشَّيطان (وَكانَ الشَّيْطانُ لِلْإِنْسانِ خَذُولًا) يقوده إلى مواقف الخذلان ويخذله عند الجد، وفي مواقف الهول والكرب"[٢]، فعداوة الأخلاء الأشرار لا تقل خطورة عما تم ذكره من عَدَاوات في المباحث السَّابقة، فحريٌ بكل مؤمن أن يتَّخذ أصحابًا صالحين مُتَّقين، وأن يحرص على حُسن اختيار الصَّاحب، الذي سيكون عونًا له في دخول الجنة والابتعاد عن النَّار.

المطلب الثَّالث: آثار صحبة الأخلاء الأشرار على الفرد والمجتمع.

لا شكَّ أنَّ الصُّحبة الصَّالحة تؤثر على الفرد إيجابًا، فتُنتج إنسانًا صالحًا مُحافظًا على دينه وخُلقه، كذلك فإنَّ الصُّحبة السَّيئة تؤثر على الفرد سلبًا فتنتج فردًا سيء الأخلاق، لا حظَّ له من الالتزام بتعاليم دينه، والتَّحلي بالأخلاق الحميدة والكريمة، ولا يقتصر هذا السُّوء على الفرد فحسب، بل يتَّسع نطاق تأثيره ليشمل الأُسرة ثم المجتمع بأكمله، وهنا تكمن خطورة هؤلاء الأخلاء الأشرار الذين ينشرون الرَّذيلة والفساد وسوء الخُلق بين أبناء المجتمع، لاسيما الفتية والفتيات الذين سرعان ما يتأثرون بمن حولهم من رُفقاء السُّوء، والنَّبي ﷺ ضرب لنا مثلًا

(١) التَّفسير الوسيط للقرآن الكريم، لطنطاوي (١٠/ ١٩١).

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٥/ ٢٥٦٠).

يوضِّح لنا أثر الجليس الصَّالح والجليس السُّوء؛ حتى نتمسَّك بالصَّاحب الصَّالح ونَحْذَر من الصَّاحب السَّيء، عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ[١]، فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ[٢]، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً"[٣]، "وفي الحديث: النَّهي عن مجالسة من يتأذى بمجالسته في الدِّين والدُّنيا، والتَّرغيب في مجالسة من ينتفع بمجالسته فيهما"[٤]، ومن خلال هذا المطلب سيُبيِّن الباحث آثار صحبة الأخلاء الأشرار على الفرد والمجتمع على النَّحو التَّالي:

أولًا: آثار صحبة الأخلاء الأشرار على الفرد.

١ – الانحراف والضَّلال.

إنَّ كثيرًا مما ينتشر اليوم من آفات وفتن بين الشَّباب، هو بسبب الصُّحبة السَّيئة وتأثير رُفقاء السُّوء، فإنَّ الإنسان قد يُلازم أصحابه أكثر من ملازمته لأسرته، فيجلس معهم ليل نهار، يتجاذبون أطراف الحديث، ويمكثون فتراتٍ طويلة سويًا، فيتأثر بهم الإنسان شيئًا فشيئًا، ولا يَخفى علينا حال بعض الشَّباب، ممن غرقوا في مستنقعات الرَّذيلة والفساد، فكثير منهم تربوا في بيوتهم تربية سليمة، لكنهم انحرفوا بسبب رُفقاء السُّوء، ومما هو دارج على ألسنة النَّاس: الصَّاحب ساحب، وقل لي مَنْ تُصاحب أقل لك من أنت، فالصُّحبة لها تأثير قوي على شخصية الإنسان وسلوكه وأخلاقه، عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: "الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ"[٥]، بمعنى أنَّ الإنسان يتأثر بخليله تأثرًا كبيرًا، فيصبح على دينه، ويتخلق بأخلاقه وعاداته وطِباعه، فإنْ صاحَبَ أهل الخير صار منهم، وإن صاحب سواهم صار مثلهم، لذلك أرشدنا النَّبي ﷺ لتوخي الحذر في اختيار الخليل، والدِّقة في انتقاء الصَّاحب، لما له من تأثير على سلوك الإنسان.

(١) الكِيرُ: "بالكَسْر، كِير الحَدّاد، وَهُوَ المَبْنِيُّ مِنَ الطِّين، وَقِيلَ: الزِّقّ الَّذِي يُنْفَخ بِهِ النَّار، والمَبْنِيُّ: الكُورُ". النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٤/ ٢١٧).

(٢) يُحذيك: "مِنَ الْإِحْذَاءِ أَيْ يُعْطِيَكَ مَجَّانًا". مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للملَّا القاري (٨/ ٣١٣٦).

(٣) صحيح البخاري، كتاب: الذَّبائح والصَّيد، باب: المسك (ح٥٥٣٤)، (٧/ ٩٦).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر (٤/ ٣٢٤).

(٥) سبق تخريجه (ص: ٣٢).

وقد أخبر المُسَيِّب بن حزن[1]: أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ المُغِيرَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي طَالِبٍ: "يَا عَمِّ، قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ "فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ المَقَالَةِ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَمَا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ"[2]، ويُستفاد من الحديث أنَّ رُفقاء السُّوء يُصرون على إضلال أصدقائهم، ولا يريدون لهم النَّجاة بنطق كلمة "لا إله إلا الله"، فلا بد أن يموت وهو على العهد والميثاق الذي قطعوه على أنفسهم، ولا يحق له أن يغير أو يُبدل.

والجزاء من جنس العمل، فمن طاب لسانه بذكر الله ﷻ فاز، ومن أعرض عن ذلك كان له قرين وصاحب يُغويه ويُضله، قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾ [الزُّخرف:٣٦-٣٧]، قال السَّعدي: "يُخبر تعالى عن عقوبته البليغة، لمن أعرض عن ذكره، فقال: (وَمَنْ يَعْشُ) أي: يُعرض ويصد (عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ) الذي هو القرآن العظيم، الذي هو أعظم رحمة رحم بها الرَّحمن عباده، فمن قبِلها فقد قبِل خير المواهب، وفاز بأعظم المطالب والرَّغائب، ومن أعرض عنها وردها فقد خاب وخسر خسارة لا يسعد بعدها أبدًا، وقيَّض له الرَّحمن شيطانًا مريدًا، يُقارنه ويُصاحبه ويعِدُه ويُمنِّيه، ويؤزُّه إلى المعاصي أزًا، (وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) أي: الصِّراط المستقيم والدِّين القويم، (وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ) بسبب تزيين الشَّيطان للباطل وتحسينه له، وإعراضهم عن الحق"[3]، فإنَّ هذا القرين عبارة عن شيطان من شياطين الإنس أو من شياطين الجِنِّ، الذين يصُدُّون عن سبيل الله ﷻ، ويحاولون إضلال النَّاس وإغوائهم، ليحرفوا النَّاس عن الجادَّة وعن الطَّريق المستقيم، قال الله تعالى: ﴿**وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ**

---

(١) المُسيب بن حزن بن أبي وهب بن عَمْرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي الْمَخْزُومِي، يُكنَّى أَبَا سَعِيد، والد سَعِيد بن المسيب الفقيه المشهور، هاجر مع أَبِيهِ حزن بْن أبي وهب، وكان ممن بايع تحت الشَّجرة، كَانَ رجلًا تاجرًا، وشهد اليرموك بالشَّام، روى عنه ابنه سَعيد. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (٣/ ١٤٠٠)، أُسد الغابة في معرفة الصَّحابة، لابن الأثير (٥/ ١٧٢).

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الجنائز، باب: إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله (ح١٣٦٠)، (٢/ ٩٥).

(٣) تيسر الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان، للسَّعدي (ص: ٧٦٦).

عَلَيْهِمُ القَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ [فصِّلت:٢٥]، قال القشيري: "إذا أراد الله ﷻ بعبد خيرًا، قيَّض له قرناء خير يعينونه على الطَّاعات، ويحملونه عليها ويدعونه إليها، وإذا كانوا إخوان سوء حملوه على المخالفات، ودعوه إليها، ومن ذلك الشَّيطان فإنه مقيَّض مسلَّط على الإنسان يوسوس إليه بالمخالفات، وشرٌّ من ذلك النَّفس فإنها بئس القرين! فهي تدعو العبد –اليوم– إلى ما فيه هلاكه، وتشهد عليه غدًا بفعل الزَّلَّة، فالنَّفس –وشرّ قرين للمرء نفسه– والشَّياطين وشياطين الإنس، كلها تزيِّن لهم (ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) من طول الأمل، (وَما خَلْفَهُمْ) من نسيان الزَّلل، والتَّسويف في التَّوبة، والتَّقصير في الطَّاعة"(١).

فالصَّاحب السَّيء يدعو صاحبه لفعل المنكرات وترك الصَّالحات، ويُحاول جاهدًا منعه من التَّوبة والإنابة والاستقامة، فيُزيِّن له المعاصي والذُّنوب على أنها متعة وراحة وسعادة، وما هي في حقيقة الأمر إلا شقاء وتعاسة وكآبة.

٢- الخُسران المُبين في الدُّنيا والآخرة.

من آثار الصُّحبة السَّيئة، ومن آثار صحبة الأخلاء الأشرار على الفرد، الخُسران المبين في الدُّنيا والآخرة، فرُفقاء السُّوء يحاولون دومًا إبعاد النَّاس عن دينهم، وجعلهم يتعلقون بالدُّنيا الفانية، فقد أمر الله ﷻ نبيه ﷺ باختيار من يُجالسهم ويُصاحبهم، قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨]، "أي: اجلس مع الذين يذكرون الله ﷻ ويُهلِّلونه، ويَحمدونه ويُسبِّحونه ويُكبِّرونه، ويسألونه بكرة وعشيًا من عباد الله ﷻ، سواء كانوا فقراء أو أغنياء أو أقوياء أو ضعفاء،... (وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا) أي: شُغل عن الدِّين وعبادة ربه بالدُّنيا (وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) أي: أعماله وأفعاله سفه وتفريط وضياع، ولا تكن مطيعًا له ولا محبًا لطريقته، ولا تغبطه بما هو فيه"(٢).

إنَّ من الخسارة في الدُّنيا التي يجنيها الأخلاء الأشرار في علاقتهم مع بعضهم، إضاعة الوقت فيما لا ينفع، بل فيما يعود على الفرد بالضَّرر والسُّوء، فيمضي الوقت دون استثمار أو فائدة تعود على هؤلاء الأخلاء الذين هم في حقيقة الأمر أعداء، فيقضون أوقاتهم باللهو واللعب دون ذِكر لله ﷻ، بل يتعدى ذلك إلى فعل المُنكرات وشرب المُسكرات، فتقل العافية من الأبدان،

---

(١) لطائف الإشارات، للقشيري (٣/ ٣٢٥ – ٣٢٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥/ ١٥٢ – ١٥٤).

وتُهدر الصِّحة دون مسؤولية أو مراعاة لهذه النِّعمة التي أنعم الله ﷻ بها على الإنسان، ولا يستيقظون من غفلتهم إلَّا بعد فوات الأوان، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ[١] فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ"[٢]، فَأَثر الخليل الشِّرير يمتد ويتسع في تأثيره سلبًا على صاحبه، فيُضيِّع له وقته ويُلهيه عن الانتفاع بهذا الوقت الثَّمين، فيمنعه من طلب العلم والتَّعلم، فيثنيه عن دراسته واهتماماته النَّافعة، ليفرِّغ وقته من كل ما هو نافع، قال ابن حبان: "العاقل يلزم صُحبة الأخيار ويفارق صحبة الأشرار؛ لأنَّ مودة الأخيار سريعٌ اتصالها بطيء انقطاعها، ومودة الأشرار سريعٌ انقطاعها بطيء اتصالها، وصحبة الأشرار تُورث سوء الظَّن بالأخيار، ومن خادن[٣] الأشرار لم يسلم من الدُّخول في جملتهم، فالواجب على العاقل أن يجتنب أهل الرِّيب لئلا يكون مريبًا، فكما أنَّ صحبة الأخيار تُورث الخير، كذلك صحبة الأشرار تُورث الشَّر"[٤].

ثانيًا: آثار صحبة الأخلاء الأشرار على المجتمع.

١- التَّفكك الأُسري.

الأُسرة عماد المجتمع وقاعدة الحياة الإنسانية، فيجب تأسيسها على أُسس قوية ومتينة من الدِّين والإيمان والخُلق، فصلاح الأُسرة يتم بصلاح أفرادها، فلا بد من الاهتمام بعناصر الأُسرة من الزَّوج والزَّوجة والأبناء، فلكل منهم دورٌ أساسي في بناء أُسرة صالحة متماسكة، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ؓ قَالَ: قال النَّبِيُّ ﷺ: "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْئُولَةٌ، وَالعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ"[٥] فإذا قام كل فرد بدوره صَلُحت الأُسرة، ومن ثم صَلُح المجتمع، فصلاح الأُسرة ومحافظتها على الأخلاق والقيم، يُسهم بدور كبير في صلاح المجتمعات، وفسادها يترتب عليه فساد المجتمع وانحطاط أخلاقه وقيمه،

---

(١) غَبَنَ: "الْغَيْنُ وَالْبَاءُ وَالنُّونُ كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى ضَعْفٍ وَاهْتِضَامٍ، يُقَالُ: غُبِنَ الرَّجُلُ فِي بَيْعِهِ، فَهُوَ يُغْبَنُ غَبْنًا، وَذَلِكَ إِذَا اهْتُضِمَ فِيهِ، وَغَبَنَ فِي رَأْيِهِ، وَذَلِكَ إِذَا ضَعُفَ رَأْيُهُ". مقاييس اللغة، لابن فارس (٤/ ٤١١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الرِّقاق، باب: لاَ عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَةِ (ح٦٤١٢)، (٨/ ٨٨).

(٣) خادن فلانًا: "صادقه وصاحبه في أموره ظاهرها وباطنها". معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عبد الحميد عمر(١/ ٦٢٢).

(٤) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لابن حبان (ص: ٩٩ - ١٠٠).

(٥) صحيح البخاري، كتاب: النِّكاح، بَابُ: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التَّحريم:٦] (ح٥١٨٨)، (٧/ ٢٦ - ٢٧).

فلا بد من وجود أساس ورباط متين يربط أفراد الأُسرة مع بعضهم البعض، أساس قائم على التَّربية الإسلامية والأخلاق الحميدة.

اعتنى الإسلام جيدًا بدور الأُسرة، وحثَّ على العناية بتربية الأولاد تربية صالحة حسنة، وحذَّر من تفككها وانهيارها، ومن آثار صحبة الأخلاء الأشرار على المجتمع التَّفكك الأُسري، والتَّشرذم داخل المجتمع، وانتشار الفساد والانحلال الأخلاقي، فلو تتبعنا مثلًا حال أولئك المُدمنين على المُسكرات والمُخدرات، والذين ساروا في طريق الرَّذيلة والفساد واتِّباع الشَّهوات والمنكرات، سنجد نسبةً كبيرة منهم تأثروا برفقاء السُّوء الذين يُجالسونهم ويؤثِّرون عليهم، ويكتسبون منهم هذه العادات السَّيئة والأفعال المحرمة، والذي يؤكد ذلك أنَّ كثيرًا منهم أصبحوا لا يستطيعون الإقلاع عن مثل هذه الأفعال والعادات، بل كلما حاولوا الابتعاد عنها زيَّن لهم رُفقاء السُّوء أعمالهم، وكانوا مُلازمين لهم ومُلِّحين عليهم، لأنْ يبقوا على ما هم عليه من الانحراف والانحلال.

قال الله تعالى محذِّرًا من الجلوس مع أهل السُّوء: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨]، قال ابن عجيبة[١]: "يقول الحق جلَّ جلاله: (وَإِذا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنا) أي: القرآن بالتكذيب والاستهزاء بها، والطَّعن فيها (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ) ولا تجالسهم، بل قُم عنهم (حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ) أي: غير القرآن، (وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطانُ) النَّهيَ عن مجالستهم، وجلست نسيانًا، (فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرى) أي: بعد أن تذكر النَّهي، (مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)، ونسبة النِّسيان إلى الشَّيطان أدبًا مع الحضرة"[٢].

يجب على الإنسان أن يحرص على الصُّحبة الصَّالحة، ففيها النَّجاة والفلاح والفوز في الدُّنيا والآخرة، وفيها حفظ للتَّماسك الأُسري، وأن يحذر من رُفقاء السُّوء، ففي صُحبتهم الهلاك والفساد والانحراف، فكم من أُسر تفككت بسبب الأخلاء الأشرار، فقد يُصاحب الرَّجل رُفقاء السُّوء ويَصحبهم إلى بيته، وهو لا يدري أنَّ هذا يؤثر سلبًا على زوجته وأولاده، فيسهرون طوال الليل يُبارزون الله ﷻ بالمعاصي والآثام، فهذا يُحدث شرخًا بين أفراد الأُسرة، وقد يقوم الأخلاء

---

(١) ابن عَجِيبة: أحمد بن محمد بن المهدي، الحسني الأنجري: ولد سنة (١١٦٠هـ – ١٧٤٧م)، مفسر صوفي مشارك، من أهل المغرب، وتوفي سنة (١٢٢٤هـ – ١٨٠٩م)، ودفن ببلدة أنجرة (بين طنجة وتطوان) له كتب كثيرة. انظر: الأعلام، للزركلي (١/ ٢٤٥).

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة (٢/ ١٣١).

الأشرار بالتَّواصل مع بعضهم البعض عبر الشَّبكة العنكبوتية العالمية، ومواقع التَّواصل الاجتماعي التي دمرت كثيرًا من البيوت والأُسر، بسبب العلاقات المُحرمة شرعًا، والتي أدت إلى كثير من حالات الطَّلاق فيتم تدمير الرَّوابط الأُسرية، فتفقد الأُسرة دورها كمؤسسة للتَّنشئة الاجتماعية السَّليمة، ومن ثم تتحول إلى مصدر خطير من مصادر الانحراف، فكل هذا يؤثر على المجتمع، ويؤدي إلى انتشار الفساد والعَدَاوة والبغضاء بين أفراد المجتمع؛ لذلك ينبغي على المؤمن أن يحرص على صحبة صالحة تُرشده إلى الطَّريق السَّوي المستقيم، وأن يُراقب أبناءه ويتابعهم، ويدلهم على الطَّريق الصَّحيح في اختيار الأصدقاء، حتى يكونوا نواةً صالحة في هذا المجتمع.

٢- انتشار الفساد في المجتمعات.

إنَّ أي مجتمع يتكون من مجموعة من الأفراد، وهؤلاء الأفراد هم الذين يكونون المجتمع، فهم أساس بناء المجتمعات، ويُحكم على صلاح المجتمعات أو فسادها، بصلاح أفرادها أو فسادهم، والأخلاء الأشرار هم مكوِّنٌ من مكوِّنات المجتمع، وكلما كَثُرت هذه الفئة في المجتمع كثر الفساد والانحراف، فالفرد الواحد إذا كان ضمن جماعة من رُفقاء السُّوء، حتمًا سيصبح سيئًا مثلهم؛ لأنه إذا كان صالحًا في نفسه، فإنه بمجرد اختلاطه بهذه المجموعة السَّيئة من الأخلاء الأشرار، يصبح واحدًا منهم بشكل تدريجي، ففي بداية الأمر قد يكون ملتزمًا بخُلقه الذي تربى عليه في بيته أو في مدرسته أو في جامعته، لكن سرعان ما يتأثر بهؤلاء المجرمين الذين يُفسدون أبناء المسلمين، ويقومون بدور خطير في هدم المجتمعات، فيبدأ الفرد مهذَّبًا لا دراية له بأيٍ من الممارسات التي يقوم بها هؤلاء الأشرار، فإذا ما انخرط معهم تراهم يؤثرون عليه، ويدعونه إلى ممارسة ما يفعلون من رذيلة وفساد، فإذا كانوا مثلًا يتعرَّضون للفتيات على الطُّرقات قد تجده في بداية الأمر يستهجن ما يفعلونه؛ لأنه لم يتعود على فعل هذه الأفعال الشَّنيعة، لكنه لا يستطيع إنكار ما يفعلونه بل يجب عليه أن يفعل مثل ما يفعلون ولو مجاملةً، وهكذا تبدأ القصَّة في إفساد الأفراد، شيئًا فشيئًا حتى يصبح عضوًا فاعلًا في هذه المجموعة السَّيئة، فينساق خلفهم فيما يفعلون، وقس على ذلك تعاطي المخدرات، ومشاهدة الأفلام المحرمة والسَّرقة، والعلاقات المُحرمة، وما هذا إلا بسبب تمادي هؤلاء الأشرار في مجتمعاتنا، فيزدادون فردًا تلو الآخر حتى يصبح المجتمع مليئًا بمثل هذه النَّماذج الفاسدة التي تنتشر تدريجيًا، لتصبح القلة هي التي تحرص على دينها وأخلاقها، أما الأغلبية فهي التي انساقت خلف شهواتها ورُفقاء السُّوء الذين لهم الدَّور الأساس في انتشار الفساد والضَّلال في المجتمع.

والبذرة الفاسدة تُفسد غيرها، كما أنَّ إبليس أفسد غيره، حتى تفشَّى الفساد في قلوب الكثير من النَّاس إلا من رحم ربي، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ﴾ [فصِّلت:٢٩]، والمراد من قوله: (الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا) قولان: أحدهما: دعاة الضَّلالة من الجِنِّ والإنس، والثَّاني: أنَّ الذي من الجِنِّ إبليس، يدعوه كل من دخل النَّار من المشركين، والذي من الإنس ابن آدم، وفي قوله: (أَرِنَا الَّذَيْنِ) وجهان: أحدهما: أعطنا اللذين أضلانا، والثَّاني: أبصرنا اللذين أضلانا، (نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا) يُحتمل وجهين: أحدهما: انتقامًا منهم، والثَّاني: استذلالًا لهم، (لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ) يعني في النَّار، قالوا ذلك حنقًا عليهما وعداوة لهما، ويُحتمل قوله: (مِنَ الأَسْفَلِينَ) وجهين، أحدهما: من الأذلين، والثَّاني: من الأشدين عذابًا؛ لأنَّ من كان في أسفل النَّار كان أشد عذابًا(١).

الخُلاصة:

مما سبق يرى الباحث أنَّ عَدَاوة الأخلاء الأشرار للمؤمن عَدَاوة شرسة، فهي تستهدف أمرًا من أخطر الأمور وأهمها في حياة الإنسان ألا وهو الخُلق، فالمرء بلا خُلق لا يُساوي شيئًا، فإذا فُقدت الأخلاق دُمرت الأُسر ومن ثم المجتمعات، فهذا يُنذر بكارثة مجتمعية على جميع المستويات والأصعدة، بل إنَّ السبب في فساد الكثير من الأفراد، هو البعد عن المنهج القويم الذي بينه الله ﷻ لعباده، هذا المنهج الذي يدعو إلى التَّمسك بالأخلاق والآداب الإسلامية، والابتعاد عن رُفقاء السُّوء الذين ينشرون الرَّذيلة بين أبناء المجتمع، وتكمن خطورتهم في أنَّ كثيرًا من المؤمنين قد لا يتفطَّنون لهذه العَدَاوة، التي يحسبونها صداقة، لكنها في حقيقة الأمر عَدَاوة وحسرة وندامة، فالعدو في هذا المبحث لا يحمل سلاحًا ضد المسلمين، وليس كافرًا أو منافقًا، بل قد يكون أخطر منهم، لما له من تأثير على المسلمين في أخلاقهم وسلوكهم وطباعهم عن قرب؛ لأنَّه عدو قريب جدًا من الكثيرين وهم لا يشعرون، ولا ينتبهون لمثل هذه العَدَاوة، التي ينبغي على كل عاقل أن يحذر منها، وأن يُحذِّر غيره؛ حتى لا يكون فريسة سهلة، وصيدًا ثمينًا في أيدي هؤلاء الأعداء. والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: تفسير النُّكت والعيون، للماوردي (٥/ ١٧٨ – ١٧٩).

الفصل الرَّابع

عواقب اتِّباع الأعداء وسُبل الوقاية وطُرق العلاج

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: عواقب اتِّباع الأعداء.

المبحث الثَّاني: سُبل الوقاية وطُرق العلاج.

المبحث الأول

عواقب اتِّباع الأعداء

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عواقب اتِّباع الأعداء في الدُّنيا.

المطلب الثَّاني: عواقب اتِّباع الأعداء في الآخرة.

المبحث الأول

عواقب اتِّباع الأعداء

إنَّ من رحمة الله ﷻ بعباده أنْ قرر مبدأ الثَّواب والعقاب، فالمُحسن يُثاب على إحسانه واجتهاده في الطَّاعات والقُربات، والمُسيء يُعاقب على إساءته وتقصيره وتفريطه، ومن خلال هذا المبدأ يظهر عدله ﷻ وحكمته في التَّعامل مع جميع أصناف البشر، ومن فائدة هذا الأسلوب الرَّباني، النَّظر في عاقبة الأمور، والوقوف مليًا عند كل فعل يُقدم عليه الإنسان، ليرى عواقبه ونتائجه، وحتى يعلم أنَّ هناك عواقب تترتب على ارتكاب كل فعل يقوم به، فإنْ كان خيرًا يُجز خيرًا، وإن كان شرًا يُجز مثله، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزَّلزلة:٧-٨]، فلا بد للمؤمن أن يتأمل عواقب الأمور جيدًا، وألَّا يلهث خلف شهواته وأهوائه، فتضله عن سبيل الله ﷻ، وأن يعلم أنه سيجد ما قدَّم من خير أو من سوء، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالعِبَادِ﴾ [آل عمران:٣٠]، فالعاقل من يتفكر في عاقبة أفعاله، لا من ينظر فيما هو كائنٌ من لذة أو شعور مؤقت بالمتعة في تلك اللحظات التي سرعان ما تنقضي، ويبقى ما هو مترتب على الفعل، ماثلًا بين يدي الإنسان ليرى ما قدَّم وما اقترفت يداه، وحتى يحصد ما زرعه بنفسه، فالجزاء من جنس العمل، قال الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ﴾ [الرَّحمن:٦٠]، وقال الله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشُّورى:٤٠]؛ لذلك كان لزامًا على الباحث أن يتحدَّث عن عواقب اتِّباع الأعداء في الدُّنيا والآخرة؛ حتى يحذر المؤمنون من اتِّباعهم والسَّير على خطاهم، وذلك على النَّحو التَّالي:

المطلب الأول: عواقب اتِّباع الأعداء في الدُّنيا.

لو تأملنا أعداء المؤمن جميعًا، الشَّيطان والكفار وأهل الكتاب والمنافقين والنَّفس الخبيثة، وبعض الأزواج والأولاد والأخلاء الأشرار، نجد أنَّ كل عدو من الأعداء يترتب على اتِّباعه مجموعة من العواقب، التي هي مشتركة في الغالب؛ لذلك فإنَّ الباحث سيذكر العاقبة ويضرب أمثلة من خلال اتِّباع بعض الأعداء، وسيُحاول الباحث الوقوف على أبرز هذه العواقب، على النَّحو التَّالي:

أولًا: الشَّقاء وقلة التَّوفيق.

إنَّ الفوز والنَّجاة والفلاح في الدُّنيا نحصده باتِّباع أوامر الله ﷻ، والالتزام بما أمر والكفِّ عمَّا نَهى، وإنَّ الشَّقاء هو حَليف من اتَّبع أوامر الطُّغاة والمُعادين للمؤمنين، الذين يكيدون للمؤمنين ليردُّوهم عن دينهم، فمن انساق خلف هؤلاء الأعداء فلن يُفارقه الشَّقاء والضَّنك في الدُّنيا، قال الله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه:١٢٣-١٢٤]، أي: مَنْ خالف أمري، وما أنزلته على رسولي، وأعرَض عنه وتناساه وأخذ من غيره هُداه، أي: في الدُّنيا فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل صدرُه ضيق حرج لضلاله، وإن تنعم ظاهره ولَبِس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهُدى، فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبَة يتردد، فهذا من ضنك المعيشة[١]، فالإعراض عن ذكر الله ﷻ يُورث قلة التَّوفيق في الدُّنيا، والشُّعور بالضَّنْك والهَمِّ والحَزَن، فبعض النَّاس يشكو من كثرة الهموم والغموم والأحزان والشَّقاء في هذه الحياة الدُّنيا، فهو في حيرة من أمره لا يعرف السَّبب الحقيقي لهذه المتاعب النَّفسية، فلا يشعر بالطَّمأنينة وراحة البال، بل تجده يملك من شهوات الدُّنيا ما يملك، من متاع وأموال، لكنه يفتقد إلى الرَّاحة النَّفسية والطَّمأنينة؛ وذلك بسبب الإعراض عن ذكر الله ﷻ، واتِّباع أعدائه الذين يجلبون له هذه الأمراض والآفات النَّفسية، فالرَّاحة والطَّمأنينة في ذكر الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨]، أي: "يزول قلقها واضطرابها، وتحضرها أفراحها ولذاتها، (أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) أي: حقيق بها وحريٌّ ألا تطمئن لشيء سوى ذكره، فإنه لا شيء ألذ للقلوب ولا أشهى ولا أحلى من محبة خالقها، والأُنس به ومعرفته، وعلى قدر معرفتها بالله ﷻ ومحبتها له يكون ذكرها له، هذا على القول بأن ذكر الله ﷻ، ذكر العبد لربه، من تسبيح وتهليل وتكبير وغير ذلك"[٢].

كما أنَّ موالاة الكفَّار أيضًا تجلب الشَّقاء وإحباط العمل، قال الله تعالى ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢١٧]، أي: "(وَمَن

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥/ ٣٢٢ – ٣٢٣).

(٢) تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان، للسَّعدي (ص: ٤١٧ – ٤١٨).

يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ) ومن يرجع عن دينه إلى دينهم، (فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ) أي: يمت على الرِّدة، (فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآَخِرَة) لما يفوتهم بالرِّدة مما للمسلمين في الدُّنيا من ثمرات الإسلام، وفي الآخرة من الثَّواب وحسن المآب"(١)، فاتِّباعهم وموالاتهم فيه إحباطٌ للعمل في الدُّنيا، وبالتَّالي شقاء وعناء.

ومن المُلاحظ أنَّ اتِّباع أهل الكتاب أيضًا يترتب عليه الشَّقاء، قال الله تعالى: ﴿**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ اليَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾ [البقرة:١٢٠]، في هذه الآية الكريمة يظهر "الكيد الذي يكيد به أهل الكتاب -وخاصة اليهود- للنَّبي ﷺ ولرسالته، في صدِّ النَّاس عنه، وإلقاء الشُّبه والضَّلالات بين يدي المسلمين، إنهم لن يرضوا عن النَّبي ﷺ ولن يهادنوه، حتى يترك دعوته ويطوي رسالته ويدخل فيما هم فيه! (قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدى) أي: إنَّ الهُدى الذي بين يديك هو هدى الله ﷻ، وهو الهدى الذي لا هدى إلا به، (وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ما لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ) وهذا توكيد بأن ما مع النَّبي ﷺ هو الهُدى، وأنَّ العدول عنه إلى ما يدعو إليه أهل الكتاب من مخلقات أهوائهم، هو البوار والهلاك"(٢).

ثانيًا: الضَّلال والخُسران المُبين.

إنَّ الضَّلال والخُسران المُبين في الحياة الدُّنيا، يُعدُّ من أبرز عواقب اتِّباع الأعداء، وهو نتيجة مترتبة على اتِّباع كل عدو من أعداء المؤمن، فاتِّباع الشَّيطان يجلب الخُسران في الدُّنيا، قال الله تعالى: ﴿**وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آَذَانَ الأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا**﴾ [النساء:١١٩]، والمعنى: "لأصرفنَّهم عن طريق الهُدى، وأعدهم الأماني الكاذبة، وأُلقي في قلوبهم طول الحياة وأن لا بعث ولا حساب، (وَلَأُمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذانَ الأَنْعَامِ)، أي: ولآمرنهم بتقطيع آذان الأنعام، قال قتادة: يعني تشقيقها وجعلها علامة للبحيرة والسَّائبة، كما كانوا يفعلون في الجاهلية، (وَلَأُمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ)، أي: ولآمرنهم بتغيير خلق الله ﷻ كخصاء العبيد والحيوان والوشم وغيره، وقيل: المراد به تغيير دين الله ﷻ بالكفر والمعاصي وإحلال ما حرَّم الله ﷻ وتحريم ما أحل، (وَمَن يَتَّخِذِ

(١) مدارك التَّنزيل وحقائق التَّأويل، للنَّسفي (١/ ١٨١).

(٢) التَّفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١/ ١٣٦).

الشيطان وَلِيًّا مِّن دُونِ اللهِ)، أي: ومن يتول الشَّيطان ويُطعْه، ويترك أمر الله ﷻ، (فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِينًا)، أي: خسر دنياه وآخرته؛ لمصيره إلى النَّار المؤبدة وأي خسرانٍ أعظم من هذا؟"(١)، كما بين الله ﷻ لآدم عليه السلام أنَّ نتيجة اتِّباع الشِّيطان ستكون الشَّقاء، فحذره الله ﷻ منه؛ لأنه سيفقد الرِّزق والرَّاحة والهناء، قال الله تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آَدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه:١١٧].

ومن الأعداء الذين تكون عاقبة اتِّباعهم الخُسران، بعض الأزواج والأولاد، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩]، أي: "لا تُضيِّعوا أمور دينكم؛ بسبب أموالكم وأولادكم بل آثروا حقَّ الله ﷻ، واشتغلوا به يَكفكم أمور دُنياكم وأولادكم، فإذا كنت لله ﷻ كان الله ﷻ لك، ويُقال: حقُّ الله ﷻ مما ألزمك القيام به، وحقك ضمن لك القيام به، فاشتغل بما كُلِّفت لا بما كفيت"(٢)، وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن:١٤-١٥]، فطاعة الأزواج والأولاد فيما هو ضرر على العبد في دينه ودنياه، سبب من أسباب الخُسران.

كذلك اتِّباع النَّفس الخبيثة واتِّباع آفاتها، لاسيما الهوى الذي يُضل عن ذكر الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الحِسَابِ﴾ [ص:٢٦]، فالضَّلال والخسران هو عاقبة اتِّباع الهوى، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨]، "هذه دركاتٌ ثلاث يسلم بعضها إلى بعض، فأول دركة في البعد عن الله ﷻ هي الغفلة عن ذكره، مما يؤدي إلى أن يُحكِّم الإنسان هواه، فيصير أسيرًا لصديق خارجي جانح، وهوى داخلي جامح، والنَّتيجة هي انفراط عقد حياته،... إذًا هناك سبب وهو الغفلة يؤدي إلى نتيجة وهو اتِّباع الهوى، وتتحول النَّتيجة سبب لنتيجة أخرى، وهي انفراط عقد حياة الغافل"(٣).

لذلك فَحَرِيٌّ بكل مؤمن أن يحذر من اتِّباع هؤلاء الأعداء، حتى يهنأ في حياته، ويشعر بالرَّاحة النَّفسية والطَّمأنينة، فإنَّ الهموم والغموم والأحزان والضِّيق في هذه الحياة الدُّنيا مصدرها

(١) صفوة التَّفاسير، للصَّابوني (ص: ٢٨١).

(٢) لطائف الإشارات، للقشيري (٣/ ٥٩٠ – ٥٩١).

(٣) سورة الكهف منهجيات في الإصلاح والتَّغيير، لصلاح سلطان (ص: ٦١ – ٦٢).

اتَّباع الشَّيطان والأهواء والكفار والمنافقين والنَّفس الأمَّارة بالسُّوء والأخلاء الأشرار، الذين يجعلون المؤمن في حيرة من أمره وفي ضائقة، سببها اتباع هؤلاء الأعداء واللهث خلف الشَّهوات والفتن والمنكرات، فإذا أراد أن يعيش سعيدًا بعيدًا عن هذه الأجواء من الأحزان والأكدار، فعليه بتقوى الله ﷻ ولزوم طاعته وموالاة المؤمنين، والبراء من كل المُعادين.

ثالثًا: إيقاع العَدَاوة والبغضاء بين المؤمنين.

العَدَاوة والبغضاء بين المؤمنين من أبرز العواقب المترتبة على اتَّباع الأعداء، الذين يُحاولون بثَّ الفرقة والنِّزاع بين المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ**﴾ [المائدة: ٩١]

قال فخر الدِّين الرَّازي: "فاعلم أنَّ الظَّاهر فيمن يشرب الخمر، أنه يشربها مع جماعة ويكون غرضه من ذلك الشُّرب أن يستأنس برُفقائه ويفرح بمحادثتهم ومكالمتهم، فكان غرضه من ذلك الاجتماع تأكيد الألفة والمحبة، إلَّا أنَّ ذلك في الأغلب ينقلب إلى الضِّد؛ لأنَّ الخمر يُزيل العقل، وإذا زال العقل استولت الشَّهوة والغضب من غير مدافعة العقل، وعند استيلائهما تحصل المنازعة بين أولئك الأصحاب، وتلك المنازعة ربما أدت إلى الضَّرب والقتل والمشافهة بالفحش، وذلك يُورث أشد العَدَاوة والبغضاء، فالشَّيطان يُسوِّل أنَّ الاجتماع على الشُّرب يوجب تأكيد الألفة والمحبة، وبالآخرة انقلب الأمر وحصلت نهاية العَدَاوة والبغضاء"(١).

كما أنَّ آفات النُّفوس تجلب العَدَاوة والبغضاء بين المؤمنين، فالكِبْر والحسد والغضب، مما يجلب العَدَاوة والتَّنازع بين المؤمنين، فالحسد يوجب البُغض للمحسود، وإن لم يكن من جهته إيذاء وسبب يقتضي الغضب والحقد، ويدعو الحسد أيضًا إلى جحد الحق؛ حتى يمنع من قبول النَّصيحة وتعلم العلم، فكم من جاهل يشتاق إلى العلم، وقد بقي في رذيلة الجهل؛ لاستنكافه أن يستفيد من واحد من أهل بلده أو أقاربه حسدًا وبغيًا عليه، فهو يعرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بأنه يستحق التَّواضع بفضل علمه، ولكنَّ الحسد يبعثه على أن يعامله بأخلاق المتكبرين وإن كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه(٢)، والمتكبر بتكبره يتعالى على النَّاس فيبغضه النَّاس لتكبره وتعاليه، والغضب يؤثر على الألفة بين المؤمنين، فالرَّجل حين يغضب قد يتلفظ بألفاظ جارحة أو يقوم بأفعال سيئة، فتؤدي إلى البُغض والكراهية.

---

(١) مفاتيح الغيب، لفخر الدِّين الرَّازي (١٢/ ٤٢٤).

(٢) انظر: إحياء علوم الدِّين، للغزالي (٣/ ٣٥٣).

ومن خلال السَّير خلف هؤلاء الأعداء، نجد أنَّ العَدَاوة والبغضاء بين المؤمنين نتيجةٌ مترتبة على موالاتهم، فموالاة المنافقين مثلًا تفتح بابًا واسعًا من إحداث شرخٍ بين المؤمنين، فتراهم يبثون الإشاعات والفتن والأخبار الكاذبة في صفوف المؤمنين، التي من شأنها الإيقاع بين المؤمنين، والتَّجسس عليهم وإحداث الفرقة بينهم، وتبادل الاتِّهامات، وبالتَّالي تكون النَّتيجة العَدَاوة والبغضاء والكراهية، لذلك لا بد من الحذر من موالاتهم والانجرار خلفهم.

المطلب الثَّاني: عواقب اتِّباع الأعداء في الآخرة.

سيتحدث الباحث عن أبرز عواقب اتِّباع الأعداء في الآخرة، على النَّحو التَّالي:

أولًا: دخول النَّار.

الجزاء من جنس العمل، فالذين ساروا على خُطى هؤلاء الأعداء، واستمتعوا في حياتهم الدُّنيا في إشباع شهواتهم ورغباتهم وأهوائهم، دون تفكير في العواقب المترتبة على ذلك، سيُلاقون ما يستحقون من العذاب بسبب تكذيبهم واستخفافهم بآيات الله ﷻ، وسيحشرون مع من ساروا معهم في الدُّنيا، قال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم:٦٨]، أي: "أنَّ الله ﷻ سيحشر المُكذبين بالبعث، (وَالشَّيَاطِينَ) أي: مع الشَّياطين، وذلك أنَّ كلَّ كافرٍ يُحشر مع شيطانه في سلسلة، (ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ)، قال مقاتل: أي: في جهنم، وذلك أنَّ حول الشَّيء يجوز أن يكون داخله"[(١)].

قال الله تعالى مخاطبًا إبليس اللعين: ﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ [الإسراء:٦٣]، أي: "امض لشأنك الذي اخترته ولما سوَّلته لك نفسك، وقد أخرتك، وهذا كما تقول لمن يخالفك: افعل ما تريد، فمن أطاعك من ذرية آدم ﷺ وضلَّ عن الحق، فإن جزاءك على دعائك إياهم، وجزاءهم على اتِّباعهم لك، وخلافهم أمري جزاءً موفورًا، لا ينقص لكم منه شيء، بما تستحقون من سيء الأعمال، وما دنستم به أنفسكم من قبيح الأفعال"[(٢)]، فمن اتَّبع الشَّيطان فإن جهنم جزاؤه وبئس المصير.

وقد أعد الله ﷻ جهنم مصيرًا للكافرين الذين كفروا بالله ﷻ، ولمن تبعهم ووالاهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً

---

(١) زاد المسير في علم التَّفسير، لابن الجوزي (٣/ ١٤٢)، بتصرف يسير.

(٢) تفسير المراغي (١٥/ ٧٠).

﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال:٣٦]، "وحينما يتكلم الحق سبحانه وتعالى عن الأمور التي تَحدث للكفار من عذاب عظيم في جهنم، فسبحانه لا يريد بهذا الحديث أن يجعل مأواهم النَّار، لكنه يُخوفهم ويُرهبهم من الكفر ويدعوهم إلى الإيمان، ويحضهم على ألَّا يكونوا كافرين حتى لا يُحشروا في جهنم"(١)، وكذلك لم يكن المنافقون أفضل حالًا من الكافرين فمصيرهم جهنم وبئس المصير، قال الله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء:١٣٨]، وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا للهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا * إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء:١٤٤-١٤٥]، في هذه الآية الكريمة يحذر الله ﷻ المؤمنين من المنافقين، حتى لا يصيبهم ما أصابهم من ذلة وهوان في الدُّنيا، وعذاب ونكال في الآخرة، فموالاة المنافقين والميل إليهم، هو في الواقع معاداة للمؤمنين ومجافاة لهم، وهذا من شأنه أن يخلط المؤمنين الذين يُوالون المنافقين بأهل النِّفاق ويضيفهم إليهم، وأن يُعرِّضهم لما تعرض له المنافقون من سخط الله ﷻ ونقمته، دون أن تكون لهم عند الله ﷻ حجة، أو يقوم لهم بين يدي عذابه ونقمته عذر يعتذرون به! وقوله تعالى: (إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا) هو كشف للمؤمنين عن هول هذا العذاب الذي سيلاقيه المنافقون، وأنهم في الدَّرك الأسفل من النَّار، ينزلون منها للنزل الدُّون(٢).

وهذه العاقبة تطال المتكبرين أيضًا، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزُّمر:٦٠]، فالتَّكبر: شدة الكِبْر، ومن أوصاف الله ﷻ المتكبر، والكِبْر: إظهار المرء التَّعاظم على غيره؛ لأنه يعد نفسه عظيمًا، وتعريف المتكبرين هنا للاستغراق، وأصحاب التَّكبر مراتب أقواها الشِّرك، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠]، عن عبد الله بن مسعود ؓ عن النَّبي ﷺ قال: "لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرِيَاءَ"(٣)، ألا ترى أنه قابله بالإيمان، ودُونه مراتب كثيرة متفاوتة في درجة التَّكبر وكلها مذمومة، وما يدور على الألسن: أنَّ الكِبْر على أهل الكِبْر عبادة

---

(١) تفسير الشَّعراوي (٨/ ٤٦٩٦).

(٢) انظر: التَّفسير القرآني للقرآن، للخطيب (٣/ ٩٤٤).

(٣) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: تحريم الكِبْر وبيانه (ح٩١)، (١/ ٩٣).

ليس صحيحًا، وفي وصفهم بالمتكبرين إيماء إلى أنَّ عقابهم بتسويد وجوههم كان مناسبًا لكبريائهم؛ لأن المُتكبِّر إذا كان سيء الوجه انكسر كبرياؤه(١).

وكذلك الذين لا يُلقون بالًا لأحاديثهم، ويُطلقون العنان لألسنتهم أن تتحدث بما شاءت وكيفما شاءت، فهؤلاء مصيرهم أيضًا جهنم وبئس المصير، بل إن النَّبي ﷺ سماهم المُفلسين، الذين تفنى حسناتهم يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله ﷻ بقلب سليم، حينها يكون كل إنسان بأمسِّ الحاجة لكل حسنة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: "أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟" قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: "إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ"(٢).

ثانيًا: الحسرة والنَّدامة.

قال الله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا**﴾ [الفرقان:٢٧-٢٨]، والمعنى: "ويوم يعضُّ الظَّالم نفسه المُشرك بربه، على يديه ندمًا وأسفًا على ما فرط في جنب الله ﷻ، وأوبق نفسه بالكفر به في طاعة خليله الذي صدَّه عن سبيل ربه، يقول: يا ليتني اتَّخذت في الدُّنيا مع الرَّسول سبيلًا، يعني: طريقًا إلى النَّجاة من عذاب الله ﷻ"(٣)، وعندها لا ينفع النَّدم، فيتحسر على اتِّخاذه رُفقاء السُّوء في الدُّنيا، ويقول يوم القيامة يا ليتني لم أتخذ فلانًا خليلًا؛ لأنه كان سببًا في ضلاله وانحرافه، وفسوقه وخروجه عن الطَّريق المستقيم، لكن دون فائدة فقد فات الأوان وانتهت الفرصة، وحان وقت الحساب.

والبراءة من الأتباع يوم القيامة، صورة من صور الحسرة والنَّدامة، قال الله تعالى: ﴿**إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ**﴾ [البقرة:١٦٦-١٦٧]، والمعنى: لو يرون إذ تبرأ المتبوعون من التَّابعين ورأوا العذاب، فتقطعت

---

(١) انظر: تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، لابن عاشور (٢٤/ ٥١).

(٢) صحيح مسلم، كتاب: البر والصِّلة والآداب، باب: تحريم الظُّلم (ح٢٥٨١)، (٤/ ١٩٩٧).

(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن، للطَّبري (١٩/ ٢٦٢).

بينهم الأواصر والعلاقات والأسباب، وانشغل كل بنفسه تابعًا كان أم متبوعًا، وسقطت الرِّياسات والقيادات التي كان المخدوعون يتبعونها، وعجزت عن وقاية أنفسها فضلًا على وقاية تابعيها، وظهرت حقيقة الألوهية الواحدة والقدرة الواحدة، وكذب القيادات الضَّالة وضعفها وعجزها أمام الله ﷻ وأمام العذاب، (وَقالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَما تَبَرَّؤُا مِنَّا) وتبدى الحنق والغيظ من التَّابعين المخدوعين في القيادات الضَّالة، وتمنوا لو يردون لهم الجميل! لو يعودون إلى الأرض فيتبرؤوا من تبعيتهم لتلك القيادات العاجزة الضَّعيفة في حقيقتها، التي خدعتهم ثم تبرأت منهم أمام العذاب! إنه مشهد مؤثر: مشهد التَّبرؤ والتَّعادي والتَّخاصم بين التَّابعين والمتبوعين، بين المحبين والمحبوبين! وهنا يجيء التَّعقيب المؤلم: (كَذلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ حَسَراتٍ عَلَيْهِمْ، وَما هُمْ بِخارِجِينَ مِنَ النَّارِ)(١)، فالله ﷻ يريهم أعمالهم في الدُّنيا كي تكون حسرة وندامة عليهم، وعندها لا ينفع التَّحسر والنَّدم.

ثالثًا: العذاب الشَّديد.

ليس بالضَّرورة أن يكون العذاب في الآخرة عذابًا جسديًا بدخول النَّار فحسب، إنما في بعض الأحيان يكون العذاب النَّفسي والمعنوي أشد وقعًا على النَّفس، وأبلغ أثرًا من العذاب المادي الملموس، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ الكَافِرِينَ﴾ [غافر:٧٣-٧٤]، أي: ثم يقال لهم -تقريعًا وتوبيخًا-: أين معبوداتكم التي كنتم تعبدونها من دون الله ﷻ؟! (قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا) أي: قال الكافرون: غابوا عنا، (بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا) قال الكافرون: بل تبين لنا اليوم أنا لم نكن نعبد في الدُّنيا شيئًا يعتد به، وهو إضراب منهم عن كون الآلهة الباطلة ليست موجودة عندهم، أو ليست نافعة، أو ليست شيئًا يعتد به، وفي ذلك اعتراف بخطئهم وندم على قبح فعلهم حيث لا ينفع ذلك، وهكذا لا يُكتفى بهذا العذاب الجسدي الذي سبقت صورته البشعة، بل يضم إليه عذاب نفسي وهو سؤالهم على سبيل التَّقريع والتَّأنيب: أينما كنتم تعبدون من دون الله ﷻ؟ هل نفعكم هؤلاء الشُّركاء؟ فأجابوا: (ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا)(٢).

وقال الله تعالى:﴿ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآَخِرَةِ فِي العَذَابِ وَالضَّلَالِ البَعِيدِ﴾ [سبأ:٨]، "وقد يكون المقصود بالعذاب الذي هم فيه عذاب الآخرة، فهو لتحققه كأنهم واقعون فيه، وقوعهم في الضَّلال البعيد الذي لا يُرجى معه اهتداء، وقد يكون هذا تعبيرًا عن معنى آخر، معنى أنَّ الذين

(١) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (١/ ١٥٤).

(٢) انظر: التَّفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمجموعة من العلماء (٨/ ٦٦٤ – ٦٦٥).

لا يؤمنون بالآخرة يعيشون في عذاب، كما يعيشون في ضلال، وهي حقيقة عميقة، فالذي يعيش بلا عقيدة في الآخرة يعيش في عذاب نفسي، لا أمل له ولا رجاء في نصفة ولا عدل ولا جزاء ولا عوض عما يلقاه في الحياة"(١)، فالعذاب النَّفسي في الآخرة من عواقب ونتائج اتِّباع أعداء المؤمن.

ويبرز هنا العذاب النَّفسي لأتباع الشَّيطان، الذين تبعوه في الدُّنيا، حينما يتبرأ منهم ويتخلى عنهم، وهو الذي أغراهم ووعدهم وعودًا كاذبة في الحياة الدُّنيا، فيوم القيامة تتكشف الأمور، ويظهر الشَّيطان على حقيقته، ويترك أتباعه للعذاب الشَّديد، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم:٢٢]، "أي: (وَقَالَ الشَّيْطَانُ) الذي هو سبب لكل شر يقع ووقع في العالم، مخاطبًا أهل النَّار ومتبرئًا منهم، (لَمَّا قُضِيَ الأمْرُ) ودخل أهل الجنة الجنة، وأهل النَّار النَّار، (إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ) على ألسنة رسله فلم تطيعوه، فلو أطعتموه لأدركتم الفوز العظيم، (وَوَعَدْتُكُمْ) الخير (فَأَخْلَفْتُكُمْ) أي: لم يحصل، ولن يحصل لكم ما منيتكم به من الأماني الباطلة، (وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ) أي: من حجة على تأييد قولي، (إلا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي) أي: هذا نهاية ما عندي أني دعوتكم إلى مرادي وزينته لكم، فاستجبتم لي اتباعًا لأهوائكم وشهواتكم، فإذا كانت الحال بهذه الصورة (فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ) فأنتم السَّبب وعليكم المدار في موجب العقاب، (مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ) أي: بمغيثكم من الشِّدة التي أنتم بها، (وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ) كل له قسط من العذاب، (إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ) أي: تبرأت من جعلكم لي شريكًا مع الله ﷻ، فلست شريكًا لله ﷻ ولا تجب طاعتي، (إِنَّ الظَّالِمِينَ) لأنفسهم بطاعة الشَّيطان (لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) خالدين فيه أبدًا"(٢).

الخُلاصة:

مما سبق، يتضح لنا خطورة اتِّباع الأعداء، لما له من عواقب وخيمة في الدُّنيا والآخرة، تتضمن الخُسران والشَّقاء وقلة التَّوفيق وعدم الهداية في الدُّنيا، والعذاب المعنوي والمادي ودخول النَّار في الآخرة، كل هذا يترتب على اتِّباع هؤلاء الأعداء، ومن رحمة الله ﷻ أن بين لعباده هذه العواقب، ليعلموا أنَّ هناك عقابًا يترتب على من يتبع هؤلاء الأعداء، كما أنَّ هناك ثوابًا

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٥/ ٢٨٩٥).

(٢) تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان، للسَّعدي (ص: ٤٢٤ – ٤٢٥).

لمن يخالفهم ويحاربهم؛ لذلك حريٌ بكل مؤمن أن يتأمل هذه العواقب الأليمة والشَّديدة؛ ليحذر من اتِّباعهم وموالاتهم والانجرار خلفهم، بل لا بد من محاربتهم والبراء منهم، كي ننجو في الدُّنيا والآخرة، ونكون من الفائزين برضوان الله ﷻ وجناته، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله ﷻ بقلب سليم. والله تعالى أعلم.

المبحث الثَّاني

سُبل الوقاية وطُرق العلاج

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: سُبل الوقاية.

المطلب الثَّاني: طُرق العلاج.

المبحث الثَّاني

سُبل الوقاية وطُرق العلاج

بعد أنِ انتهى الباحث من الحديث عن أعداء المؤمن، وبيان حقيقة كل عدو من هؤلاء الأعداء، كان لا بد من وقفة مع كيفية مواجهة هؤلاء الأعداء، كي يحذر المؤمنون من كيدهم ويتقوا شرهم، ويحاولوا بشتى الطُّرق ألَّا يكونوا فريسة سهلة تقع في شباكهم، وذلك عن طريق إبراز سُبل الوقاية وطُرق العلاج، فإنَّ لكل داء دواء، عَنْ جَابِرٍ بن عبد الله ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ ﷻ"(١)، ومن رحمة الله ﷻ بعباده أن يسَّر لهم سُبل الوقاية والعلاج من كل ما قد يواجههم في طريق الهداية والاستقامة، فمن أراد النَّجاة والسَّعادة والصَّلاح والفلاح في الدُّنيا والآخرة، فعليه أن يتَّبع الهَدي الرَّباني والنَّبوي في تأصيل وتقعيد طرق الوقاية والعلاج من أي معضلة تواجهه في حياته، ومن أي عدو يتربص به ليُضله عن الطَّريق المستقيم، فتكون عاقبته النَّدم والحسرة والخسارة في الدُنيا والآخرة؛ لذلك سيُحاول الباحث في هذا المبحث أن يذكر أبرز سُبل الوقاية وطرق العلاج من هؤلاء الأعداء، كي تكتمل الفائدة وتتوَّج بمسك الختام في هذا المبحث، ليكون هذا هو الزَّاد الإيماني والسِّلاح العَقدي الذي به يُواجه أعداء المؤمن خلال هذه المعركة المستمرة إلى قيام السَّاعة، وذلك في المطالب التَّالية:

المطلب الأول: سُبل الوقاية:

سيُخصِّص الباحث في هذا المطلب الحديث عن سُبل الوقاية، التي هي بمثابة صمام الأمان لكل مؤمن تَقِيّ أراد الاعتصام بحبل الله ﷻ المتين، وهي سبيل النَّجاة التي عن طريقها يتم تحصين المؤمن من الوقوع في الزَّلل والخطأ، فالوقاية أُولى الخطوات التي لا بد من اتَّباعها للحفاظ على سلامة العقيدة والمنهج، ليكون صعبًا على أيٍ من الأعداء مواجهة هذا المؤمن الذي حافظ على هذه الوسائل الوقائية، وعندها لن يحتاج المؤمن إلى العلاج؛ لأنه لم يسقط في مستنقع هؤلاء الأعداء، فكما درج على ألسنة النَّاس: درهم وقاية خير من قنطار علاج، فالعاقل من حصَّن نفسه واتَّبع وسائل الوقاية من البداية، حتى لا ينجر وينجرف إلى الهاوية، فالوقاية تكفي المؤمن عَنَاء العلاج الذي قد يكون مُرًا وقاسيًا في بعض الأحيان، ومن خلال هذا

(١) صحيح مسلم، كتاب: السَّلام، باب: لكل داء دواء واستحباب التَّداوِي (ح٢٢٠٤)، (٤/ ١٧٢٩).

المطلب سيذكر الباحث أبرز سُبل الوقاية من الأعداء؛ ليتّبع المؤمن سُبل الوقاية أولًا، ويُحاول أن يجتنب الوقوع في شباك هؤلاء الأعداء، وذلك على النَّحو التَّالي:

أولًا: تقوى الله ﷻ.

التَّقوى سبيل النَّجاة، وطريق الفلاح والنَّجاح، فمن سلك طريق المتقين كان من السُّعداء المحفوظين بعناية الرَّحمن والمحفوفين بكرمه وعطائه، بل إنَّ الله ﷻ جعل القرآن الكريم هدًى لهذه الفئة من النَّاس، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢]، قال ابن عاشور: "المُتَّقِي مَنْ اتَّصف بالاتِّقاء وهو طلب الوقاية، والوقاية: الصِّيانة والحفظ من المكروه، فالمتقي هو: الحَذِر المُتطلِّب للنَّجاة من شيء مكروه مُضر، والمراد هنا المتقين الله ﷻ، أي: الذين هم خائفون غضبه واستعدوا لطلب مرضاته واستجابة طلبه، فإذا قُرِيء عليهم القرآن استمعوا له وتدبروا ما يدعو إليه فاهتدوا، والتَّقوى الشَّرعية هي: امتثال الأوامر واجتناب المَنْهيَّات من الكبائر، وعدم الاسترسال على الصَّغائر ظاهرًا وباطنًا، أي: اتِّقاء ما جعل الله ﷻ الاقتحام فيه موجبًا غضبه وعقابه، فالكبائر كلها متوعد فاعلها بالعقاب دون اللَّمم"(١)، وقد أمر الله ﷻ بني آدم أن يستتروا بلباس التَّقوى؛ ليكون واقيًا لهم من كل الشُّرور والأعداء، ومانعًا لهم من الأمراض والآفات، قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا(٢)وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ الله لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٢٦].

كما أنَّ في التَّقوى مخرج من كل كرب وضيق وحزن، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطَّلاق:٢-٣]، وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر:١٨]، والمعنى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ) في أوامره فلا تخالفوها، (وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ) نكَّر النَّفس تقليلًا للأنفس النَّواظر فيما قدمن للآخرة، (مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) يعني: يوم القيامة، سماه باليوم الذي يلي يومك تقريبًا له، أو عبر عن الآخرة بالغد كأن الدُّنيا والآخرة نهاران يوم وغد، وتنكيره لتعظيم أمره، أي: أنه لا يُعرف كنهه لعظمه، (وَاتَّقُوا اللهَ) كرر الأمر بالتَّقوى تأكيدًا، واتقوا الله ﷻ في أداء الواجبات؛ لأنه قُرن بما

---

(١) تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، لابن عاشور (١/ ٢٢٦).

(٢) الرِّيش هنا والرِّياش: "ما يتجمل به من الثِّياب فهو لباس الحاجة والزِّينة، وأكثر أهل اللغة: أنَّ الرِّيش: ما ستر من لباس أو معيشة". التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، للزُّحيلي (٨/ ١٦٨).

هو عمل، واتقوا الله ﷻ في ترك المعاصي؛ لأنه قُرن بما يجري مجرى الوعيد وهو (إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)، وفيه تحريض على المراقبة؛ لأن من علم وقت فعله أن الله ﷻ مُطَّلع على ما يرتكب من الذُّنوب يمتنع عنه[1].

فالتَّقوى هي وقاية من الوقوع في الزَّلل والخطأ، وهذا يعني: أن تجعل بينك وبين غضب الله ﷻ وقاية تقيك نار جهنم، قال الله تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزُّمر:٦١]، فهي نجاة وحصن منيع في الدُّنيا من الأعداء والأهواء والشَّهوات والمنكرات، وفي الآخرة من العذاب والسُّوء والحزن، فمن تحلى بالتَّقوى كان من الفائزين النَّاجين قال الله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [القلم:٣٤] ، بل هي الزَّاد الحقيقي، قال الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾ [البقرة:١٩٧]، أي: "وأما الزَّاد الحقيقي المستمر نفعه لصاحبه، في دنياه، وأُخراه، فهو زاد التَّقوى الذي هو زاد إلى دار القرار، وهو الموصل لأكمل لذة، وأجل نعيم دائم أبدًا، ومن ترك هذا الزَّاد، فهو المنقطع به الذي هو عرضة لكل شر، وممنوع من الوصول إلى دار المتقين، فهذا مدح للتَّقوى، ثم أمر بها أولي الألباب فقال: (وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ) أي: يا أهل العقول الرَّزينة، اتقوا ربكم الذي تقواه أعظم ما تأمر به العقول، وتركها دليل على الجهل، وفساد الرَّأي"[2].

فأول وسيلة من وسائل الوقاية من الأعداء، هي تقوى الله ﷻ، أي: أن تجعل نُصب عينيك مخافة الله ﷻ في السِّر والعلن، فإذا كنت من المتقين فإنه من الصَّعب أن يتمكن منك أي عدو من الأعداء.

ومن الأمثلة التي تدل على أنَّ التَّقوى تُعطي المؤمن القوة لغلبة أعدائه، تَغلُّبه على الشَّيطان الرَّجيم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١]، "وتكشف هذه الآية القصيرة عن إيحاءات عجيبة، وحقائق عميقة، يتضمنها التَّعبير القرآني المعجز الجميل، إنَّ اختتام الآية بقوله: (فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ) ليضيف معاني كثيرة إلى صدر الآية، ليس لها ألفاظ تقابلها هناك، إنه يفيد أنَّ مسَّ الشَّيطان يعمي ويطمس ويغلق البصيرة، ولكن تقوى الله ﷻ ومراقبته وخشية غضبه وعقابه، تلك الوشيجة التي تصل القلوب بالله ﷻ وتوقظها من الغفلة عن هداه، تُذَكِّر المتقين، فإذا تذكروا تفتحت بصائرهم

(١) انظر: مدارك التَّنزيل وحقائق التَّأويل، للنَّسفي (٣/ ٤٦٢).

(٢) تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان، للسَّعدي (ص: ٩١).

وتكشفت الغشاوة عن عيونهم (فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ)، إنَّ مسَّ الشَّيطان عمى، وإنَّ تَذَكُّر الله ﷻ إبصار، وإنَّ مسَّ الشَّيطان ظلمة، وإن الاتجاه إلى الله ﷻ نور، وإن مسَّ الشَّيطان تجلوه التَّقوى، فما للشَّيطان على المتقين من سلطان"[١]، فالتَّقوى وقاية من عداوة الشَّيطان ومسِّه للمؤمن.

وفي التَّقوى نصرٌ محقق على الأعداء الذين يكيدون للمؤمنين المكائد، وفيها حفظ من ضرر المنافقين، قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران:١٢٠]، "وهذه الحال دالة على شدة العَدَاوة منهم للمؤمنين، وهو أنه إذا أصاب المؤمنين خَصب، ونصر وتأييد، وكَثُروا وعَزَّ أنصارهم، ساء ذلك المنافقين، وإن أصاب المسلمين سَنَة -أي: جدب- أو أُدِيل عليهم الأعداء، لِما لله ﷻ في ذلك من الحكمة -كما جرى يوم أحد- فَرِح المنافقون بذلك، قال الله تعالى مخاطبًا عباده المؤمنين: (وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) يرشدهم تعالى إلى السَّلامة من شر الأشرار وكيد الفُجَّار، باستعمال الصَّبر والتَّقوى، والتَّوكل على الله ﷻ الذي هو محيط بأعدائهم، فلا حول ولا قوة لهم إلا به، وهو الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا يقع في الوجود شيء إلا بتقديره ومشيئته، ومن توكل عليه كفاه"[٢]، ففي امتثال أوامر الله ﷻ واجتناب نواهيه، والخوف منه ﷻ يكون النَّصر على الأعداء، فالتَّقوى عبارة عن رادع يردع المؤمن، ويمنعه من اتِّباع الأعداء، فكلما تَذَكَّر ثواب المتقين زاد أملًا وحبًا أن يكون منهم، وكلما تَذَكَّر عقاب من حاد عن الدَّرب والصِّراط المستقيم زاد خشية ورهبة مما سيلاقيه من عذاب وعقاب، والنَّتيجة هي النَّجاة الحقيقية والسَّعادة السَّرمدية في الدُّنيا والآخرة.

وللأخلاء المتقين نصيب من الانتفاع بالتَّقوى، كيف لا؟ والله ﷻ استثناهم من العَدَاوة الحاصلة بينهم يوم القيامة، فكل الأخلاء أعداء إلا المتقين، قال الله تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزُّخرف:٦٧]، والمعنى: "الأصدقاء في الدُّنيا، المتحابون فيها، يُعادي بعضهم بعضًا يوم القيامة، ويتباغضون؛ لأنَّ كل واحد يرى أنَّ الضَّرر دخل عليه من قبل خليله، إلا المتقين الله ﷻ بتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه، فإنَّ صداقاتهم تستمر في الآخرة، ويرون أنَّ النَّفع دخل من بعضهم على بعض، والأخلاء: الأصحاب، ويُقال للمتقين المتحابين

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٣/ ١٤٢٠).
(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ١٠٨ – ١٠٩).

في الله ﷻ: لا تخافوا من عذاب الآخرة، ولا تغتروا بنعيم الدُّنيا، فإنَّ نعيم الآخرة هو الباقي، والدُّنيا زائلة، وهؤلاء المتقون: هم المؤمنون بآيات القرآن، المنقادون لأحكام الله ﷻ وشرائعه، وأسلموا وجوههم لله ﷻ وشرعه"(١).

لذلك ينبغي على كل مؤمن يريد الوقاية من هؤلاء الأعداء أن يكون من المتقين، حتى لا يتأثر بهم، ولا ينزلق في منحدر الغواية والضَّلال، فالتَّقوى أُولى خطوات الوقاية، وهي جامعة لكل معاني الخير ومقاصد الطَّاعات والقُربات، فيدخل في إطارها المحافظة على الصَّلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت:٤٥]، ومن التَّقوى الخشية والخوف من الله ﷻ والشُّعور بالمراقبة، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى * فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى﴾ [النَّازعات:٤٠-٤١]، فإذا جعل المؤمن التَّقوى منهج حياة، فإنه سيسعد في كل أمور حياته، فهي تُعين المؤمن على الوقوف أمام ما يواجهه من كيد الأعداء ومكرهم وخداعهم؛ ليكون مستعدًا لخوض المعركة معهم في أي وقت وأي زمان، ليخرج منتصرًا بإذن الله ﷻ، بل إنَّ التَّقوى هي الحصن الواقي والدِّرع الحامي من اقتراب أيٍ من الأعداء نحو المؤمن التَّقي الذي زين حياته بتقوى الله ﷻ.

ثانيًا: المداومة على ذِكر الله ﷻ.

ذِكرُ الله ﷻ حياة القلوب، وراحة الأبدان، وشفاء العلل والأسقام، فيه راحة وطمأنينة وسعادة أبدية، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨]، "وفي هذا الذِّكر قولان، أحدهما: أنه القرآن، والثَّاني: ذِكر الله ﷻ على الإطلاق، وفي معنى هذه الطَّمأنينة قولان: أحدهما: أنها الحُبُّ له والأُنس به، والثَّاني: السُّكون إليه من غير شك، بخلاف الذين إذا ذُكر الله ﷻ اشمأزت قلوبهم"(٢)، ففي ذكر الله ﷻ اتصال دائم بخالقنا ومولانا وأُنس به وتقرب إليه، وهو الحِصن القوي، والسِّلاح الفتَّاك الذي يفتك بأعداء المؤمنين، ويرُد كيدهم إلى نحرهم، فإذا تسلح به المؤمنون فازوا بأُجور عديدة، وكانت الطَّمأنينة والوقار هي حليفهم، عن أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: "لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ،

---

(١) التَّفسير الوسيط، للزُّحيلي (٣/ ٢٣٧٣).

(٢) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (٢/ ٤٩٤).

وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ"[(١)]، فمن وسائل الوقاية المهمة والأساسية في مواجهة الأعداء ذكر الله ﷻ والحفاظ على الأذكار دائمًا وأبدًا، حتى يبقى قلب المؤمن متصلًا بالله ﷻ، ولسانه ذاكرًا له، عندها سيستقيم حاله وسيكون قادرًا على تحصين نفسه وبيته وأهله من شرور الأعداء، فالذِّكر هو الحصن الحصين من تأثير الأعداء على المؤمن، فعندما يكون بيت المؤمن عامرًا بذكر الله ﷻ، فسيكون له بمثابة الحاجز المنيع الذي يمنع أيًا من الأعداء من اقتحام هذا البيت المتصل بذكر الله ﷻ على الدَّوام.

والذِّكر يُدمر الشَّيطان، ويقي المؤمن شره ومسه وخُبثه، فهو سلاح مميز في مواجهة الشَّيطان، فالأذكار المشروعة التي تحفظ المؤمن من كيد الشَّيطان كثيرة، منها على سبيل المثال لا الحصر: قراءة آية الكرسي قبل النَّوم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ"، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: "أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ"، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ[(٢)]، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لاَ أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ"، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: "أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ"، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَهَذَا آخِرُ ثَلاَثِ مَرَّاتٍ، أَنَّكَ تَزْعُمُ لاَ تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ"، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: "مَا هِيَ"، قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الذِّكر والدُّعاء والتَّوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذِّكر (ح٢٧٠٠)، (٤/ ٢٠٧٤).

(٢) أي: "انْتَظَرْتُهُ وَرَاقَبْتُهُ". مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للمُلَّا القاري (٤/ ١٤٦٣).

الكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ -وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الخَيْرِ- فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاَثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ"، قَالَ: لاَ، قَالَ: "ذَاكَ شَيْطَانٌ"(١)، فإذا قرأ المرء آية الكرسي قبل أن ينام كان عليه حارس من الله ﷻ حتى يُصبح، كما أنَّ الذِّكر سبب في حفظ الذُّرية من الشَّيطان، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ الله عَنْهُمَا- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "أَمَا إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ، وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَرُزِقَا وَلَدًا لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ"(٢).

فإنَّ الشَّيطان عدو مبين للإنسان، يُلاحقه منذ ولادته، ولنا في أم مريم أُسوة حسنة لمَّا وضعت مريم، كان من دعائها أن تُعيذ مريم وذريتها من الشَّيطان الرَّجيم، لِعلمها بعداوته وخطورته عليها وعلى ذريتها، قال الله تعالى: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران:٣٦]، أي: عوذتها بالله ﷻ، من شر الشَّيطان، وعوذت ذريتها، وهو ولدها عيسى عليه السلام، فاستجاب الله ﷻ لها ذلك، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا وَالشَّيْطَانُ يَمَسُّهُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ إِيَّاهُ، إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا"، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران:٣٦](٣)(٤).

إنَّ الغفلة عن ذِكر الله ﷻ سبب لتسليط الشَّيطان على المؤمن وتمكينه منه، فالغافل عن ذِكر الله ﷻ لا يستطيع أن يواجه عَدَاوة الشَّيطان، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزُّخرف:٣٦]، "والمعنى: ومن يتعام عن ذِكر الرَّحمن، ويُعرض عن قرآنه، ويتجاهل هُدى الرَّسول ﷺ (نُقَيِّضْ له شَيْطانًا)، أي: نُهيئ ونُسبب له شيطانًا رجيمًا يستولي عليه، ويستحوذ على قلبه وعقله، (فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) أي: فذلك الشَّيطان يكون ملازمًا ومصاحبًا لهذا الإنسان الذي أعرض عن القرآن، ملازمة القرين لقرينه، والشَّيء لظله،

(١) صحيح البخاري، كتاب: الوكالة، باب: إذا وكل رجلا، فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل فهو جائز، وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز (ح٢٣١١)، (٣/ ١٠١).

(٢) المرجع السَّابق، كتاب: بَدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده (ح٣٢٧١)، (٤/ ١٢٢).

(٣) سبق تخريجه (ص: ٤١).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ٣٤).

ومن الآيات التي تُشبه هذه الآية، قوله تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ القَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ [فصِّلت:٢٥]"(١)، والشَّيطان يُحارب الإنسان ويحاول الاستحواذ على قلبه وفكره، حتى يُنسيه ذِكر الله ﷻ، قال الله تعالى واصفًا المنافقين: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة:١٩]، بين الله ﷻ السَّبب الذي أوقعهم في الرَّدى وأوصلهم إلى قرارة جهنم فقال: (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطانُ فَأَنْساهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ) أي: غلب على عقولهم بوسوسته وتزيينه حتى اتَّبعوه، فلم يمكنهم من ذكر الله ﷻ واتِّباع أوامره وترك نواهيه، بما زين لهم من الشَّهوات فأوقعهم في دركات جهنم، وبئس المصير، (أُولئِكَ حِزْبُ الشَّيْطانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطانِ هُمُ الْخاسِرُونَ) أي: أولئك هم جنود الشَّيطان وأعوانه، وإن جنده لهم الهالكون المغبونون في صفتهم، إذ هم قد فوَّتوا على أنفسهم النَّعيم المقيم، واستبدلوا به العذاب الأليم، وليس من دأب العاقل أن يقبل مثل هذا لنفسه(٢).

فذِكر الله ﷻ يُعدُّ من أهم الوسائل الوقائية في مواجهة الأعداء، ويُشكل درعًا واقيًا من مكائد الشَّيطان، وحفظًا من شرور الكفار والمنافقين والأخلاء الأشرار، وحصنًا من آفات النَّفوس وأمراضها، ويمنع من الخُسران الذي قد تجلبه عَدَاوة الأزواج والأولاد، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩]، فخاطب الله ﷻ المؤمنين محذِّرًا من أن تُلهيهم الأموال والأولاد عن ذِكر الله ﷻ، ومن يكن هذا حاله فهو من الخاسرين، وهو أيضًا عاملٌ أساسٌ من عوامل النَّصر الحقيقية عند لقاء العدو، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال:٤٥]؛ لذلك يجب على كل مؤمن يريد الوقاية من مكر الأعداء أن يكون لسانه رطبًا بذكر الله ﷻ، كما أوصى النَّبي ﷺ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ(٣): أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ: "لَا يَزَالُ لِسَانُكَ

---

(١) التَّفسير الوسيط للقرآن الكريم، لطنطاوي (١٣/ ٨٠).

(٢) انظر: تفسير المراغي (٢٨/ ٢٤).

(٣) عبد الله بْن بُسر المازني: يُكنى أَبَا بُسر، وقيل: يُكنى أَبَا صَفْوَان، مات بالشَّام سنة ثمانين، وَهُوَ ابْن أربع وتسعين، وَهُوَ آخر من مات بالشَّام بحمص من أصحاب رسول الله ﷺ، رَوَى عَنْهُ الشَّاميون، منهم: خَالِد بْن معدان، وَيَزِيد بْن خمير، وسليم بْن عَامِر، يُقال: إنه ممن صَلَّى القبلتين. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (٣/ ٨٧٤).

رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ"[1]، فذكر الله ﷻ مخرج من كل ضائقة، ونجاة من كل فاقة، فيه الخير العميم، والأجر العظيم، وحرز من الشَّياطين الرَّجيم وفوز يوم الدِّين، قال الله تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥].

ثالثًا: وحدة المسلمين.

قال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران:١٠٣]، أي: تمسكوا يا معشر المسلمين (بِحَبْلِ اللَّهِ) أي: الإيمان، أو كتاب الله ﷻ، حال كونكم جميعًا، أي: مجتمعين عليه، (وَلا تَفَرَّقُوا) تفرقكم الجاهلي، أو لا تفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كأهل الكتاب، عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ[2]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ"، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: "الْجَمَاعَةُ"[3]، (وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) التي من جملتها الهداية للإسلام المؤدِّي إلى التآلف وزوال الغلِّ، (إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً) في الجاهلية، يقتل بعضُكم بعضًا، (فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ) بالإسلام، (فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوانًا) متحابين مجتمعين على الأخوة في الله ﷻ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَا هُنَا وَيُشِيرُ إِلَى

(١) سنن التِّرمذي، أبواب: الدَّعوات، باب: ما جاء في فضل الذِّكر (ح٣٣٧٥)، (٥/ ٤٥٧)، قال التِّرمذي: "هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه"، وقال الألباني: "صحيح". صحيح وضعيف سنن التِّرمذي، للألباني (٧/ ٣٧٥).

(٢) عوف بْن مَالِك بْن أَبِي عوف الأشجعي، يكنى أَبَا عَبْد الرَّحْمَنِ، ويُقال: أَبُو حَمَّاد، ويُقال: أَبُو عُمَر، وأول مشاهده خيبر، روى عَنْهُ جماعة من التَّابعين، منهم يَزِيد بْن الأصم، وشداد بْن عَمَّار، وجبير بْن نُفَيْر وغيرهم، وروى عَنْهُ من الصَّحابة أَبُو هُرَيْرَةَ، ومات فِي خلافة عَبْد الْمَلِكِ بْن مَرَوَان سنة ثلاث وسبعين. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (٣/ ١٢٢٦).

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب: الفتن، باب: افتراق الأمم (ح٣٩٩٢)، (٢/ ١٣٢٢)، قال الألباني: "وهذا إسناده جيد". سلسلة الأحاديث الصَّحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للألباني (٣/ ٤٨٠).

صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ"(١)(٢).

إنَّ الوحدة والتَّوافق ورص الصُّفوف الدَّاخلية يُعد من الوسائل الوقائية التي تمنع الأعداء من إحداث أي شرخ بين المؤمنين، فالاعتصام بحبل الله ﷻ والتَّمسك بسنة النَّبي ﷺ هو سبيل وَحدة المسلمين، وهو الذي يجمعهم ولا يفرقهم، ويؤدي إلى نجاتهم واجتماعهم على كلمة واحدة ومنهج قويم واحد، حتى لا يختلفوا ويضعفوا وتتفرق بهم السُّبل، وعندها يستغل أعداء الله ﷻ الفرصة لبث الفتنة والخلاف بين المؤمنين، ففي الفرقة ضعف وهزيمة وفي الاتِّحاد قوة ونصر على الأعداء، فإذا اتَّحد المسلمون فيما بينهم وكانت جبهتهم الدَّاخلية قوية متماسكة، فهذه خطوة مهمة في تعزيز الوقاية من الأعداء، وهي وسيلة أساسية في مواجهة أعداء المؤمن، ومحاربة هؤلاء الأعداء من الكفار المنافقين وأهل الكتاب الذين يعملون جاهدين لتفريق المسلمين.

فلا بد من توحيد الصُّفوف والوقوف أمام الأعداء صفًا واحدًا في مواجهة مخططاتهم ومكائدهم، قال الله تعالى: ﴿**وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [الأنفال:٤٦]، قال سيد قطب: "وأما طاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ، فلكي يدخل المؤمنون المعركة مستسلمين لله ﷻ ابتداء فتبطل أسباب النِّزاع التي أعقبت الأمر بالطاعة: (وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)، فما يتنازع النَّاس إلا حين تتعدد جهات القيادة والتَّوجيه، وإلا حين يكون الهوى المُطاع هو الذي يوجه الآراء والأفكار، فإذا استسلم النَّاس لله ﷻ ورسوله ﷺ انتفى السَّبب الأول الرَّئيسي للنِّزاع بينهم –مهما اختلفت وجهات النَّظر في المسألة المعروضة– فليس الذي يثير النِّزاع هو اختلاف وجهات النظر، إنما هو الهوى الذي يجعل كل صاحب وجهة يصر عليها مهما تبين له وجه الحق فيها! وإنما هو وضع "الذَّات" في كفة، والحق في كفة وترجيح الذَّات على الحق ابتداء! ومن ثم هذا التَّعليم بطاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ عند المعركة، إنه من عمليات الضَّبط التي لا بد منها في المعركة"(٣)، إذًا الاتِّحاد في وجه الأعداء من عوامل النِّصر عليهم، فإذا كان المسلمون يدًا واحدة في مواجهة الكفار والمنافقين والمرجفين، فإن كل المؤامرات ستفشل، وكل المكائد ستتحطم أمام وحدة واتفاق المسلمين فيما

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: البر والصِّلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله (ح٢٥٦٤)، (٤/ ١٩٨٦).

(٢) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عَجيبة (١/ ٣٨٨).

(٣) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٣/ ١٥٢٨ – ١٥٢٩).

بينهم، ولن يستطيع أحد من الأعداء اختراق هذا الصَّف القوي الذي يستمد قوته من الإيمان بالله ﷻ واتِّباع نبيه ﷺ.

كما أنَّ التَّكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، والاهتمام بالنَّسيج والتَّرابط الأُسري، يدخل في معنى وحدة المسلمين، بل هو عنصر مهم في تعزيز التَّماسك الدَّاخلي بين المسلمين، ورفض الفرقة والتَّنازع والتَّباغض، فالمؤمنون كالجسد الواحد يؤازر ويتفقد بعضهم بعضًا، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ(١) رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"(٢)، فالحرص على المودة والرَّحمة بين المؤمنين أنفسهم يدفع كيد الكائدين، ويُذهب طمع الأعداء المتربصين بنشر الحقد والبغض في صفوف المسلمين، لذلك تُعد هذه الوسيلة من أكثر الوسائل تأثيرًا في الوقاية من الأعداء، لاسيما الكفار والمنافقين الذي يُحاولون تمزيق هذه الوحدة والتَّوافق والتَّعاون؛ ليقتحموا قلوب ونفوس المؤمنين وينتصروا عليهم، وهذا للأسف ما نشاهده واقعًا ملموسًا في أمتنا الإسلامية والعربية اليوم، حيث تكالبت علينا الأمم، فأعداء الإسلام والمسلمين في كل مكان وزمان، يعملون ليل نهار من أجل فرقة المسلمين، ويبثون الفتنة داخل بلادنا الإسلامية والعربية لنزداد ضعفًا وفرقة وهزيمة وانكسارًا، ولعل هذا السَّبب هو من أهم الأسباب في ضعف الأمة الإسلامية وهوانها وانكسارها اليوم.

لذلك ينبغي على كل مؤمن حريص على الوقاية من الأعداء أن يُحافظ على الوحدة والاتِّحاد، وعلى التَّمسك بحبل الله ﷻ المتين وسنة نبيه ﷺ، فهما مصدر عزِّنا وقوتنا ووحدتنا، ليكون صعبًا على أي من الأعداء اختراق الصَّف الإسلامي الدَّاخلي.

رابعًا: حُسن اختيار الزَّوجة.

هذه هي الوسيلة الرَّابعة من وسائل الوقاية من الأعداء، ولكن قد يتبادر إلى الذِّهن سؤال مفاده: هل الزَّوجة تعد عدوًا من الأعداء؟ لقد تحدَّث الباحث آنفًا عن عَدَاوة الأزواج

---

(١) النُّعمان بْن بشير بْن سعد بْن ثَعْلَبَة الأنصاري، يُكنى أبا عبد الله ، وأمه عمرة بِنْت رواحة، أخت عَبْد اللَّهِ بْن رواحة، ولد قبل وفاة النَّبِي ﷺ بثمان سنين، روى عَنْهُ ابناه: مُحَمَّد، وبشير، والشعبي، وخيثمة، وسماك بن حرب، وَأَبُو إسحاق السبيعي، وغيرهم. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (٤/ ١٤٩٦)، أُسد الغابة في معرفة الصَّحابة، لابن الأثير (٥/ ٣١٠).

(٢) صحيح مسلم، كتاب: البر والصِّلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (ح٢٥٨٦)، (٤/ ١٩٩٩).

والأولاد، وأنَّ الأصل في العلاقة الزَّوجية الحب والرَّحمة والمودة، ولكن عندما تكون الزَّوجة سببًا في الإعراض عن الله ﷻ، ومعول هدمٍ لا بناء في علاقة الزَّوج بربه ﷻ، حينها لا بد من إدراجها في قائمة الأعداء الواجب الحذر منهم، كما أخبرنا القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤]؛ لذلك رأى الباحث أنَّ حُسن اختيار الزَّوجة هو من سُبل الوقاية من عَدَاوتها، فإنْ أحسن الزَّوج الاختيار كانت زوجته له عونًا وسندًا، لا عدوًا وحزنًا، فالإسلام وضع معاييرًا لاختيار الزَّوجة الصَّالحة، لتحفظ زوجها وبيتها وأولادها من كيد الأعداء، ولتكون سببًا في إعانة زوجها على القيام بواجبات الحياة الدِّينية والدُّنيوية، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ"[١]، فالنَّبي ﷺ وضَّح أربعة معايير لاختيار الزَّوجة، وهي: المال، والحَسَب، والجمال، والدِّين، وأوصى بالتَّركيز على اختيار صاحبة الدِّين والخُلق، فهو أهم معيار لا بد أن يتوفر في الزَّوجة؛ لأنَّ الدِّين يعصم المرأة من الوقوع في الزَّلل والانحراف والمخالفات، ويُبعدها عن المُحرمات والمُنكرات، وبالتَّالي يستحيل أن تكون من الزَّوجات اللواتي يُعادين الله ﷻ، ويصبحن عدوًا من أعداء المؤمن، فحُسن اختيار الزَّوجة يقي المؤمن من الوقوع في المشاكل الزَّوجية بعد الزَّواج، ويضمن تربيةً حسنة لأولاده، فمن أحسن الاختيار وفق المنهج النَّبوي فإنه سيعود بالنَّفع والصَّلاح على الزَّوج أولًا والأولاد ثانيًا، ومن ثم على المجتمع بأسره، فشرط الدِّين في اختيار الزَّوجة يؤسس لأسرة صالحة متماسكة، فما نشهده من كثرة لحالات الطَّلاق في المحاكم، من أبرز أسبابه عدم اختيار الزَّوجة من البداية وفق الأُسس والمعايير النَّبوية، وبالتَّالي يترتب على ذلك عدم التَّوافق والانسجام بين الزَّوجين؛ لأنَّ الدِّين يحفظ الأُسرة من الانزلاق في مستنقع الخلافات الزَّوجية التي مصيرها غالبًا الطَّلاق وتفكك الأُسرة والمجتمع.

فمن أراد أن يَسلم من عَدَاوة الزَّوجة، فعليه أن يتبع المنهج النَّبوي في اختيار زوجته، فمن أحسن الاختيار منذ البداية فإنه سيكون من السُّعداء بلا شك، وسيختصر على نفسه مشقة العلاج بعد الزَّواج، وعناء المشاكل الزَّوجية والأُسرية، فعَدَاوة الأزواج أمر في غاية الخطورة والصُّعوبة؛ لأنه لا يُعقل أن تتحول من تقاسَمَت معك مُر الحياة وحُلوها، وحفظت سر بيتك إلى عدو من أعدائك وخصم من خصومك، تُشكل خطرًا عليك، وأنت بدورك تصبح حذرًا منها؛ لذلك بين القرآن الكريم تلك الحالة التي تُصبح الزَّوجة فيها عدوًا، عندما تُلهيك عن ذكر الله ﷻ،

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الرَّضاع، باب: استحباب نكاح ذات الدِّين (ح١٤٦٦)، (٢/ ١٠٨٦).

وتُسهم في إعراضك عن العبادات والطَّاعات، وتثبطك عن القيام بواجباتك الدِّينية؛ لذلك ينبغي أن نقي أنفسنا من هذه العَدَاوة الخفية، التي يجهلها كثير من النَّاس، وذلك عن طريق حُسن اختيار الزَّوجة، والتَّركيز على معيار الدِّين والخُلق، لإنشاء أُسرة صالحة سعيدة.

خامسًا: اختيار الصُّحبة الصَّالحة.

الأخلاء الأشرار من أشد الأعداء الذين يُضرون بالمسلم، فعَدَاوتهم تؤثر سلبًا على خُلق الفرد، فيُفسدون أخلاقه ويُحاربونه في دينه والتزامه، ولمَّا كان الخليل الشِّرير من الأعداء، كان من الواجب على المؤمن أن يحذر من عداوته، وأن يبتعد عن رُفقاء السُّوء قدر المستطاع، وأفضل طريقة للحذر من هؤلاء الأعداء هي الوقاية منهم، فعندما يقي المؤمن نفسه شرور هذا العدو، باختياره الأصدقاء الصَّالحين المهذَّبين الأتقياء، فإنه حتمًا لن يواجه هذا النَّوع من الأعداء، فالصُّحبة الصَّالحة خير معين على التَّقرب من الله ﷻ، فعندما تكون هناك ثُلة مؤمنة من الأتقياء الأطهار، تُعين المؤمن على الصَّلاة وحب الخيرات والقُربات والطَّاعات، وحسن الأخلاق والآداب، فهذا خير عظيم، يجعل المؤمن يعيش سعيدًا يتمتع بصحبة صالحة في هذه الدُّنيا، أما إذا لم يُحسن الاختيار، ولم يوجهه أحد لاختيار الأصدقاء المناسبين دينًا وخُلقًا، فإنَّ هذا سيكون وبالًا عليه وعلى والديه، اللذَين لم يرشداه إلى اختيار الصَّاحب الخلوق الذي يأخذ بيده إلى بر الأمان، فمن الوسائل الوقائية من أعداء المؤمن حسن اختيار الصَّديق، حتى لا يندم الخليل على خداع خليله له يوم لا ينفع النَّدم، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩]، يوم القيامة يعض الظَّالم على يديه حسرة وندامة، متمنيًا أن لو سلك سبيل الرَّسول ﷺ، وقد سماه الله ﷻ ظالمًا؛ لأنه ظلم نفسه بهذا الاختيار الخاطئ، فلم يُحسن الاختيار جيدًا، ويتمنى أنه لم يتخذ ذاك الخليل الشِّرير صاحبًا وصديقًا، وعندها يعترف ويُقر أنَّ صاحبه الذي كان معه في الدُّنيا أضله عن ذِكر الله ﷻ وأغواه بمساعدة ووسوسة الشَّيطان له الذي دائمًا وأبدًا يخذل الإنسان.

فالعاقل الذي يُحافظ على خُلقه ودِينه باختيار أصحاب صالحين مذكرين بالله ﷻ ناصحين له، يأخذون بيده إلى الطَّريق المستقيم، حتى لا تكون النَّتيجة العَدَاوة، كما قال الله تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزُّخرف:٦٧]، فالله ﷻ استثنى من هذه العَدَاوة المتقين الذين يتقون الله ﷻ ويحسنون اختيار الأصدقاء؛ ليكونوا لهم شفعاء يوم القيامة لا أعداءً، فالصَّاحب إما أن يكون صالحًا معينًا على الخير، وعندها ستكون النَّتيجة

الفوز في الدُّنيا والآخرة، وإما أن يكون طالحًا معينًا على الشَّر، لتكون النَّتيجة الانحراف والانحلال في الدُّنيا، والحسرة والنَّدامة والعَدَاوة في الآخرة.

المطلب الثَّاني: طُرق العلاج.

سيتناول الباحث في هذا المطلب طُرق العلاج من الأعداء، حيث سيُحاول ذِكر أبرز طُرق العلاج من هذه الأمراض والآفات، ليكون الدَّواء حاضرًا بين يدي المريض متى احتاج إليه وفي أي وقت شاء، فمن رحمة الله ﷻ أن جعل لكل داء دواء، والفرق بين الوقاية والعلاج أنَّ الوقاية خطوات استباقية لوقوع المرض، فهي عبارة عن وسائل احتياطية تُتخذ قبل وقوع الآفة أو المشكلة، فمن أراد أن يقي نفسه شر الوقوع في شِباك أيٍّ من الأعداء اتَّبع خطوات الأمان والسَّلامة؛ كي لا يقع أسيرًا في قبضة عدو من هؤلاء الأعداء، أما طُرق العلاج فهي خطوات تأتي متأخرة أثناء وبعد وقوع المرض وحدوث المشكلة، فهي عبارة عن طُرق تُتخذ بعد أن يكون العدو قد استحكم من الضَّحية، وشعر المريض بشيء من الألم والإرهاق الذي ليس بالضَّرورة أن يكون ماديًا ملموسًا بل قد يكون معنويًا نفسيًا، وهو في بعض الأحيان أشد من المرض الجسدي الملموس، حينما يفتك بالنُّفوس والعقول والقلوب، وفيما يلي سيتحدث الباحث عن طُرق العلاج من هؤلاء الأعداء للتَّخلص من عداوتهم وكيدهم، وليكون المؤمن قادرًا على مقاومتهم ومواجهتهم، وذلك على النَّحو التَّالي:

أولًا: الجهاد في سبيل الله ﷻ.

إنَّ من وسائل العلاج لعَدَاوة الكُفار والمنافقين ومن والاهم، الجهاد والقتال في سبيل الله ﷻ، إعلاءً لراية التَّوحيد والإسلام في كل بقاع الأرض وإحقاقًا للحق، فالجهاد ذروة سَنام الإسلام، وهو من أجَلِّ الأعمال وأفضلها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ [التوبة:١١١]، وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ﴾ [التوبة:٢٠]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ: أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: "إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ"، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: "الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟

قَالَ: "حَجٌّ مَبْرُورٌ"(١)، وقال ابن قيم الجوزية: "وأما جهاد الكُفار والمنافقين فأربع مراتب: بالقلب، واللسان، والمال، والنَّفس، وجهاد الكُفار أخصُّ باليد، وجهاد المنافقين أخصُّ باللسان"(٢).

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيرُ﴾ [التوبة:٧٣]، أي: ابذل جهدك في مقاومة الفريقين الذين يعيشون مع المؤمنين بمثل ما يبذلون من جهدهم في عداوتك، وعاملهم بالغِلظة والشِّدة الموافقة لسوء حالهم، وقدَّم ذِكر الكفار في جهاد الدُّنيا؛ لأنهم المستحقون له بإظهارهم لعداوتهم له ﷺ ولِما جاء به، والمنافقون يُخفون كفرهم وعداءهم ويُظهرون الإسلام فيعاملون معاملة المسلمين في الدُّنيا، وقدَّم ذِكر المنافقين في جزاء الآخرة؛ لأن كفرهم أشد، وعذرهم فيه أضعف، واتفق علماء المِلَّة على أنَّ المنافقين يُعامَلون بأحكام الشَّريعة كالمسلمين الصَّادقين، فلا يُقاتَلون إلا إذا أظهروا الكُفر البواح بالرِّدة، أو بَغوا على جماعة المسلمين بالقوة، أو امتنع بعض طوائفهم من إقامة شعائر الإسلام وأركانه، وعن ابن عباس ﷺ قال: جهاد الكفار بالسَّيف، وجهاد المنافقين باللسان(٣).

فمن وسائل العلاج أن يُعدَّ المسلمون العُدة لمواجهة الأعداء من الكفار ومن والاهم، قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآَخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال:٦٠]، هذا أمرٌ باتِّخاذ القوة، والعمل على بنائها، والتَّوسل إليها بوسائلها، ومن أهم تلك الوسائل "الخيل"، إذ كانت في ذلك الوقت أقوى مظهر من مظاهر القوة والفروسية، فحيث كانت الخيل، وكان فرسانها، كانت القوة والمَنَعة، والضَّمير "به" في قوله تعالى: (تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) يعود إلى رباط الخيل، وأنه مصدر رهبة للعدو، إذا كان هذا الرِّباط من الكثرة والإعداد على صورة يَهابها العدو ويعمل حسابها، وهذا يعني استعراض تلك القوة المعدَّة من الخيل وفرسان الخيل، وإظهارها بحيث يراها العدو، ويرى فيها ما يُرهبه، ويقتل في نفسه كل داعية من دواعي الطَّمع في المسلمين، وفي لقائهم على ميدان القتال، وهذا يعني أيضًا أن يكون هذا الرِّباط على صورة محقَّقة لإلقاء الرُّعب والفزع في نفس العدو، وإلا كان سَتر هذا الرِّباط وإخفاؤه أولى وأحكم من إظهاره، وهذا يعني كذلك أنَّ الإعداد للحرب ليس لإشباع شهوة الحرب؛ وإنما هو لإرهاب العدو أولًا، حتى ينزجر، ولا تحدثه نفسه بالحرب حين يرى القوة الرَّاصدة له، ومن هنا يُرى أنَّ الإسلام دين سلام، يُعد للحرب،

(١) صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: من قال إنَّ الإيمان هو العمل (ح٢٦)، (١/ ١٤).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية (٣/ ١٠).

(٣) انظر: تفسير المنار، لمحمد رضا (١٠/ ٤٧٣ – ٤٧٤).

حتى تجتمع له القوة الممكنة له من النَّصر والغلب، ولكنه لا يبدأ الحرب، ولا يسعى إليها، وإنما يجيء إليها مكرهًا[1]، والخيل من وسائل محاربة العدو، وفيها الخير كما أخبر النَّبي ﷺ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الجَعْدِ[2]ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "الخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ"[3]، قال ابن الأثير: أي مُلازم لها كأنه معقود فيها"[4].

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا﴾ [النساء:٧١]، قال السَّعدي: "فعلى المسلمين الأخذ بكل معنى من معاني الحذر، وبكل وسيلة من وسائل القوة والاستعداد، عسى الله ﷻ أن يَكُفَّ بأس الذين كفروا، فإنَّ جهل المسلمين بشيء من ذلك وكسلهم عن العمل ضرره كبير، وبذلك يكونون عالة على غيرهم، وهذا عنوان الذُّل، فإن لله ﷻ سُننًا كونية جعلها وسائل للعز والرُّقي، مَن سلكها نجح، ودين الإسلام يحثُّ عليها غاية الحث"[5].

ولا بد من الإشارة هنا إلى مُحاربة اليهود وقتالهم، لاسيما أننا في أرض الرِّباط والجهاد فلسطين، التي احتلها اليهود الغاصبون، فقد اغتصبوا مقدساتها ومقدراتها، وعاثوا في الأرض فسادًا، وقتلوا الأطفال والنِّساء والشُّيوخ، وهذا هو دَيدنهم منذ زمن النَّبي ﷺ إلى يومنا هذا، بل قبل ذلك فهم قتلة الأنبياء والرُّسل، عَنِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- "أَنَّ يَهُودَ بَنِي النَّضِيرِ، وَقُرَيْظَةَ، حَارَبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَجْلَى رَسُولُ اللهِ ﷺ بَنِي النَّضِيرِ، وَأَقَرَّ قُرَيْظَةَ وَمَنَّ عَلَيْهِمْ، حَتَّى حَارَبَتْ قُرَيْظَةُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ، وَقَسَمَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، إِلَّا أَنَّ بَعْضَهُمْ لَحِقُوا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَآمَنَهُمْ وَأَسْلَمُوا، وَأَجْلَى رَسُولُ اللهِ ﷺ يَهُودَ الْمَدِينَةِ كُلَّهُمْ، بَنِي قَيْنُقَاعَ، وَهُمْ قَوْمُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ، وَيَهُودَ بَنِي حَارِثَةَ، وَكُلَّ يَهُودِيٍّ كَانَ بِالْمَدِينَةِ"[6]؛ لذلك يجب

---

(١) انظر: التَّفسير القرآني للقرآن، للخطيب (٥/ ٦٤٨ – ٦٤٩).

(٢) عروة بْن الجعد وقيل: ابْنُ أَبِي الجعد البارقي، وقيل: الْأَزْدِيّ، سكن الكوفة، روى عَنْهُ: الشَّعْبِي، والسَّبيعي، وشبيب بْن غرقدة، وسماك بْن حرب، وشريح بْن هانئ، وغيرهم، وكان ممن سيره عثمان ﷺ، إِلَى الشَّام من أهل الكوفة، وقَالَ شبيب بْن غرقدة: رَأَيْت فِي دار عروة بْن الجعد سبعين فرسًا مربوطة للجهاد فِي سبيل اللَّه ﷻ. انظر: أُسد الغابة في معرفة الصَّحابة، لابن الأثير (٤/ ٢٥).

(٣) صحيح البخاري، كتاب: الجهاد والسِّير، باب: الخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ (ح٢٨٥٠)، (٤/ ٢٨).

(٤) النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٣/ ٢٧١).

(٥) جهاد الأعداء ووجوب التَّعاون بين المسلمين، للسَّعدي (ص: ١٨).

(٦) صحيح مسلم، كتاب: الجهاد والسِّير، باب: إجلاء اليهود من الحجاز (ح١٧٦٦)، (٣/ ١٣٨٧).

على كل مسلم غيور على دِينه ووطنه أن يُجاهد في سبيل الله ﷻ، وأن يُقاتل اليهود المجرمين حتى يندحروا مهزومين خائبين عن أرضنا ومقدساتنا، فإنَّ الواقع اليوم في فلسطين المحتلة لا يخفى على أحد، وإنَّ السَّبيل الوحيد للتَّخلص من هؤلاء القتلة والغاصبين، هو الجهاد في سبيل الله ﷻ، وإعداد العُدة العسكرية والقتالية والاقتصادية لقتالهم والتَّصدي لهم، لإجلاء آخر صهيوني على هذه الأرض الطَّاهرة، وما ذلك على الله ﷻ بعزيز.

ثانيًا: الاستعاذة من الشَّيطان الرَّجيم.

هذه الوسيلة العلاجية تقي المؤمن شرورًا كثيرة، خاصة ما يتعلق بعدو من أعداء المؤمن ألا وهو الشَّيطان الرَّجيم، قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف:٢٠٠]، أي: وإما يغضبنك من الشَّيطان غضب يصدُّك عن الإعراض عن الجاهلين، ويحملك على مجازاتهم، (فَاسْتَعِذْ بِاللهِ)، أي: فاستجر بالله ﷻ من نزغه، (إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)، أي: أنَّ الله ﷻ الذي تستعيذ به من نزغ الشَّيطان سميع لجهل الجاهل عليك، ولاستعاذتك به من نزغه، ولغير ذلك من كلام خَلْقِه، لا يخفى عليه منه شيء، عليم بما يُذهب عنك نزغ الشَّيطان، وغير ذلك من أمور خَلْقِه[1]، فالمسلم يستعيذ بالله ﷻ من الشَّيطان الرَّجيم في جميع أقواله وأفعاله، حتى يطرد الشَّيطان عنه، فإنَّ الله ﷻ أمرنا بالاستعاذة حتى عند قراءة القرآن، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل:٩٨]، قال فخر الدِّين الرَّازي: "الشَّيطان ساع في إلقاء الوسوسة في القلب حتى في حق الأنبياء، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج:٥٢]، والاستعاذة بالله ﷻ مانعة للشَّيطان من إلقاء الوسوسة، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١]؛ فلهذا السَّبب أمر الله ﷻ رسوله ﷺ بالاستعاذة عند القراءة حتى تبقى تلك القراءة مصونة عن الوسوسة"[2].

فإذا شعر الإنسان بتسلُّط الشِّيطان عليه، أو ملازمته له، فيجب عليه أن يستعيذ بالله ﷻ منه؛ كي يطرده ويُبعده عنه، فالاستعاذة تطرد الشَّيطان وتزيل الشُّرور والأحزان، وهي أفضل وسيلة للتَّخلص منه، قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون:٩٧-٩٨]، أي: وقل: ربِّ إني ألتجيء إليك من أن يصل إليَّ

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطَّبري (١٣/ ٣٣٢ – ٣٣٣).

(٢) مفاتيح الغيب، لفخر الدِّين الرَّازي (٢٠/ ٢٦٨ – ٢٦٩).

الشَّياطين بوساوسهم، أو أن يبعثوا إليَّ أعداءك لإيذائي، وهكذا يدعو المؤمنون، فإن الشَّيطان لا يصل إليهم إلا بأحد هذين الأمرين، وإذا انقطع العبد إلى مولاه وتبتل إليه وسأله أن يُعيذه من الشَّياطين استيقظ قلبه، وتذكر ربه فيما يأتي ويذر، ودعاه ذلك إلى التَّمسك بالطَّاعة، وازدجر عن المعصية، وقد استعاذ النَّبي ﷺ من أن تحضره الشَّياطين في عمل من أعماله ولاسيما حين الصَّلاة وقراءة القرآن وحلول الأجل، عن عبد الله بن عمرو بن العاص-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: "إِذَا فَزِعَ أَحَدُكُمْ فِي النَّوْمِ فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ"، فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، يُلَقِّنُهَا مَنْ بَلَغَ مِنْ وَلَدِهِ، وَمَنْ لَمْ يَبْلُغْ مِنْهُمْ كَتَبَهَا فِي صَكٍّ ثُمَّ عَلَّقَهَا فِي عُنُقِهِ"[(١)(٢)].

كذلك هي الطَّريقة المُثلى للتَّخلص من وسوسة الشَّيطان في الصَّلاة، فقد أَتَى عُثْمَان ابْنَ أَبِي الْعَاصِ[(٣)]ﷺ، النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي يَلْبِسُهَا عَلَيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْهُ، وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا"، قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللهُ عَنِّي[(٤)]، والاستعاذة أيضًا تُزيل الغضب وتذهبه، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ[(٥)]، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَرَجُلَانِ يَسْتَبَّانِ[(٦)]،

---

(١) سنن التِّرمذي، أبواب: الدَّعوات (ح٣٥٢٨)، (٥/ ٥٤١ - ٥٤٢)، قال التِّرمذي: "حديث حسن غريب"، وقال الألباني: "حسن". صحيح وضعيف سنن التِّرمذي، للألباني (٨/ ٢٨).

(٢) انظر: تفسير المراغي (١٨/ ٥٤).

(٣) عثمان بن أَبِي العاص بن بشر بن عبد بن دهمان، وقيل عبد دهمان بن عبد اللَّه الثَّقفي، يُكنى أبا عَبْد اللَّه، وفد على النَّبِي ﷺ فِي وفد ثقيف فأسلم، استعمله رَسُول اللَّهِ ﷺ على الطَّائف، وسكن البصرة، وَرَوَى عَنْهُ أهلها وأهل المدينة، ومات فِي خلافة مُعَاوِيَة. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (٣/ ١٠٣٥)، أُسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير (٣/ ٥٧٣).

(٤) صحيح مسلم، كتاب: السَّلام، باب: التَّعوذ من شيطان الوسوسة في الصَّلاة (ح٢٢٠٣)، (٤/ ١٧٢٨).

(٥) سليمان بن صرد بن الجون الخزاعي، يُكنى أبا مطرف، كان اسمه في الجاهلية يسارا فسماه رسول الله ﷺ سليمان، وكان خيرًا فاضلًا، له دين وعبادة، سكن الكوفة، وكان له قدر وشرف في قومه، وشهد مع علي ابْن أَبِي طالب ﷺ مشاهده كلها، روى عنه ابن إِسْحَاق السبيعي، وعدي بْن ثابت، وعبد اللَّه بْن يسار، وغيرهم. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (٢/ ٦٤٩ - ٦٥٠)، أُسد الغابة في معرفة الصَّحابة، لابن الأثير (٢/ ٥٤٨).

(٦) أي: "يتشاتمان". عُمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني (١٥/ ١٧٥).

فَأَحَدُهُمَا احْمَرَّ وَجْهُهُ، وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ(١)، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ"، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَقَالَ: وَهَلْ بِي جُنُونٌ(٢)، بل في الاستعاذة طرد للحسد والحاسدين، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ، وَيَقُولُ: "إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ(٣)، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّةٍ(٤)"(٥).

لذلك حَرِيٌّ بكل مسلم قوي الإيمان، أن يتحصَّن بالرَّحمن من كيد الشَّيطان؛ ليفوز بالجِنان وينجو من النِّيران، فيُحافظ على أذكار الصَّباح والمساء، وقراءة آية الكرسي، وسورة الإخلاص والفلق والنَّاس، وأذكار النَّوم، فمِن فضل الله ﷻ علينا أنَّ الشَّيطان يضعف ويخنس عند تلاوة القرآن الكريم والمداومة على الأذكار، قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِالله إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾ [فصِّلت:٣٦]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٧٦]، فالشَّيطان ضعيفٌ أمام قوة الإيمان، لا يستطيع أن يهزم المؤمن القوي الذي يُحافظ على تلاوة القرآن وعلى الأذكار وعلى الاستعاذة من الشَّيطان، فاستعاذة الإنسان من الشَّيطان هي طلبٌ للعَون والمساعدة من الرَّحمن، فيلتجيء ويعتصم بالله ﷻ لمواجهة هذا العدو اللعين، الذي لن يُوقف عَدَاوته لبني آدم إلى قيام السَّاعة، فمن طُرق علاج هذه العَدَاوة الاستعاذة بالله ﷻ من كيده وشره ومكره، فيكون المسلم بحرز وأمان.

ثالثًا: توجيه الإعلام.

أقصد بهذه الوسيلة أن يكون للإعلام دور في العلاج من هؤلاء الأعداء، فالإعلام اليوم يلعب دورًا هامًا في المعركة القائمة بين الإسلام وأعدائه من الكُفار والمنافقين والشَّياطين الإنسية، والمُعادين للإسلام والمسلمين مهما اختلفت أسماؤهم وألوانهم، فهذا يستدعي أن يقف

---

(١) أوداجه: "جمع وَدَج بِفَتْحَتَيْنِ، وَهُوَ: عرق فِي الْحلق فِي المذبح، وانتفاخ الْأَوْدَاج كِنَايَة عَن شدَّة الْغَضَب". عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني (١٥/ ١٧٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب: بَدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده (ح٣٢٨٢)، (٤/ ١٢٤).

(٣) هامة: "وَاحِدَة الْهَوَام ذَوَات السُّمُوم، وَقيل: كل مَا لَهُ سم يقتل، وَأما مَا لَا يقتل فَيُقَال لَهَا: سوام، وَقيل: المُرَاد كل نسمَة تهم بِسوء". عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني (١٥/ ٢٦٥).

(٤) العين اللاَّمة: "الَّتِي تصيب بِسوء". المرجع السَّابق (١٥/ ٢٦٥).

(٥) صحيح البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء (ح٣٣٧١)، (٤/ ١٤٧).

الباحث مع هذه الوسيلة العلاجية، ليكون لها الأثر في علاج ومواجهة أعداء الإسلام والمسلمين.

فمن خلال واقعنا الذي نحيا، فإننا نرى أنَّ هناك تأثيرًا كبيرًا للإعلام على سلوك شباب وشابات المسلمين، بل على جميع فئات المجتمع، فخطورة الإعلام تكمن في دخوله كل بيت وتأثيره على كل شخص في هذا العالم، فالإعلام الغربي الذي يغزو بيوتنا ويلحق به بعض وسائل الإعلام العربي والإسلامي، هو سبب رئيس في فساد وانحلال وانحراف كثير من أبناء المسلمين، فالتِّلفاز الذي يبث القنوات الفضائية السَّاقطة التي تقتحم غرف كثير من الشَّباب هو سبب ضياع الكثير منهم، واللهث خلف التَّفاهات والمنكرات والشَّهوات، والانترنت الذي أصبح تأثيره أوسع من التِّلفاز بكثير، فهذه الشَّبكة العنكبوتية العالمية يستطيع من يدخلها أن يُبحر فيها كيفما شاء وأينما شاء دون رقيب ولا حسيب، ويأتي بعد ذلك مواقع التَّواصل الاجتماعي التي وصلت القريب بالبعيد، ليكون مَنْ فرقتهم المسافات وكأنهم يجلسون في مكان واحد، كل هذا وغيره من آفات استخدام هذا الإعلام بطريقة غير صحيحة.

وكما هو معلوم فإنَّ الإعلام سلاح ذو حدين، فإنْ استُخدم في الخير كان تأثيره طيبًا إيجابيًا يخدم المجتمع، وأما إن لم نُحسن استخدامه فستكون عواقب ذلك وخيمة على الفرد والمجتمع، وما أُريد الوصول إليه هو تطوير إعلامنا الإسلامي ليرتقي إلى مرحلة نستطيع من خلالها أن نوجه هذا الإعلام كيفما نريد، بمعنى أن تكون وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية كلها تصب في خدمة الإسلام والمسلمين، فيُخصص في الفضائيات برامج إسلامية تُعلم النَّاس أُمور دينهم ودنياهم، وتعلمهم القرآن الكريم والسنَّة النَّبوية والفقه والأخلاق والآداب الإسلامية، وتعلمهم البرامج النَّافعة والمفيدة التي تخص الرَّجل والمرأة والأطفال والشَّباب، لنستطيع محاربة هؤلاء الأعداء الذين يتفننون في جذب النَّاس إلى إعلامهم وفضائياتهم، فهم يُنفقون الأموال والأوقات في سبيل خدمة أهوائهم وشياطينهم، ثم سيكون كل هذا وبالًا عليهم وحسرة وندامة.

وأغراض الإعلام تتنوع بتنوع الميول والرَّغبات، وما تحدث به الباحث هو بهدف زرع القيم والأخلاق الحميدة في نفوس النَّاس، وهذه هي أخطر قضية قد نُحارَب بها –السُّلوكيات والقيم والأخلاق– فالإعلام لا بد أن يكون موجهًا نحو فكرة تخدم القائمين على المؤسسة الإعلامية؛ لإيصال الفكر السَّليم والقِيم النَّبيلة عن طريق ما يُبث من مواد إعلامية، فالإعلام فيه تعبئة للنَّاس لغرس وتعزيز المفاهيم والقِيم، أو لنزع قيمة أو سلوك سلبي يُضر بالأفراد والمجتمع.

وتوجيه الإعلام يُعد وسيلة من وسائل العلاج والمواجهة لكثير من الأعداء، فمواجهة الكُفار إعلاميًا توازي المواجهة العسكرية، لاسيما في الحروب والمعارك، فعلى سبيل المثال كان للإعلام المقاوم في غزة في الحرب الأخيرة عام ألفين وأربعة عشر، دور بارز في رفع المعنويات والرَّبط على قلوب النَّاس ونزع الخوف من قلوبهم، وفي المقابل إلقاء الرُّعب في قلوب اليهود المغتصبين، فعندما يُوجَّه الإعلام توجيهًا صحيحًا لخدمة أبناء الشَّعب الفلسطيني، ولخدمة المقاومة الباسلة، فإن النَّتائج تظهر في الميدان، وتنعكس على القوة العسكرية والحربية، وبهذا نواجه عدوًا من ألد أعدائنا ألا وهم اليهود.

كما أنَّ للإعلام دورًا في مواجهة الشَّياطين الإنسية من أهل الفضائيات وما يروجه أهل الباطل لنا من فتن وشهوات ومنكرات، وهذا لا بد أن نستبدله بتخصيص قنوات كاملة لغرس القيم والفضيلة وحب الدَّين والقرآن والأخلاق، أو أن نخصص برامج تثقيفية تنفع النَّاس في شتى المجالات.

وكذلك للإعلام دور في توحيد المسلمين على كلمة واحدة ورفض كل المؤامرات التي تُحاك ضد المسلمين ليل نهار، ليكشف زيف الأكاذيب والإشاعات التي تُروَّج من قبل المنافقين وأتباعهم.

إذًا يجب استثمار الإعلام جيدًا فيما يخدم الإسلام والمسلمين، ليكون قادرًا على مواجهة الأعداء الذين يتربصون بالإسلام والمسلمين، فهذا سلاح قوي ذو تأثير فعال وسريع، إذا فكر المسلمون جيدًا في طريقة استثماره والانتفاع به ستكون النَّتائج باهرة ورائعة، وسيتم مواجهة الأعداء من الشَّياطين والكفار واليهود والمنافقين وآفات النُّفوس وعَدَاوة الأخلاء الأشرار، عن طريق غرس المفاهيم التَّربوية السَّليمة في نفوس الآباء والأمهات أولًا، والأبناء ثانيًا، والمجتمع بأسره ثالثًا، ليعود المجتمع مجتمعًا صالحًا متماسكًا مترابطًا، يسوده الحب والوفاق والصَّلاح، خاليًا من كيد الأعداء وخداعهم.

رابعًا: جهاد النَّفس.

إنَّ الجهاد لا يقتصر على مجاهدة الأعداء الذين في الخارج من الكُفار والمنافقين والمعتدين، بل هناك جهادٌ أخطر وأهم من ذلك، وهو جهاد عدو داخلي يُعاديك من الدَّاخل، وهو نفسك التي بين جنبيك، وهو أصل الجهاد وأساسه، فمن لم يستطع مجاهدة نفسه أولًا لن يستطيع مواجهة أيٍّ من الأعداء الآخرين، قال الله تعالى: ﴿**وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ**﴾

[الحج:٧٨]، قال ابن المبارك: "هو جهاد النَّفس والهوى"(١)، وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩]، قال ابن قيم الجوزية: "علَّق سبحانه الهداية بالجهاد، فأكمل النَّاس هداية أعظمهم جهادًا، وأفرض الجهاد جهاد النَّفس وجهاد الهوى وجهاد الشَّيطان وجهاد الدُّنيا، فمن جاهد هذه الأربعة في الله ﷻ هداه الله ﷻ سُبل رضاه الموصلة إلى جنته، ومن ترك الجهاد فاته من الهُدى بحسب ما عطل من الجهاد، قال الجُنيد: والذين جاهدوا أهواءهم فينا بالتَّوبة لنهدينهم سُبل الإخلاص، ولا يتمكن من جهاد عدوه في الظَّاهر إلا من جاهد هذه الأعداء باطنًا، فمن نُصر عليها نُصر على عدوه ومن نُصرت عليه نُصر عليه عدوه"(٢)، وعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ(٣)ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "الْمُجَاهِدُ مِنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ"(٤).

قال ابن الجوزي: "اعلم أنه إنما كان جهاد النَّفس أكبر من جهاد الأعداء؛ لأنَّ النَّفس محبوبة، وما تدعو إليه محبوب؛ لأنها لا تدعو إلا إلى ما تشتهي، وموافقة المحبوب في المكروه محبوبة، فكيف إذا دعا إلى محبوب، فإن عكست الحال وخولف المحبوب فيما يدعو إليه من المحبوب اشتد الجهاد وصعب الأمر بخلاف جهاد الكفار، فإن الطِّباع تحمل على خصومة الأعداء"(٥).

ولجهاد النَّفس أربع مراتب: إحداها: أن يُجاهدها على تعلم الهُدى ودِين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها علمه شَقِيت في الدَّارين، الثَّانية: أن يُجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها، الثَّالثة:

---

(١) ذم الهوى، لابن الجوزي (ص: ٤٠).

(٢) الفوائد، لابن قيم الجوزية (ص: ٥٩).

(٣) فضالة بْن عُبَيْد بْن ناقد بْن قَيْس بْن صُهَيْب بن الأصرم بن ججبي بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بْن الأوس الأَنْصَارِيّ العمري الأوسي، يكنى أَبَا مُحَمَّد، أول مشاهده أحد، ثُمَّ شهد المشاهد كلها، وكان ممن بايع تحت الشَّجرة، روى عن النَّبي ﷺ وعن عمر، وأبي الدَّرداء، وروى عنه ثمامة بن شفي، وحبيش ابن عبد اللَّه الصَّنعاني، وعليّ بن رباح، وكانت وفاته ﷺ سنة ثلاث وخمسين. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (٣/ ١٢٦٢ – ١٢٦٣)، الإصابة في تمييز الصَّحابة، لابن حجر (٥/ ٢٨٣).

(٤) سنن التِّرمذي، أبواب: فضائل الجهاد، باب: ما جاء في فضل من مات مرابطًا (ح١٦٢١)، (٤/ ١٦٥)، قال التِّرمذي: "حديث حسن صحيح"، وقال الألباني: "صحيح". صحيح وضعيف سنن التِّرمذي، للألباني (٤/ ١٢١).

(٥) ذم الهوى، لابن الجوزي (ص: ٤٠).

أن يُجاهدها على الدَّعوة إليه، وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله ﷻ من الهُدى والبينات، ولا ينفعه علمه، ولا ينجيه من عذاب الله ﷻ، الرَّابعة: أن يُجاهدها على الصَّبر على مشاق الدَّعوة إلى الله ﷻ وأذى الخَلْق، ويتحمل ذلك كله لله ﷻ، فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الرَّبانيين، فإنَّ السَّلف مُجمعون على أنَّ العالم لا يستحق أن يُسمى ربانيًا حتى يعرف الحق ويعمل به ويُعَلِّمه، فمن عَلِم وعمل وعَلَّم فذاك يُدعى عظيمًا في ملكوت السَّماوات[(١)].

جهاد النَّفس هو مخالفة هواها وما تأمر به من السُّوء، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف:٥٣]، قال السَّعدي: "فإنَّ النَّفس مَيَّالة إلى الكسل عن الخيرات، أمَّارة بالسُّوء، سريعة التَّأثر عند المصائب، وتحتاج إلى صبر وجهاد في إلزامها طاعة الله ﷻ، وثباتها عليها، ومجاهدتها عن معاصي الله ﷻ، وردعها عنها، وجهادها على الصَّبر عند المصائب، وهذه هي الطَّاعات: امتثال المأمور، واجتناب المحظور، والصَّبر على المقدور، فالمجاهد حقيقة: من جاهدها على هذه الأمور؛ لتقوم بواجبها ووظيفتها"[(٢)]، ومجاهدة النَّفس ليس بالأمر الهين بل يحتاج إلى عزيمة وإرادة، قال ابن عثيمين: "المجاهدة تعني مجاهدة الإنسان نفسه ومجاهدة غيره، فأما مجاهدة الإنسان نفسه فإنها من أشق الأشياء، ولا تتم مجاهدة الغير إلا بمجاهدة النفس أولًا، ومجاهدة النَّفس تكون بأن يُجاهد الإنسان نفسه على شيئين، على فعل الطَّاعات، وعلى ترك المعاصي؛ لأن فعل الطَّاعات ثقيل على النَّفس إلا من خففه الله ﷻ عليه، وترك المعاصي كذلك ثقيل على النَّفس إلا من خففه الله ﷻ عليه، فتحتاج النَّفس إلى مجاهدة لاسيما مع قلة الرَّغبة في الخير، فإنَّ الإنسان يعاني من نفسه معاناةً شديدة؛ ليحملها على فعل الخير"[(٣)].

إنَّ جهاد النَّفس مقدم على جهاد كثير من الأعداء، فإذا انتصر الإنسان على نفسه كان قادرًا على مواجهة الأعداء الآخرين، قال ابن قيم الجوزية: "جهاد النَّفس مقدم على جهاد العدو في الخارج، وأصل له، فإنه ما لم يجاهد نفسه أولًا لتفعل ما أُمرت به، وتترك ما نُهيت عنه ويحاربها في الله ﷻ لم يمكنه جهاد عدوه في الخارج، فكيف يمكنه جهاد عدوه والانتصاف منه،

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية (٣/ ٩).

(٢) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، للسَّعدي (ص: ٢٤).

(٣) شرح رياض الصَّالحين، لابن عثيمين (٢/ ٥١).

وعدوه الذي بين جنبيه قاهر له متسلط عليه لم يجاهده ولم يحاربه في الله ﷻ، بل لا يمكنه الخروج إلى عدوه حتى يجاهد نفسه على الخروج"[(١)].

لذلك ينبغي على كل مؤمن يريد التَّخلص من آفات نفسه أيًا كانت سواء آفة الغفلة، أو الهوى، أو الكِبْر، أو اللسان، أو الرِّياء، أو الحسد، أو الغضب، أو العَجلة، أو غيرها من الآفات والأمراض الأُخرى، أن يُحاسب نفسه ويقف معها وقفات، يُراجع حساباته مع ربه ﷻ، ليصحح المسار، ويبدأ من جديد، عن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ، قَالَ: "حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، فَإِنَّهُ أَهْوَنُ –أَوْ قَالَ: أَيْسَرُ– لِحِسَابِكُمْ، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، وَتَجَهَّزُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٨]"[(٢)]، فالعاقل من حاسب نفسه قبل فوات الأوان، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله ﷻ بقلب سليم، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالعِبَادِ﴾ [آل عمران:٣٠]، فإنَّ الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم دون إصلاح لها وتقويم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ المُبِينُ﴾ [الزُّمر:١٥].

الخُلاصة:

مما سبق يخلص الباحث إلى ضرورة اتِّخاذ وسائل للوقاية من الأعداء أولًا، ومن ثم اتِّباع الوسائل العلاجية في حال كان العدو قد هاجم المؤمن وتمكن منه، فعندها لا بد من اتِّخاذ الوسائل والطُّرق العلاجية، ليتمكن المؤمن من طرد أي عدو يقترب منه أو يُحاول التَّأثير عليه.

أما الوسائل الوقائية فهي مجموعة من الخطوات، تتمثل في: تحلي المؤمن بالتَّقوى أولًا، ومن ثم المداومة على الذِّكر، والحفاظ على وحدة المسلمين والصَّف الدَّاخلي، وحُسن اختيار الزَّوجة، والصُّحبة الصَّالحة، وأما الوسائل العلاجية التي ركزت عليها الدِّراسة فهي: الجهاد في سبيل الله ﷻ، والاستعاذة من الشَّيطان الرَّجيم، والعناية بالإعلام السَّليم، وجهاد النَّفس. والله تعالى أعلم.

وأخيرًا أسأل المولى ﷻ أن يحفظني وإياكم من كيد الأعداء، والله الموفق والهادي إلى سواء السَّبيل.

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية (٣/ ٦).

(٢) الزُّهد والرَّقائق، لابن المبارك (ص: ١٠٣).

الخـاتمـة

وتشتمل على:

أولًا: النَّتائـج.

ثانيًا: التَّوصيات.

الخــاتمــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصَّالحات، أحمدك يا ربي حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، ملء السَّموات وملء الأرض وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد، والصَّلاة والسَّلام على حبيبنا ومهجة قلوبنا سيدنا محمد عليه أفضل الصَّلاة وأتم التَّسليم، أما بعد:

فهذه أبرز النَّتائج والتَّوصيات التي توصل إليها الباحث من خلال هذه الدِّراسة، على النَّحو التَّالي:

أولًا: أهم النَّتائج:

١- للمؤمن أعداء كُثر، ينبغي عليه الحذر منهم، وإعداد العُدة الإيمانية والزَّاد الرَّوحاني لمواجهتهم والتَّغلب عليهم.

٢- ورود لفظة العَدَاوة في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، إنما يدل على أهمية هذا الموضوع القرآني، ووجوب الالتفات إلى حقيقة هؤلاء الأعداء.

٣- إنَّ معنى العَدَاوة لغةً واصطلاحًا متقارب جدًا، فالعَدَاوة تعني التَّجاوز والتَّباعد وعدم الوئام، وتحمل معنى الكراهية والخِصام.

٤- يعدُّ الشَّيطان من أعداء المؤمن البارزين، ويدخل في عَدَاوته شياطين الإنس التي لا تقل خطورة عن عَدَاوة شياطين الجِن.

٥- الكُفار من ألدِّ أعداء المؤمنين وأكثرهم حقدًا عليهم، فهم كفروا بالله ﷻ وسَعوا في الأرض فسادًا، فمعاداتهم والبَراءة منهم من فرائض هذا الدِّين.

٦- أهل الكتاب من اليهود وبعض النَّصارى، يدخلون في أعداء المؤمن، فاليهود يحسدون المؤمنين ويبغضونهم، والنَّصارى ينقسمون إلى قسمين: قسم يبغض المؤمنين ويُعاديهم، وقسم قريب منهم يحبهم ولا يُعاديهم.

٧- المنافقون من أخطر أعداء المؤمن، وتكمن خطورتهم في إخفاء عَدَاوتهم وحقدهم على الإسلام والمسلمين، فالمنافق يُظهر خلاف ما يُبطن، وهذا ما يستدعي مزيدًا من الحذر واليقظة والانتباه.

٨- النَّفس الخبيثة من الأعداء الأكثر خطورة وتأثيرًا على المؤمن، فهي تأمره بالسُّوء والفحشاء؛ لذلك ينبغي عليه أن يؤدبها ويحفظها من الوقوع في الزَّلل.

٩- آفات النُّفوس كثيرة ومتعددة، من أبرزها: الغفلة، والهوى، والكِبْر، واللسان، والرِّياء، والحسد، والغضب، والعَجلة.

١٠- الأصل في العلاقة الزَّوجية المودة والرَّحمة، ولكن إن كان الأزواج سببًا في الصَّد عن سبيل الله ﷻ، فعندها لا بد من إدراجهم في قائمة الأعداء، الواجب الحذر منهم، وهذا النَّوع من الأعداء قد لا يلتفت إليه الكثير، بحكم العاطفة أو العلاقة الزَّوجية؛ لذلك لا بد من التَّأمل جيدًا في هذه العَدَاوة.

١١- الأولاد من أقرب النَّاس إلى آبائهم وأحبهم إلى قلوبهم، ولكن حينما يكونوا سببًا في شقاء آبائهم، فلا بد من اتِّخاذ موقف مغاير منهم، قربةً إلى الله ﷻ.

١٢- التَّغيير يبدأ من الدَّاخل، فيجب على كل مؤمن أن يغير ما بنفسه، وأن يُصلح ما بينه وبين الله ﷻ أولًا، وأن يبدأ بتغيير سلوكياته ومفاهيمه، فالله ﷻ لا يغير ما بقوم حتى يُغيروا ما بأنفسهم، فإذا أردنا أن يَصلح حال أُمتنا فلا بد من التَّمسك بكتاب ﷻ وسنة نبيه ﷺ ففيهما النَّجاة والخَلاص.

١٣- الصُّحبة الصَّالحة زادٌ للمرء في حياته، فقد يؤثر الصَّاحب على صاحبه أكثر من تأثير أبيه عليه.

١٤- رُفقاء السُّوء يؤثرون على سلوك المؤمن تأثيرًا كبيرًا، فيُحاولون إفساد أخلاقه وطباعه الحسنة، فعَدَاوتهم تتمثل في نشر الرَّذيلة والفساد في المجتمع.

١٥- للمؤمن أعداء في الدَّاخل وهم الشَّيطان والنَّفس، وله أعداء في الخارج وهم الكُفار والمنافقون وأهل الكتاب وبعض الأزواج والأولاد والأخلاء الأشرار، فيجب عليه أن يتغلب على أعدائه في الدَّاخل أولًا؛ كي يستطيع مواجهة الأعداء الذين في الخارج، وكل هذا يحتاج إلى وقفة محاسبة جادة مع النَّفس لترتيب الأوراق والأوليات، فهذه الدُّنيا فانية لا تُساوي عند الله ﷻ جناح بعوضة.

١٦- اتِّباع الأعداء له عواقب وخيمة وخطيرة على الفرد والمجتمع، في الدُّنيا والآخرة، منها: قلة التَّوفيق والشَّقاء والخُسران في الدُّنيا، والعذاب الشَّديد في الآخرة.

١٧- ضرورة اتِّخاذ سُبل الوقاية من الأعداء؛ كي يقي المؤمن نفسه من الوقوع في شباكهم، وأن يعمل على اتِّباع طُرق العلاج في حال تأثره بأي عدو منهم.

١٨- ضرورة الرُّجوع إلى الكتاب والسُّنة النَّبوية؛ لإيجاد سُبل الوقاية وطُرق العلاج من الأعداء، ففيهما فيض من الطُّرق والسُّبل لا يَنضب.

١٩- من أهم سُبل الوقاية من الأعداء، التَّحلي بتقوى ﷻ، والمداومة على الأذكار، وقراءة القرآن، والحفاظ على وحدة المسلمين، وتقوية أواصر المحبة والمودة،

والاتِّحاد في وجه الأعداء، لتكون الجبهة الدَّاخلية قوية متماسكة أمام كيد ومؤامرات الحاقدين والمتربصين بالإسلام وأهله.

٢٠- من أبرز وسائل الوقاية حُسن اختيار الزَّوجة، والتَّركيز على اختيار صاحبة الدِّين والخُلق، والعناية باختيار الصُّحبة الصَّالحة.

٢١- يلعب الجهاد في سبيل الله ﷻ دورًا بارزًا في التَّخلص من الأعداء، فبالجهاد تُرفع راية التَّوحيد، وتُكسر شوكة الكُفر والكافرين.

٢٢- الاستعاذة حرزٌ من الشَّيطان الرَّجيم، وحفظٌ من كيد الكائدين والحاسدين، وفيها اعتصام بالله ﷻ من شرور كثيرة، حري بكل مؤمن أن يتحصن بها، ففيها الخير والبركة.

٢٣- يُعدُّ الإعلام وسيلة من وسائل العلاج المؤثرة في تغيير وتوجيه الفِكر والثَّقافة لدى النَّاس، وتصحيح الكثير من المفاهيم والسُّلوكيات، والتَّخلص من الأعداء.

٢٤- يجب على كل ولي أمر أن يهتم بأهله وأولاده ومن يعول، فهم أمانة في عنقه سيسأل عنهم يوم القيامة، فيجب تربيتهم تربية صالحة على موائد القرآن الكريم، ليكونوا له سندًا وذخرًا في الدُّنيا والآخرة.

ثانيًا: التَّوصيات:

١- أُوصي طلبة العلم والباحثين بإفراد كل عدو من الأعداء في دراسة مستقلة، لما في ذلك من فائدة مهمة وتتمة لهذا البحث.

٢- إقامة النَّدوات والمحاضرات التي تتحدث عن هؤلاء الأعداء؛ لبيان خطورتهم على المؤمنين، وسبل الوقاية منهم.

٣- تكثيف الجهود أفرادًا وجماعات لمحاربة الأعداء، بكل ما أوتينا من قوة على جميع المستويات؛ لحماية الأمة الإسلامية من شرورهم وكيدهم.

٤- العناية بوسائل الإعلام المختلفة وتوجيهها نحو الاتجاه الصَّحيح؛ لتعزيز الفضيلة والأخلاق والقيم.

٥- إقامة الأيام الدِّراسية التي تتناول الأبحاث المتعلقة بالموضوعات القرآنية؛ لما في ذلك من نفع على الأفراد والمجتمع، وتشجيع لطلاب العلم الشَّرعي.

وأخيرًا ما كان من توفيق فمن الله ﷻ وحده، وما كان من تقصير فمن نفسي ومن الشَّيطان، وأسأل الله ﷻ أن يكون هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يتقبله مني، وأن يتجاوز عن زلتي وتقصيري، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تم بحمد الله

الفهارس العامة

وتشتمل على:

أولًا: فهرس الآيات القرآنية.

ثانيًا: فهرس أطراف الأحاديث النَّبوية.

ثالثًا: فهرس الأعلام المُترجم لهم.

رابعًا: فهرس المصادر والمراجع.

أولًا: فهرس الآيات القرآنية

م	الآية	رقمها	الصَّفحة
	سورة البقرة		
١-	﴿ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾	٢	١٣٤
٢-	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللهِ وَبِاليَوْمِ الآَخِرِ...﴾	٨	٧٢
٣-	﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ...﴾	٩	٧٧
٤-	﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا...﴾	١٤	٣٧، ٤١، ٧٣
٥-	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ...﴾	٣٤	٣٨
٦-	﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ﴾	٣٥	١٠١
٧-	﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾	٧٩	٥٨
٨-	﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ...﴾	٨٧	٦٢
٩-	﴿أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	١٠٠	٦٥
١٠-	﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ...﴾	١٠٥	٥٢، ٦٤
١١-	﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ...﴾	١٠٩	٦٤
١٢-	﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى...﴾	١١١	٦٩
١٣-	﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ اليَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ...﴾	١٢٠	٦٨، ١٢٣

م	الآية	رقمها	الصَّفحة
١٤-	﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا العَذَابَ...﴾	١٦٦	١٢٨
١٥-	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا...﴾	١٦٨	٤٣
١٦-	﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ... ﴾	١٩١	٥١
١٧-	﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾	١٩٧	١٣٥
١٩-	﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا...﴾	٢١٧	٥٠، ١٢٢
٢٠-	﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾	٢٣٥	٨٢
٢١-	﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾	٢٥٥	١٣٩
	سورة آل عمران		
٢٢-	﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾	٢	٥٩
٢٣-	﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ... وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ...﴾	٣٠	٨٢، ١٢١، ١٥٦
٢٤-	﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾	٣٦	٤١، ١٣٩
٢٥-	﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ﴾	٦٤	٥٩
٢٦-	﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ...﴾	٧٢	٦٥
٢٧-	﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ ...﴾	٧٨	٥٨
٢٨-	﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ ...﴾	١٠٣	١٤١

م	الآية	رقمها	الصَّفحة
٢٩-	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ...﴾	١١٠	٧٤
٣٠-	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ... ﴾	١١٨	٧٧
٣١-	﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ... ﴾	١٢٠	١٣٦
٣٢-	﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ...﴾	١٣٣	٩٦
٣٣-	﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ...﴾	١٣٤	٩٥
٣٤-	﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ...﴾	١٣٥	٨٤
٣٥-	﴿لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ...﴾	١٨١	٦٢
	سورة النِّساء		
٣٦-	﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ ...... فَإِنْ لَمْ يَكُنْ...﴾	١١	١٠٢
٣٧-	﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللهِ نَصِيرًا﴾	٤٥	٣٦
٣٨-	﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ...﴾	٥٤	٩٢
٣٩-	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ...﴾	٦١	٧٣
٤٠-	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ...﴾	٧١	١٤٨
٤١-	﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا...﴾	٧٦	٤٥، ٥١، ١٥١

الصَّفحة	رقمها	الآية	م
٤٨	١٠١	﴿إِنَّ الكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾	٤٢-
١٢٣	١١٩	﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ...﴾	٤٣-
٣٢	١٢٥	﴿وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾	٤٤-
٧٦، ١٢٧	١٣٨	﴿بَشِّرِ المُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾	٤٥-
٩١	١٤٢	﴿إِنَّ المُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ...﴾	٤٦-
١٢٧	١٤٤	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الكَافِرِينَ...﴾	٤٧-
٧٢، ٧٧	١٤٥	﴿إِنَّ المُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ...﴾	٤٨-
٦٣	١٥٥	﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ...﴾	٤٩-
		سورة المائدة	
٦٦	١٣	﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ... ﴾	٥٠-
٦٧	١٤	﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا...﴾	٥١-
٩٣	٢٧	﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ... ﴾	٥٢-
٩٣	٣٠	﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾	٥٣-
٦١	٥١	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ...﴾	٥٤-
٢٦، ٦٢	٦٤	﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ... وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ﴾	٥٥-
٥٦، ٥٩، ٦٧	٨٢	﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا اليَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا...﴾	٥٦-

م	الآية	رقمها	الصَّفحة
٥٧-	﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ... ﴾	٩١	١٢٥
	سورة الأنعام		
٥٨-	﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ...﴾	٦٨	١١٦
٥٩-	﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾	٩٣	٨٢
٦٠-	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالجِنِّ...﴾	١١٢	٤١
٦١-	﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا...﴾	١٥٦	٥٩
	سورة الأعراف		
٦٢-	﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ...﴾	١٢	٣٨
٦٣-	﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	١٦	٤٠
٦٤-	﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ...﴾	٢٦	١٣٤
٦٥-	﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ﴾	١٤٦	٨٧
٦٦-	﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ...﴾	١٧٩	٨٤
٦٧-	﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِالله إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	٢٠٠	١٤٩
٦٨-	﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ...﴾	٢٠١	١٣٥
	سورة الأنفال		
٦٩-	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ الله...﴾	٣٦	٥٢، ١٢٦

م	الآية	رقمها	الصَّفحة
٧٠-	﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾	٤٠	٣٠
٧١-	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ...﴾	٤٥	١٤٠
٧٢-	﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا...﴾	٤٦	١٤٢
٧٣-	﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ...﴾	٥٨	٦٥
٧٤-	﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ...﴾	٦٠	١٤٧
	سورة التَّوبة		
٧٥-	﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾	١٠	٥٠
٧٦-	﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ...﴾	٢٠	١٤٦
٧٧-	﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ...﴾	٢٤	١٠٥
٧٨-	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ﴾	٣٠	٦٢
٧٩-	﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ﴾	٤٠	٢٨
٨٠-	﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ ...﴾	٤٦	٧٨
٨١-	﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا﴾	٥١	٥٨
٨٢-	﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ...﴾	٦٧	٧٤
٨٣-	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ...﴾	٧٣	٧٧، ١٤٧
٨٤-	﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ...﴾	١١١	١٤٦

م	الآية	رقمها	الصَّفحة
	سورة يونس		
٨٥-	﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ...﴾	١١	٩٧
٨٦-	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ...﴾	٥٠	٩٧
	سورة هود		
٨٧-	﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا...﴾	٦	٩٢
٨٨-	﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾	٤٠	٥٧
٨٩-	﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾	٤٦	٥٧
	سورة يوسف		
٩٠-	﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ...﴾	٥٣	٨٢، ١٥٥
	سورة الرَّعد		
٩١-	﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾	٢٨	١٢٢، ١٣٧
	سورة إبراهيم		
٩٢-	﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَق...وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ... إِنِّي كَفَرْتُ﴾	٢٢	٤٩، ١٣٠
٩٣-	﴿مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾	٤٩	٢٩
	سورة الحجر		

م	الآية	رقمها	الصَّفحة
٩٤-	﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾	٣٤	٤٠
٩٥-	﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾	٣٩	٤٥
٩٦-	﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾	٤٣	٤٠
	سورة النَّحل		
٩٧-	﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ زِدْنَاهُمْ...﴾	٨٨	٥٢
٩٨-	﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾	٩٨	١٤٩
٩٩-	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ...﴾	١٠٨	٨٤
	سورة الإسراء		
١٠٠-	﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ...﴾	٩	٥٦
١٠١-	﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾	١١	٩٦
١٠٢-	﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ...﴾	٦٢	٣٩
١٠٣-	﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾	٦٣	١٢٦
١٠٤-	﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾	٩٩	٤٨
	سورة الكهف		
١٠٥-	﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾	١	٥٧
١٠٦-	﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ	٢٨	١١٤

م	الآية	رقمها	الصَّفحة
	وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ... وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا...﴾		
١٠٧-	﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا...﴾	١١٠	٩٠
	سورة مريم		
١٠٨-	﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾	٦٨	١٢٦
	سورة طه		
١٠٩-	﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ...﴾	١١٧	١٢٤
١١٠-	﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾	١٢٣	١٢٢
	سورة الأنبياء		
١١١-	﴿خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾	٣٧	٩٦
	سورة الحج		
١١٢-	﴿يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ المَوْلَى...﴾	١٣	٣٣
١١٣-	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى...﴾	٥٢	١٤٩
١١٤-	﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾	٧٨	١٥٣
	سورة المؤمنون		
١١٥-	﴿مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾	٢٧	١٠١
١١٦-	وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾	٩٨	١٤٩

م	الآية	رقمها	الصَّفحة
	سورة النُّور		
١١٧-	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ...﴾	٢١	٤٣
	سورة الفرقان		
١١٨-	﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾	٢٣	٦٨
١١٩-	﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ...﴾	٢٧	١١٠، ١٢٨، ١٤٥
	سورة القصص		
١٢٠-	﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾	٩	١٠٢
	سورة العنكبوت		
١٢١-	﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ...﴾	٢٥	١٠٩
١٢٢-	﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ...﴾	٤٥	١٣٧
١٢٣-	﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا...﴾	٦٩	١٥٤
	سورة الرُّوم		
١٢٤-	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا...﴾	٢١	٣١، ١٠٠
	سورة الأحزاب		
١٢٥-	﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾	٣٣	٥٧
١٢٦-	﴿وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾	٣٥	١٤١

م	الآية	رقمها	الصَّفحة
١٢٧-	﴿إِنَّ اللهَ لَعَنَ الكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾	٦٤	٥٤
١٢٨-	﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا...﴾	٦٦	١١٠
	سورة سبأ		
١٢٩-	﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ فِي العَذَابِ وَالضَّلَالِ البَعِيدِ﴾	٨	١٢٩
	سورة فاطر		
١٣٠-	﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا...﴾	٦	٣٩
	سورة يس		
١٣١-	﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾	٦	٨٥
١٣٢-	﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالغَيْبِ...﴾	١١	٨٥
	سورة الصَّافات		
١٣٣-	﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾	٥١	٢٩
١٣٤-	﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾	٦٥	٣٦
	سورة ص		
١٣٥-	﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا المِحْرَابَ﴾	٢١	٣٦
١٣٦-	﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ...﴾	٢٦	٨٥، ١٢٤

م	الآية	رقمها	الصَّفحة
	سورة الزُّمر		
١٣٧-	﴿قُلْ إِنَّ الخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ...﴾	١٥	١٥٦
١٣٨-	﴿وَيَوْمَ القِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ...﴾	٦٠	٨٧، ١٢٧
١٣٩-	﴿وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ...﴾	٦١	١٣٥
	سورة غافر		
١٤٠-	﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾	٣٥	٨٧
١٤١-	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾	٦٠	١٢٧
١٤٢-	﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾	٧٣	١٢٩
	سورة فصِّلت		
١٤٣-	﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ...﴾	٢٥	١١٣
١٤٤-	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا...﴾	٢٩	١١٨
١٤٥-	﴿وَلَا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾	٣٤	٩٦
١٤٦-	﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾	٣٦	١٥١
	سورة الشُّورى		
١٤٧-	﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ...﴾	٣٧	٩٤
١٤٨-	﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾	٤٠	١٢١

م	الآية	رقمها	الصَّفحة
	سورة الزُّخرف		
١٤٩-	﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا...﴾	٣٦	١١٣، ١٣٩
١٥٠-	﴿الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾	٦٧	١٠٨، ١٠٩، ١٤٥
	سورة الجاثية		
١٥١-	﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ...﴾	٢٣	٨٦
	سورة محمد		
١٥٢-	﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ...﴾	٣٠	٧٥
	سورة الفتح		
١٥٣-	﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾	٢٩	٤٩
	سورة الحجرات		
١٥٤-	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا...﴾	٦	٩٧
١٥٥-	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ...﴾	١٢	٨٩
	سورة ق		
١٥٦-	﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾	١٨	٨٨
١٥٧-	﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾	٢٣	٢٩
١٥٨-	﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾	٢٤	٤٨

م	الآية	رقمها	الصَّفحة
	سورة الذَّاريات		
١٥٩-	﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾	٢٢	٩٢
	سورة الرَّحمن		
١٦٠-	﴿وَخَلَقَ الجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾	١٥	٣٧
١٦١-	﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ﴾	٦٠	١٢١
	سورة الحديد		
١٦٢-	﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا...﴾	٢١	٩٦
	سورة المجادلة		
١٦٣-	﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُولَئِك...﴾	١٩	١٤٠
١٦٤-	﴿كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾	٢١	٥٨
١٦٥-	﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ يُوَادُّونَ..﴾	٢٢	١٠٥
	سورة الحشر		
١٦٦-	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ...﴾	١٨	١٣٤
	سورة الممتحنة		
١٦٧-	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ...﴾	١	٤٨
١٦٨-	﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ...﴾	٢	٥٢

م	الآية	رقمها	الصَّفحة
	سورة المنافقون		
١٦٩-	﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ...﴾	١	٧٣
١٧٠-	﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ...﴾	٤	٧١
١٧١-	﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ...﴾	٧	٧٥
١٧٢-	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ...﴾	٩	١٠٣، ١٠٤، ١٢٤، ١٤٠
	سورة التَّغابن		
١٧٣-	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ...﴾	١٤	١٠٠، ١٠٢، ١٢٤، ١٤٤
١٧٤-	﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ...﴾	١٥	١٠٤
	سورة الطَّلاق		
١٧٥-	﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾	٢	١٣٤
	سورة القلم		
١٧٦-	﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾	٣٤	١٣٥
	سورة الحاقة		
١٧٧-	﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾	١٨	١٥٦
	سورة الجن		

م	الآية	رقمها	الصَّفحة
١٧٨-	﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾	٣	٢٨
	سورة القيامة		
١٧٩-	﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾	٢	٨٢
١٨٠-	﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى﴾	٣٩	١٠١
	سورة النَّازعات		
١٨١-	﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى...﴾	٤٠	٨٥، ١٣٧
	سورة الشَّمس		
١٨٢-	﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾	٧	٨٢
	سورة الزَّلزلة		
١٨٣-	﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾	٨	١٢١
	سورة الماعون		
١٨٤-	﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾	٤	٩١
	سورة الفلق		
١٨٥-	﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾	٥	٩٣

ثانيًا: فهرس أطراف الأحاديث النَّبوية

م	طرف الحديث	مصدر الحديث	الحكم على الحديث	الصَّفحة
١-	"أَتَاكُمْ رَمَضَانُ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، فَرَضَ اللَّهُ ﷻ..."	سنن النَّسائي	صحيح	٤٢
٢-	"أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟" قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَن..."	صحيح مسلم	صحيح	١٢٨
٣-	"إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ..."	صحيح مسلم	صحيح	٤٢
٤-	"إِذَا فَزِعَ أَحَدُكُمْ فِي النَّوْمِ فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ..."	سنن التِّرمذي	حسن	١٥٠
٥-	"أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا..."	صحيح البخاري	صحيح	٧٨
٦-	"الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ..."	صحيح البخاري	صحيح	١٠٨
٧-	"افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي..."	سنن ابن ماجه	إسناده جيد	١٤١
٨-	"أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟..."	سنن التِّرمذي	حسن	٨٩
٩-	"أَمَا إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ، وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ..."	صحيح البخاري	صحيح	١٣٩
١٠-	"إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ... "	صحيح البخاري	صحيح	٨٨
١١-	"أنَّ رجلًا قال للنَّبي ﷺ: أوصني، قال: "لا تغضب..."	صحيح البخاري	صحيح	٩٤
١٢-	"أَنَّ يَهُودَ بَنِي النَّضِيرِ، وَقُرَيْظَةَ، حَارَبُوا رَسُولَ اللهِ..."	صحيح مسلم	صحيح	١٤٨
١٣-	"إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى..."	صحيح البخاري	صحيح	٩٠
١٤-	"أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ..."	صحيح البخاري	صحيح	١١٣
١٥-	"أَهْدَى إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ حُلَّةَ سِيَرَاءَ، فَلَبِسْتُهَا..."	صحيح البخاري	صحيح	٩٥
١٦-	"أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: "إِيمانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ..."	صحيح البخاري	صحيح	١٤٦

م	طرف الحديث	مصدر الحديث	الحكم على الحديث	الصَّفحة
١٧-	"بَيْنَمَا نَحْنُ فِي المَسْجِدِ، خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ..."	صحيح البخاري	صحيح	٦٦
١٨-	"تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا..."	صحيح مسلم	صحيح	١٤٤
١٩-	"ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ..."	صحيح البخاري	صحيح	٥٤
٢٠-	"جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ حَمِيَّةً..."	صحيح البخاري	صحيح	٩١
٢١-	"خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ الْمَسِيحَ..."	سنن ابن ماجه	حسن	٩١
٢٢-	"الخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ..."	صحيح البخاري	صحيح	١٤٨
٢٣-	"الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ..."	سنن التِّرمذي	حسن	٣٢، ١١٢
٢٤-	"سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ..."	سنن التِّرمذي	حسن	٨٨
٢٥-	الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ..."	صحيح مسلم	صحيح	٨٧
٢٦-	"كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَهُمْ، أَمَرَهُمْ مِنَ الأَعْمَالِ..."	صحيح البخاري	صحيح	٩٥
٢٧-	"كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُعْتَكِفًا فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلًا..."	صحيح البخاري	صحيح	٤٤
٢٨-	"كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ، وَيَقُولُ: إِنَّ أَبَاكُمَا..."	صحيح البخاري	صحيح	١٥١
٢٩-	"كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ..."	صحيح البخاري	صحيح	١١٥
٣٠-	"كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَرَجُلاَنِ يَسْتَبَّانِ..."	صحيح البخاري	صحيح	١٥٠
٣١-	"لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا..."	صحيح البخاري	صحيح	٩٢
٣٢-	"لَا تَبْدَءُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ..."	صحيح مسلم	صحيح	٦٢

م	طرف الحديث	مصدر الحديث	الحكم على الحديث	الصَّفحة
٣٣-	"لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا..."	صحيح مسلم	صحيح	١٤١
٣٤-	"لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ..."	صحيح مسلم	صحيح	٦٠
٣٥-	"لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ..."	صحيح مسلم	صحيح	٣٩، ٨٧
٣٦-	"لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِن..."	صحيح مسلم	صحيح	١٢٧
٣٧-	"لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ..."	صحيح مسلم	صحيح	١٣٧
٣٨-	"لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ..."	صحيح مسلم	صحيح	١٣٣
٣٩-	"لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا..."	صحيح البخاري	صحيح	٣٢
٤٠-	"لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ..."	صحيح البخاري	صحيح	٩٤
٤١-	"مَا حَسَدَتْكُمُ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ، مَا حَسَدَتْكُمْ..."	سنن ابن ماجه	صحيح	٦٥
٤٢-	"مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا وَالشَّيْطَانُ يَمَسُّهُ..."	صحيح البخاري	صحيح	٤١، ١٣٩
٤٣-	"مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ..."	صحيح مسلم	صحيح	٤١
٤٤-	"مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ..."	صحيح البخاري	صحيح	١١٢
٤٥-	"مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ..."	صحيح مسلم	صحيح	١٤٣
٤٦-	"الْمُجَاهِدُ مِنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ"	سنن التِّرمذي	صحيح	١٥٤
٤٧-	"مَرَّ يَهُودِيٌّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..."	صحيح البخاري	صحيح	٦٢

م	طرف الحديث	مصدر الحديث	الحكم على الحديث	الصَّفحة
٤٨-	"مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ..."	صحيح البخاري	صحيح	٩٠
٤٩-	"مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ..."	سنن أبي داود	حسن	٩٥
٥٠-	"مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ لاَ يَشْكُرُ اللَّهَ"	سنن التِّرمذي	صحيح	ح
٥١-	"مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ... "	صحيح البخاري	صحيح	٨٨
٥٢-	"نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ..."	صحيح البخاري	صحيح	١١٥
٥٣-	"وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ..."	صحيح مسلم	صحيح	٦٩
٥٤-	"وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي..."	صحيح البخاري	صحيح	١٣٨
٥٥-	"يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ..."	صحيح مسلم	صحيح	١٥٠
٥٦-	"يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ..."	سنن التِّرمذي	صحيح	١٤٠
٥٧-	"يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ..."	صحيح البخاري	صحيح	٩٧

ثالثًا: فهرس الأعلام المُترجم لهم

م	العَلَم	الصَّفحة
١-	أَبُو أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي.	٣١
٢-	أحمد بن محمد بن المهدي "ابن عجيبة".	١١٦
٣-	جمال الدِّين القاسمي.	٩٥
٤-	الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري.	١١
٥-	الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي.	٥٧
٦-	سليمان بن صرد بن الجون بن أبي الجون.	١٥٠
٧-	عبد الله بْن بُسر المازني.	١٤٠
٨-	عثمان بن أَبِي العاص بن بشر.	١٥٠
٩-	عروة بْن الجعد البارقي.	١٤٨
١٠-	علي بن سلطان محمد، نور الدِّين المُلَّا الهروي القاري.	٤٣
١١-	علي بن محمد بن علي الجرجاني.	١١
١٢-	عوف بْن مَالِك بْن أَبِي عوف الأشجعي.	١٤١
١٣-	محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرَّازي.	٣١
١٤-	محمد بن الحسن بن دُريد الأزدي "أبو بكر".	١٠١
١٥-	محمد بن محمد بن مصطفى "أبو السُّعود".	٥٩
١٦-	المُسيب بن حزن بن أبي وهب بن عَمْرو بن عائذ.	١١٣

١٧-	معاذ بن أنس الجهني.	٩٥
١٨-	النُّعمان بْن بشير بْن سعد بْن ثَعْلَبَة الأنصاري.	١٤٣

رابعًا: فهرس المصادر والمراجع

أ.

١. "**إحياء علوم الدِّين**"، للغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت: ٥٠٥هـ)، دار المعرفة – بيروت.

٢. "**إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**"، **المسمى بـ: تفسير أبي السُّعود**، لأبي السُّعود، محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التُّراث العربي – بيروت.

٣. "**أسد الغابة في معرفة الصَّحابة**"، لابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد (ت: ٦٣٠هـ)، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطَّبعة الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

٤. "**الاستيعاب في معرفة الأصحاب**"، لابن عبد البر القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل – بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

٥. "**الإصابة في تمييز الصحابة**"، لابن حجر، أحمد بن علي (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، على محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٦. "**الأعلام**"، للزركلي، خير الدِّين بن محمود (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطَّبعة الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢م.

٧. "**أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل**"، للبيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرَّحمن المرعشلي، دار إحياء التُّراث العربي – بيروت، الطَّبعة الأولى – ١٤١٨هـ.

٨. "**أهل الكتاب في القرآن الكريم**"، للأستاذ الدُّكتور: رياض قاسم، والباحث: بهاء زعرب، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م.

٩. "**أيسر التَّفاسير لكلام العلي الكبير**"، لأبي بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر، النَّاشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، المملكة العربية السُّعودية، الطَّبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

- ب -

١٠. "**البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**"، لابن عَجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي (ت: ١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، النَّاشر: الدُّكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطَّبعة ١٤١٩هـ.

١١. "**بدائع الفوائد**"، لابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (ت: ٧٥١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.

١٢. "**بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار**"، للسعدي، أبو عبد الله عبد الرَّحمن بن ناصر (ت: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الكريم بن رسمي ال الدّريني، دار النَّشر: مكتبة الرُّشد للنشر والتَّوزيع، الطَّبعة الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

- ت -

١٣. "**التَّحرير والتَّنوير**" "**تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**"، لابن عاشور، محمد الطَّاهر بن محمد (ت : ١٣٩٣هـ)، الدار التُّونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ.

١٤. "**تحفة الأحوذي بشرح جامع التِّرمذي**"، للمباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (ت: ١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت.

١٥. "**التَّعريفات**"، للجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت: ٨١٦هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف النَّاشر، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطَّبعة الأولى، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

١٦. "**تفسير الجلالين**"، جلال الدِّين محمد بن أحمد المحلي (ت: ٨٦٤هـ) وجلال الدِّين عبد الرَّحمن بن أبي بكر السَّيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الحديث – القاهرة، الطَّبعة الأولى.

١٧. "**تفسير الشَّعراوي – الخواطر**"، محمد متولي الشَّعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، النَّاشر: مطابع أخبار اليوم.

١٨. "**تفسير القرآن الحكيم**" **المسمى بـ:** "**تفسير المنار**"، لمحمد رشيد بن علي رضا (ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.

١٩. "**تفسير القرآن العظيم**"، لابن كثير، أبي الفداء إسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتَّوزيع، الطَّبعة الثَّانية، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٢٠. "**التَّفسير القرآني للقرآن**"، للخطيب، عبد الكريم بن يونس (ت: بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي – القاهرة.

٢١. "**تفسير الماوردي**" "**النُّكت والعيون**"، للماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد (ت: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السَّيد ابن عبد المقصود بن عبد الرَّحيم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان.

٢٢. "**تفسير المراغي**"، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، النَّاشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطَّبعة الأولى، ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م.

٢٣. "**التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج**"، د: وهبة بن مصطفى الزُّحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، الطَّبعة الثَّانية ، ١٤١٨هـ.

٢٤. "**تفسير النَّسفي**" "**مدارك التَّنزيل وحقائق التَّأويل**"، للنسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود (ت: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدِّين ديب مستو، دار الكلم الطَّيب – بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٢٥. "**التفسير الوسيط للزحيلي**"، د: وهبة بن مصطفى الزُّحيلي، دار الفكر – دمشق، الطَّبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٦. "**التَّفسير الوسيط للقرآن الكريم**"، لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، النَّاشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطَّبعة الأولى، (١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م) – (١٤١٤هـ = ١٩٩٣م).

٢٧. "**التَّفسير الوسيط للقرآن الكريم**"، لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، الفجالة – القاهرة، الطَّبعة الأولى، تاريخ النَّشر للأجزاء ما بين ١٩٩٧– ١٩٩٨م.

٢٨. "**تهذيب اللغة**"، للأزهري، محمد بن أحمد الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، الطَّبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٢٩. "**التَّوقيف على مهمات التَّعاريف**"، للمناوي، زين الدِّين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي (ت: ١٠٣١هـ)، عالم الكتب – القاهرة، الطَّبعة الأولى، ١٤١٠هـ– ١٩٩٠م.

٣٠. "**تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان**"، للسعدي، عبد الرَّحمن بن ناصر (ت: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرَّحمن بن معلا اللويحق، النَّاشر: مؤسسة الرِّسالة، الطَّبعة الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م.

- ج -

٣١. "**جامع البيان في تأويل القرآن**"، للطبري، محمد بن جرير(ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرِّسالة، الطَّبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٣٢. "**الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**"، **المسمى بـ:** "**صحيح البخاري**"، للبخاري، محمد بن إسماعيل، دار طوق النَّجاة، الطَّبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣٣. "**جهاد الأعداء ووجوب التَّعاون بين المسلمين**"، لعبد الرَّحمن بن ناصر السَّعدي، دار ابن القيم – السُّعودية، طبعة جديدة، ١٤١١هـ– ١٩٩١م.

٣٤. "**جمهرة اللغة**"، لابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٩٨٧م.

٣٥. "**الجواب الصَّحيح لمن بدل دين المسيح**"، لابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السَّلام (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: علي بن حسن، عبد العزيز بن إبراهيم، حمدان بن محمد، دار العاصمة –السُّعودية، الطَّبعة الثَّانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

- ذ -

٣٦. "**ذم الهوى**"، لابن الجوزي، جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مراجعة: محمد الغزالي.

- ر -

٣٧. "**روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**"، لابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، تحقيق: محمد محي الدِّين عبد الحميد، دار الكتب العلمية – بيروت.

- ز -

٣٨. "**زاد المسير في علم التَّفسير**"، لابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرَّزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤٢٢هـ.

٣٩. "**زاد المعاد في هدي خير العباد**"، لابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: ٧٥١هـ)، مؤسسة الرِّسالة – بيروت، مكتبة المنار الإسلامية – الكويت، الطَّبعة السَّابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٤٠. "**الزُّهد والرقائق لابن المبارك**"، أبو عبد الرَّحمن عبد الله بن المبارك (ت: ١٨١هـ)، تحقيق: حبيب الرَّحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية – بيروت.

٤١. "**زهرة التَّفاسير**"، لأبي زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى (ت: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي.

ـ س ـ

٤٢. "**السُّنن الصُّغرى**"، **المسمى بـ: المجتبى على السنن**"، للنسائي، أبو عبد الرَّحمن أحمد ابن شعيب (ت: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطَّبعة الثَّانية، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

٤٣. "**سلسلة الأحاديث الصَّحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**"، للألباني، أبو عبد الرَّحمن محمد ناصر الدِّين (ت: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتَّوزيع – الرِّياض، الطَّبعة الأولى، **١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م**.

٤٤. "**سنن ابن ماجه**"، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

٤٥. "**سنن أبي داود**"، للسِّجِستاني، سليمان بن الأشعث (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدِّين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

٤٦. "**سنن التِّرمذي**"، للترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي ، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطَّبعة الثَّانية، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

٤٧. "**سورة الكهف منهجيات في الإصلاح والتَّغيير** "**دراسة تأصيلية تطبيقية**"، لصلاح سلطان، سلطان للنَّشر – الولايات المتحدة الأمريكية، الطَّبعة الأولى، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

ـ ش ـ

٤٨. "**شرح رياض الصالحين**"، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، دار الوطن للنَّشر – الرِّياض، ١٤٢٦هـ.

٤٩. "**شرح صحيح البخاري**" لابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرُّشد، السُّعودية، الرِّياض، الطَّبعة الثَّانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

٥٠. **الشَّيطان خطواته وغاياته "دراسة قرآنية موضوعية"**، لوائل عمر علي بشير، ٢٠٠٥م.

ـ ص ـ

٥١. "**الصِّحاح تاج اللغة وصحاح العربية**"، للجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطَّبعة الرَّابعة، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.

٥٢. "**صحيح وضعيف سنن أبي داود**"، للألباني، محمد ناصر الدِّين الألباني، إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسُّنة – الإسكندرية.

٥٣. "**صحيح وضعيف سنن ابن ماجه**"، للألباني، محمد ناصر الدِّين الألباني، إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسُّنة – الإسكندرية.

٥٤. "**صحيح وضعيف سنن التِّرمذي**"، للألباني، محمد ناصر الدِّين الألباني، إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسُّنة – الإسكندرية.

٥٥. "**صحيح وضعيف سنن النَّسائي**"، للألباني، محمد ناصر الدِّين الألباني، إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة – الإسكندرية.

٥٦. "**صفوة التَّفاسير**"، للصابوني، محمد علي، دار الصَّابوني للطباعة والنَّشر والتَّوزيع – القاهرة، الطَّبعة الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

ـ ع ـ

٥٧. "**العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، ٢٠٠٨/١٢/٢٧ – ٢٠٠٩/١/١٨**"، إعداد قسم الأرشيف والمعلومات – مركز الزَّيتونة للدِّراسات والاستشارات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

٥٨. "**العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة عملية "العصف المأكول – عملية الجرف الصَّامد ٢٠١٤/٧/٧م – ٢٠١٤/٨/٢٦م**"، إعداد قسم الأرشيف والمعلومات – مركز الزَّيتونة للدِّراسات والاستشارات، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤٦٣هـ – ٢٠١٥م.

٥٩. "**عمدة القاري شرح صحيح البخاري**"، لبدر الدِّين العيني، أبو محمد محمود بن أحمد (ت: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التُّراث العربي – بيروت.

ـ ف ـ

٦٠. "**فتح الباري شرح صحيح البخاري**"، لابن حجر، أحمد بن علي، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.

٦١. "**فتح القدير**"، للشوكاني، محمد بن علي (ت: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطَّيب – دمشق، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
٦٢. "**الفروق اللغوية**"، للعسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثَّقافة للنشر والتَّوزيع، القاهرة – مصر.
٦٣. "**الفصل في الملل والأهواء والنِّحل**"، لابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت: ٤٥٦هـ)، النَّاشر: مكتبة الخانجي – القاهرة.
٦٤. "**في ظلال القرآن**"، سيد قطب إبراهيم حسين (ت: ١٣٨٥هـ)، دار الشُّروق – بيروت، القاهرة، الطَّبعة السَّابعة عشر، ١٤١٢هـ.

. ق .

٦٥. "**القاموس المحيط**"، للفيروزآبادي، مجد الدِّين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التُّراث في مؤسسة الرِّسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، النَّاشر: مؤسسة الرِّسالة للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت – لبنان، الطَّبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

. ك .

٦٦. "**الكشاف عن حقائق غوامض التَّنزيل**"، **المسمى بـ:** "**تفسير الزَّمخشري**"، للزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطَّبعة الثَّالثة، ١٤٠٧هـ.
٦٧. "**الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**"، للكفوي، أيوب بن موسى أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرِّسالة – بيروت.

. ل .

٦٨. "**لسان العرب**"، لابن منظور، محمد بن مكرم بن على (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطَّبعة الثَّالثة، ١٤١٤ هـ.
٦٩. "**لطائف الإشارات، المسمى بـ:** "**تفسير القشيري**"، للقشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت: ٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، النَّاشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطَّبعة الثَّالثة.

٧٠. "**المبسوط**"، للسرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل (ت: ٤٨٣هـ)، دار المعرفة – بيروت، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

٧١. "**مجمل اللغة**"، لابن فارس"، أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النَّشر: مؤسسة الرِّسالة – بيروت، الطَّبعة الثَّانية، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

٧٢. "**مجموع الفتاوى**"، لابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرَّحمن بن محمد بن قاسم، النَّاشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشَّريف – المدينة النَّبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

٧٣. "**محاسن التَّأويل**"، لجمال الدِّين القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد (ت: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٧٤. "**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**"، لابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشَّافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٧٥. "**مختار الصِّحاح**"، لأبي عبد الله الرَّازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، النَّاشر: المكتبة العصرية – الدَّار النموذجية، بيروت – صيدا، الطَّبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٧٦. "**مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**"، للمُلَّا القاري، علي بن سلطان محمد (ت: ١٠١٤هـ)، دار الفكر – بيروت، لبنان، الطَّبعة الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

٧٧. "**المسند الصَّحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**"، **المسمى بـ:** "**صحيح مسلم**"، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النَّيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التُّراث العربي، بيروت.

٧٨. "**مشكاة المصابيح**"، للتَّبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب العمري (ت: ٧٤١هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدِّين الألباني، النَّاشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطَّبعة الثَّالثة، ١٩٨٥م.

٧٩. "**معالم السُّنن**"، للخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم (ت: ٣٨٨هـ)، المطبعة العلمية – حلب، الطَّبعة الأولى ١٣٥١هـ – ١٩٣٢م.

٨٠. "**معجم اللغة العربية المعاصرة**"، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطَّبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٨١. **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم،** لمحمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٤٣٦هـ.

٨٢. "**معجم مقاييس اللغة**"، لابن فارس، أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السَّلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٨٣. "**المعجم الوسيط**"، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزَّيات، حامد عبد القادر، محمد النَّجار، دار الدَّعوة.

٨٤. "**المفردات في غريب القرآن**"، للراغب الأصفاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الدَّاودي، دار القلم، الدَّار الشَّامية ، دمشق –بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٨٥. "**المغني لابن قدامة**"، أبو محمد عبد الله بن أحمد (ت:٦٢٠هـ)، النَّاشر: مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.

٨٦. "**مفاتيح الغيب**""**التفسير الكبير**"، لفخر الدين الرَّازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التُّراث العربي – بيروت، الطَّبعة الثَّالثة، ١٤٢٠هـ.

٨٧. "**المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**"، "**شرح النَّووي على مسلم**" للنووي، يحيى بن شرف (ت: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، الطَّبعة الثَّانية، ١٣٩٢هـ.

٨٨. "**الموسوعة الفقهية الكويتية**"، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، ١٤٠٤م – ١٤٢٧هـ.

٨٩. "**موسوعة فقه القلوب**"، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التُّويجري، النَّاشر: بيت الأفكار الدَّولية.

- ن -

٩٠. "**النِّهاية في غريب الحديث والأثر**"، لابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزَّاوى، محمود محمد الطّناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.